العدد (٥٢٦) جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ - يونيو ٢٠٠٩م

تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



Alwaei Al-Islami

مجلة شهرية كويتية جامعة



الشيخ ولد عدود في ذمة الله



«الوعي الإسلامي» في معرض الكتاب الإسلامي

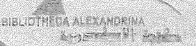
الأمانة العامة للأوقاف.. تجربة رائدة في التنمية

الإيموز.. صرخة على حال الشباب

أفضل فكرة في الألف سنة الماضية

حمية الجاهلية

أبوجهل.. الشخصية والنموذج





الافتتاحية



حمية الجاهلية

إن الاجتماع الإنساني ضرورة، فالإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع، وهو عمران العالم الذي تتكون منه المجتمعات، فالناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها، وهذا الاجتماع إذا حصل فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم من العدوان والظلم، ولا بد من شيء آخر يدفع هذا العدوان، وهو النظام والدولة.

إن من حكمة الله في خلقه انتظام معاشهم، وتيسير مصالحهم وأن يتم بقاؤهم لأن المجتمع لا يتم وجوده وبقاؤه إلا بتعاون أبنائه على مصالحهم ما يتطلب من القيادات الدعوية والفكرية والسياسية والثقافية أن تخلّص المجتمع من التصادم وتجمع الكلمة، فالمجتمع هو الأصل في توجيه الخطاب من حيث العموم أو الصلاحيات والمسؤوليات والأولويات وتأتي الدولة والجماعات والأفراد تبعاً وضمناً.

إن قادة المجتمع وعلماءه وصناع القرار فيه هم من يوجه المجتمع إن أريد له التقدم والرقي والعطاء، أو سيبقى في الانحطاط إن لم يأخذوه إلى العزة والتمكين، وتوجيه وحدة الكلمة في تقديم الإصلاح وألا تفرقنا العصبيات. وإلا كيف نعالج ونحن بحاجة إلى أن نتخلق بخلق الإصلاح، ونقل المجتمع إلى حالة جديدة من الفاعلية الحضارية والاجتماعية. إن معيار نجاح عمل الحكومات والمؤسسات والجماعات والأفراد مقترن بمقدار نجاحها في التأثير في المجتمع ومساعدته على النهوض والتغيير.

والمجتمع الحضاري هو الذي ينتقل من موقع المستهلك القائم على إبداعات الآخرين إلى موقع الإنتاج والمشاركة الإيجابية، كما يدعو إلى وحدة المجتمع وتآلفه ونبذ الخلافات ليكون كالجسد الواحدآماله وآلامه واحدة، فالتجربة التاريخية الحضارية الإنسانية للأمة الغنية التي ساهمت فيها جميع الأجناس والألوان والأقوام جاءت مشتركاً إنسانياً بعيدة عن العنصرية والجنسية والقومية والتعصب فكانت تجربة غنية لكل النماذج البشرية، إضافة إلى القيم التي تحمل الحب والخير للآخرين، رابطاً نجاته بنجاة الآخر كما قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (رواه البخاري).

وقد تتحول الاختلافات الفكرية والسياسية إلى عصبية، تسود فيها القيم السلبية من التعصب والتنازع والقهر والاستبداد مقابل قيم العدالة والحرية والتفاهم والإحترام.

إن العصبية تلغي العقل، باعتبار أنها تنظر بعين واحدة، وتأمر بالكره لكل من خالف عصبيتك، وتحتقره، وتفصل بعضنا عن بعض وتخلق داخلنا الحقد والعداوة، ولكي تزدهر الحياة البشرية في المجتمع وتتأصل كرامة الإنسان من الاحترام والإنصاف، بعيداً عن التمييز، ينبغي رفض العصبية إلا ما كانت على الحق والعدل. إن أي مجتمعاً تسود فيه حمية الجاهلية لا يمكن أن يتقدم ويتطور وتقام فيه العدالة، وإن تنوعت فهي واحدة، لأنها تدعو إلى مجانبة الحق ومساندة الظلم وإثارة الفتن على الفهم الجاهلي.

ومن أسباب الألفة المجتمعية الدين والمؤاخاة بالمودة والبر، فالدين يبعث على التناصر ويمنع التقاطع والتدابر، فقد بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم والعرب أشد تقاطعاً وتعادياً واختلافاً فلما أنقطعت أسلموا فانقطعت عداوتهم وصاروا في الإسلام إخوانا متواصلين.

كما أن المؤاخاة بالمودة تكسب إخلاصاً ومصافاة لذلك آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصحابة، لتزيد ألفتهم، ويقوى تضافرهم وتناصرهم، فلقاء الإخوان جلاء الأحزان، وأما البر فيوصل إلى القلوب ألطافا ويثنيها محبة وانعطافا ولذلك قال سبحانه وتعالى «وتعاونوا على البر والتقوى» (المائدة:٢٢)، لأن في التقوى رضا الله تعالى وفي البر رضا الناس ومن جمع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته، وكما قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

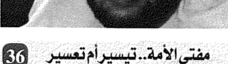
رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

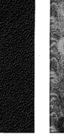


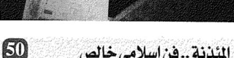
مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٢٦
العام السادس والأربعون
جمادى الآخرة ١٤٣٠ هـ
يونيو ٢٠٠٩ م

























المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢)ف٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

موضوع الغلاف



التكافل والتراحم والتعاون فريضة شرعية وضرورة حياتية وأساس وحدة الأمة وديمومتها، وبالحفاظ على مبادئنا نفرض مكانة وهيبة الأمة على أمم الأرض

داخل العدد

كلمة العدد

التشويش على الحق

لا يزال العلمانيون والملحدون يسعون إلى طمس الحقائق وقلب الحجج وتضليل الفطرة السليمة بالتشويش والتهويش على الحق والصواب، فتجدهم لا يكلون ولا يملون من التشكيك في الثوابت والأصول، فضلا عن الاستخفاف بالشعائر والمشاعر الإسلامية متشدقين بأنهم رواد النهضة التنويرية المستقاة من الغرب وما سوى ذلك فهو لديهم ظلامية ورجعية.

ولا تعلم هذه الشرذمة التي تعيش بيننا أن سلوكيات بعض المسلمين لا يمكن أن تعبر أو تحكم على الإسلام المنزه عن النقص أو العيوب، فمنهج الله في الأرض هو السبيل الوحيد لبسط السعادة والسلام الدنيوي بين الأمم وليست القوانين الوضعية التي هي من نتاج العباد.

ولكن المصالح النفعية والعناد الجاهلي غطيا على قلوب وعقول وجوارح هؤلاء، فلا يرضون بالحق، ولا يرضخون للحجة البليغة، ولا يعترفون بالمعجزات الربانية، ولا يؤمنون بالبينة.

إن اللمز والهمز التغريبي لن يجدي نفعاً في مجتمع يحصنه الكتاب والسنة وتتسم أفعاله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولعل ازدياد أعداد المسلمين في أوروبا والغرب أبرز دليل على قدرة الإسلام ان يسيُر الإنسانية وفق النواميس الربانية، إلى جانب انتشار التدين والروح الإيمانية بين الشباب المسلم الذي يعد حجة واقعية على خيبة العلمانية وأدعيائها.

. الوعي الإسلامي

الأسعار

•الكويت : ٥٠٠ فلسا •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريال •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المسلمون قادمون بشريعتهم



كشفت الحرب على غزة من هم أعداء الانسانية والارهابيون بحق، وما هي منظمات حقوق الانسان ولمن تعمل، وأزيح الستار عن تلك الهجمة الصهيونية الاعلامية على المسلمين، والعجيب أن جميعهم يعلمون ان الإسلام انتشر في مناطق من العالم لم يدخلها جندي مسلم مثل جنوب شرق آسيا وماليزيا واندونيسيا إعجاباً منهم بأخلاق واخلاص وايمان التجار المسلمين القادمين عليهم.

لهذا فلتحذر الامة الاسلامية طوفان الفتن القادم عليها من اعدائها لانه السلاح الباقي بعد استيعابهم الدرس جيداً وانه ليس لقوة السلاح سلطان علينا اذا ملأ الايمان قلوبنا، فشعارنا، الفوز باحدي الحسنيين النصر أو الشهادة، وهذا الذي قهر عتاة الظلم سابقاً وسيقهرهم لاحقاً وصدق الله تعالى ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون﴾ (المائدة: ٣).

ولننتبه جميعاً لما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الانعام الى قوله تعالى ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم﴾ أي من الآية (١٣١: ١٤٠)، ولنتدبر تلك الآيات الهادية جيداً لعل الله يصلح حالنا.

إذن فالمسلمون قادمون بشريعتهم التي آن الأوان لأهل الأرض ان يعترفوا بأحقيتها في الاتباع ولا يقيسوا قدراتهم الواهية بقدرة خالقهم، قال تعالى ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف: ٢١).

هدى الكاشف

الاقتصاد الاسلامي نظام رباني

الأحوال الاقتصادية المضطربة في بلادنا في الوقت الحاضر والتي أوجدها الاستعمار، تحفز أبناء الوطن كلهم للاندفاع والعمل، لإيجاد حلول لهذه المشكلات التي أخذت بخناق الناس وخلفت الفوضى والاختلاف في حياتهم.

وان نظرة هؤلاء جميعا، وان كانت متفقة في نقطة واحدة هي فساد أحوالنا الاقتصادية ووجوب اصلاحها وتغييرها إلا انهم يختلفون اختلافا كبيراً في الطريقة التي يعالجون بها هذه المشكلات.

ان النظم الاقتصادية والاجتماعية التي جاءت من الخارج في ظروف معينة وتحت حماية المستعمر وتشجيعه، هذه النظم هي والإسلام على طرفي نقيض، وبالتالي لا يمكن ان تقوى هذه النظم الوضعية على حل المشكلات التي يواجهها مجتمعنا اليوم.

ودليل ذلك فشل هذه النظم في نفس البلاد التي نشأت فيها ومازلنا نسمع ونقرأ الترقيعات والزيادات عليها والنقصان منها، وعلى فرض نجاحها في دولة ما فان هذا لا يعتبر حجة.



ان بلادنا - وكل بلاد المسلمين بلادنا - عاشت أربعة عشر قرنا من الزمن في ظل الإسلام.

وامتزج هذا الاسلام بدماء أبنائها وبنسيج عقولهم واستقر في عقولهم وكانت مشكلاتهم على اختلاف صورها، تجد حلولها في الاسلام.

سعاد محمد الحسيني السحرتي

ارحل أيها المحتل وعارك في يديك

كل الذي أخفيته يبدو عليك.. لا تنتظر صفحاً جميلاً
فالدماء مازالت تلوث راحتيك.. وعلى يدك دماء شعب
مهما اختفيت فلن يفارق مقلتيك.. رعب الصغار الضائعين على بحار الدم في غزة.. كلما أخفيته يبدو عليك
كل الشواهد فوق غزة.. تحمل سخطها الدامي عليك
قل لي ماذا تبقى من حشود الدم في غزة.. لم يعد شيء لديك
بين أطلال الخرائب والدمار يلف غزة.. والليالي السود شاهدة عليك
مهما اعتذرت فلن يفيد الاعتذار..
ولمن يكون الاعتذار؟!
للأرض.. للأحياء.. للموتى.. لأحلام الصغار؟!
لعيون طفل مات في عينيه ضوء الصبح
واختنق النهار
لدموع أم لم تزل تبكي وحيداً صار طيفاً ساكناً فوق الجدار
فلمن يكون الاعتذار؟
لمدينة صارت بقايا من غبار
ماذا تركت الآن في غزة.. ارحل وعارك في يديك
فالأرض كل الأرض ساخطة عليك.

محمد السيد عامر



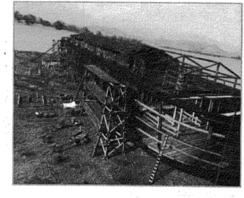
الازمة الاقتصادية والمعاملات الاسلامية

جاءت كارثة المال العالمية لتطهر المسلمين من أموالهم غير الطاهرة وغير الزكية. وأما من كانت أموالهم من الحلال الخالص وبدون شبهات أو منكرات ربوية أو استثمارات شيطانية فهي بالنسبة لهؤلاء محنة وقتية وبالتالي فمن خلال مجلتنا الغراء «الوعي الإسلامي» أناشد زعماء الدول العربية أن يعتصموا بحبل الله وبالتالي يتعاهدوا فيما بينهم على التعامل في الاقتصاد بطريقة اسلامية.
ولهم فيما حدث عظة وعبرة إلهية ولنثبت للعالم اننا خير أمة اخرجت للبشرية وان ديننا هو الامام الذي يجب ان تأتم به الانسانية.

عصام الحسين حميد

والعاقبة للمتقين

يقول الله تعالى معقبا على قصة سيدنا نوح عليه السلام ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ (هود: ٤٩).
عجيبة هي تلك الخاتمة القاسية التي انتهت بها قصة سيدنا نوح عليه السلام، أناس يبكون ويصرخون من الفزع وغرقى وصرعى في كل مكان وقد انفتحت ابواب السماء بماء منهمر وتفجرت الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ووسط هذا المشهد العظيم تسير سفينة بسيطة متواضعة دون ان تتأثر بما حولها وكأن نواميس الكون قد انقلبت الا على تلك السفينة وركابها.
ولكن لماذا اختار الله هذه النهاية القاسية؟ لماذا تتغير نواميس الكون بهذا الشكل الغريب من اجل ثمانية عشر مؤمنا؟ ولماذا تتغير نواميس الكون اصلاً؟ فما دام الله تعالى قد قضى بموت الكافرين فلماذا تكون نهايتهم بهذا الشكل؟ لماذا لم تقبض ارواح الكافرين وهم في بيوتهم دون هذا الهول العظيم؟.



إن الله تعالى لا يفعل شيئا عبثا (ونحن اقل من أن ندرك حكمة الله تعالى) ولكن نقول ان الله تعالى يرسل برسالة الى المؤمنين الصابرين ان الله تعالى معكم حتى لو قل عددكم وكثر عدد عدوكم.. لا تيأسوا من روح الله، إن الذي غير موازين الكون من اجل ثمانية عشر مؤمنا، وان الذي غير مقاييس الزمن من أجل فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى، وان الذي شق القمر لنبينا ﷺ، لهو اقدر على ان يغير نواميس الكون من اجلكم لهو قادر أيضاً على ان يقلب موازين النصر والهزيمة من أجلكم.

زكريا قرشي حسين علي

«الوعي الإسلامي» في معرض الكتاب الإسلامي



شاركت مجلة «الوعي الإسلامي» في معرض الكتاب الإسلامي ٣٤ الذي نظمته جمعية الإصلاح الاجتماعي خلال الفترة ٤/٢٢ - ٥/٢ - ٢٠٠٩ م في أرض المعارض بالكويت.

وجاءت مشاركة المجلة في المعرض للإسهام في التنمية المعرفية والمعلوماتية وتعريف الجمهور بأهم انجازات ومشاريع المجلة عارضة أهم الاصدارات والبوسترات والاعداد التراثية الخاصة بالمجلة.

ولاقى جناح المجلة قبولاً واسعاً وسط الحضور والمشاركة لاستخدامها أسلوبا حديثا في عرض المنتجات ولحداثة معروضاتها ولتوزيع الهدايا العلمية.



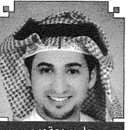


التعليم والمسيرة النهضوية

محمد عمير الفضلي

انتفضت الكويت مع بداية الستينيات نهضة كبيرة على جميع مستويات الحياة، وكان من أبرز معالم هذه النهضة المجال التعليمي من خلال دعمها للتعليم وتلبية احتياجاته واهتماماته كافة، فقد راسلت وجلبت الكوادر التدريبية والتدريسية المؤهلة والمتميزة القادرة على العطاء من أجل الدفع بالمسيرة النهضوية، بالإضافة إلى تشييد المدارس والجامعات وتجهيزها بأفضل المعدات والأجهزة والتقنيات الحديثة، وكان لرواد الكويت من الآباء والأجداد دور كبير في حث الأبناء على التحصيل العلمي والمعرفة، فأصبح أبناء ذلك الجيل متميزين بثقافتهم العالية وحسهم العلمي.وفي الوقت الحاضر وفي ظل السعي إلى التقدم والازدهار والتحضر المدني لوحظ في الأونة الأخيرة أن قطاع التعليم بحاجة ماسة إلى التطوير نظرا لضعف المخرجات التعليمية ولن يأتي الرقي بالمسيرة النهضوية إلا من خلال الزج بمزيد من المتطلبات التدريبية والتعليمية.

«الوعي الإسلامي» استطلعت آراء بعض الطلبة لمعرفة متطلبات تحقيق الإنعاش التعليمي في الكويت.. فكان هذا التحقيق:


جاسم يعقوب


محمد الفضلي


مشعل الحربي



في البداية ذكر باسل العنزي أن المجتمع يمر بتغيرات تكنولوجية وتقنية هائلة، والمناهج التعليمية الحالية لا تواكب تلك التغيرات السريعة، كما أنها لا تخاطب عقل الطالب الذي يعيش متغيرات كبيرة في المجتمع، مقترحا التطوير الشامل والابتعاد عن التطوير الجزئي الذي اعتدنا عليه، لأن التطوير عملية معقدة وصعبة، فالتطوير لا يشمل فقط محتوى المناهج، وإنما يشمل الأساتذة والدكاترة والمباني الأكاديمية والطالب المثالي، ومن يحصر التطوير في المناهج فقط يكون وعيه ضيقا، لأن المسألة أكبر من هذا التصور المحدود.

وتساءل جاسم يعقوب هل هناك تطوير حقيقي؟ أم أن المسألة لا تتعدى أغلفة المقررات الدراسية نفسها؟ إذ يرى أنه ليس هناك تطوير سوى في شكل الغلاف الخارجي للمواد والمقررات التعليمية، كما يعتقد أننا بحاجة لتدريس مواد ومقررات تحمل محتوى التخصص ولا بد أن تكون مناهجنا منسجمة مع متطلبات العصر الذي نعيشه.

ونوه مشعل الحربي بان هناك مشكلة في ضخامة المناهج الدراسية الحالية من حيث عددها ومحتواها، لذا نطالب بإعادة النظر فيها، خصوصا أنها مرهقة ولا تتيح لنا الفرصة للتفكير والإبداع، ويضيف بأن هناك بعض المقررات لا تناسب التخصص الذي يتخصص الطالب فيه، ويرى أنه آن الأوان لأن تحذف هذه المقررات الدخيلة على التخصصات من التقويم التخصصي للتخصص.

وأرجع محمد الفضلي بعض أسباب انحدار المستوى التعليمي إلى فقدان الكثير من الكفاءات الممتازة من جانب المدربين والمعلمين وعدم الاهتمام بالمناهج والمدرسين وضعف الوازع العلمي لديهم وعدم حصولهم على أي محفزات تدفع المعلم إلى الإبداع وهذا ما يجعلهم يفضلون الذهاب إلى دول أخرى، ولا ننسى كذلك عزوف الشباب الكويتي عن التدريس وذلك بسبب الأعباء الإدارية المكلف بها وعبء الجدول الدراسي كل هذه الأمور أثرت وتركت بصمتها على المستوي التعليمي في الكويت.

وأكد عيد النصافي بأن من مشاكل التعليم في الكويت كثرة المعلومات غير المفيدة في الكتب المدرسية بالإضافة إلى عدم جاذبية المباني المدرسية وقلة الأنشطة التي تشد الطالب للدراسة وجمود الكتب الدراسية وعدم تطويرها وثقلها على الطلبة، كل هذه المعوقات جعلت المدرسة مكانا منفرا للطلبة.

تعتبر هذه الأسباب هي التي أدت إلى انحدار المستوى التعليمي في الكويت، وهنالك بعض الاقتراحات لتحسين المستوى التعليمي، ومنها: أن تكون عملية الإصلاح مدعومة بشكل رئيسي وقوي من صاحب السمو أمير البلاد، وان تبدأ عملية الإصلاح بالاهتمام بالكوادر التعليمية وزيادة رواتبهم، والاهتمام بالمسؤولين عن الإدارات المدرسية وإلحاقهم بدورات تدريبية وتزويدهم بالمهارات الفنية اللازمة للقيادة، وتطوير المناهج الدراسية وتنقيحها من وقت لآخر لتواكب العصر.

تزاوج في التطبيقات الوقفية بين الموروث الأصيل ومستجدات العصر

الأمانة العامة للأوقاف في الكويت.. تجربة إسلامية رائدة في مسيرة التنمية

رجب الدمنهوري

العمل الخيري بات معلما رئيسيا من معالم دولة الكويت بعد أن تحول من مجرد مبادرات ومشاريع فردية - عرفها الكويتيون منذ نشأة بلادهم - إلى أعمال مؤسسية واسعة النشاط، تضطلع بها هيئات وجمعيات ومؤسسات عديدة، ومن أبرزها الأمانة العامة للأوقاف التي نشطت في مجال الوقف الاسلامي ابداعا وابتكار واحياء وبحثا في بطون الكتب عن أدبياته ونماذجه لتطوير تطبيقاته وصياغاته في أرض الواقع، وتفعيلها لمواجهة تحديات الفقر والعوز التي تجتاح العالم الإسلامي. والكويتيون عرفوا الوقف منذ قديم الزمان، وضربوا أروع الأمثلة - ومازالوا - في وقف بعض ممتلكاتهم وثرواتهم وتخصيص ريعها للتنمية المجتمعية، وكان لذلك أثر كبير في تماسك المجتمع الكويتي وتلاحم أواصره عبر مساعدة المساكين والفقراء وإنشاء المساجد والمدارس، ورعاية دور تحفيظ القرآن الكريم، والمرافق الصحية والاجتماعية وغيرها.

والكويت صاحبة تجربة فريدة في مجال الوقف الإسلامي، فقد استطاعت المزاوجة بين الموروث الفقهي الاصيل ومستجدات العصر في تطور نوعي تجلى في مسيرة الأمانة العامة للأوقاف التى غدت صرحا اسلاميا عملاقا له بصماته الواضحة على مستوى العالم الاسلامي، وتجربة رائدة في مسيرة التنمية، وحرصا على مواكبة المتغيرات تنظم الكويت كل سنتين منتدى لبحث قضايا الفقه ونوازله والأوقاف المعاصرة ومستجداتها، بل وتشارك في الملتقيات الوقفية والخيرية التي تعقد في الدول العربية والإسلامية بين الحين والآخر، ومن ثم فان هذا النموذج الوقفي جدير بالدراسة والبحث بعد أن نجح في تلبية احتياجات شرائح واسعة من فقراء ومعوزي المجتمعات الإسلامية.

منذ انطلاقتها نشطت الأمانة العامة للأوقاف في مجال العمل الوقفي بموجب المرسوم الأميري رقم ٢٥٧ لسنة ١٩٩٣، الذي أسند اليها اختصاصات الدعوة الى الوقف والقيام بكل ما يتعلق بشؤونه، بما في ذلك ادارة أمواله واستثمارها وصرف ريعها في حدود شروط الواقف وبما يحقق المقاصد الشرعية للوقف وتنمية المجتمع حضاريا وثقافيا واجتماعيا لتخفيف العبء عن المحتاجين في المجتمع.

وفي هذا السياق كثفت الأمانة جهودها عبر العديد من الأنشطة والممارسات في مجال الدعوة الى احياء سنة الوقف النبوية الشريفة والتعريف بها، وبأهميتها في المجتمع، والاضطلاع بها وتنميتها من خلال الوسائل والمشاريع الاستثمارية والاقتصادية الشرعية، والصرف من ريعها على المصارف الشرعية التي تحقق النماء للمجتمع وتسد احتياجاته وبما يتوافق ومقاصد الواقفين وشروطهم.

وانطلاقا من أن التنمية هي الغاية المنشودة من وراء الوقف، فقد نجح الوقف الكويتي في تقديم إسهامات مميزة في دعم المشروعات الاقتصادية والتنموية داخل الكويت من خلال العائد المتجدد من الاصول الوقفية الثابتة، ومن أبرز الأنشطة في هذا المضمار ما قامت به ادارة المشاريع الوقفية التابعة للأمانة العامة للأوقاف من تقديم الدعم لمختلف الانشطة والمشاريع والبرامج التنموية الداعمة للبناء المجتمعي، والعمل على تلبية احتياجات الشرائح الاجتماعية سواء كانت الجهة القائمة على رعايتها رسمية أوأهلية، ومن ذلك مشروع رعاية طالب العلم وهومشروع يقدم الدعم للطلبة المحتاجين بهدف الارتقاء بمستوى تحصيلهم العلمي، وكذلك دعم الطلبة المسلمين من غير العرب في المدارس الاجنبية، كما أسهم مشروع وقف الوقت - رعاية العمل التطوعي - بدور كبيرفي الدعوة إلى العمل التطوعي وتنمية ميول الافراد والمؤسسات في المجتمع من اجل تعزيز فرص الاقبال على العمل التطوعي واعدادهم وتأهيلهم للانخراط في برامجه، ومن ثم قيامهم بدور ايجابي وفاعل في المجتمع، كذلك هناك دعم واضح من جانب الأمانة العامة للاوقاف لمشروع مركز الكويت للتوحد، وهومشروع متميز يعبر عن الوجه الحضاري للبلاد ولدور الوقف في رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، لاسيما ان هذا المركز يرعى المصابين بمرض التوحد ويوفر لهم بيئة تعليمية وتربوية واجتماعية ونفسية تساعدهم على الاندماج في المجتمع بشكل علمي.

اسهامات متنوعة

وللصناديق الوقفية في الأمانة العامة للأوقاف اسهامات واضحة في المجالات التعليمية والصحية والثقافية والفكرية، فإدارة الصناديق تعنى بتقديم الدعم للمشروعات التي تُقدم اليها، سواء من جهات حكومية اواهلية من خلال اربعة صناديق

رئيسية هي: الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية، والصندوق الوقفي للتنمية الصحية، والصندوق الوقفي للقرآن الكريم وعلومه، بالاضافة الى الصندوق الوقفي للدعوة والإغاثة، ويتولى الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية، رفع مستوى الخدمة العلمية والثقافية والاجتماعية، بما يحقق تنمية المجتمع وتوعيته، وذلك من خلال تمويل ودعم عدد من المشاريع، مثل مشروع مساندة معلم الفصل بوزارة التربية، ودعم مشروع جليس الحدث بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وكذلك دعم الدورات التدريبية الخاصة بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، من خلال ادارة التوعية والارشاد، ودعم مشروع مكتبة الرواد بالهيئة الخيرية الاسلامية العالمية، هذا على الصعيد العلمي والثقافي.

اما على الصعيد الاجتماعي، فيمول الصندوق مشروع «من كسب يدي» وهومشروع اسري مشترك بين وزارة الشؤون الاجتماعية والامانة العامة للاوقاف، والمتمثل في «الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية» ويهدف المشروع الى تدريب وتأهيل الفئات التي تحصل على مساعدات اجتماعية، وذلك من خلال إكسابهم المهارات اللازمة للعمل في الميادين المختلفة.

استثمار الأموال الوقفية

أولت الأمانة قضية استثمار اموال الوقف اهتماما خاصا بهدف المحافظة على الاصول الوقفية واستثمارها وتنميتها بما يتناسب واحكام الشريعة الاسلامية، ووفق سياسات مأمونة تجعلها بمنأى عن التعرض للتقلبات الاقتصادية المحتملة وما قد يترتب عليها من آثار سلبية، وذلك لتحقيق ايرادات مناسبة يجري الصرف من ريعها على المشروعات الوقفية والتنموية وفقا للمقاصد الشرعية وشروط الواقفين، ويتحقق ذلك من خلال رعاية اموال الوقف بمختلف صورها وانواعها بما هوماصلح وانفع ماليا واجتماعيا، والبحث في دائرة الاستثمارات المطابقة للاصول الشرعية من خلال افضل الفرص المتاحة لاستثمار تلك الاموال بالاسلوب المناسب الذي يحقق اعلى عائد، فضلا عن مراعاة النواحي الفنية وتجنب المخاطر العالية في مجالات الاستثمار غير المأمونة، وهذا ما تقوم به الامانة ووفق معطيات وسياسات الشركات الاستثمارية المطروحة وتحليل القطاعات الاقتصادية المختلفة، وذلك لتمكين الامانة العامة للأوقاف كمؤسسة وقفية من تحقيق الاهداف الحضارية للوقف في دعم خطط التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لمصلحة الافراد على اختلاف شرائحهم، ومن اجل تحقيق ذلك تحتضن الأمانة قطاعا متخصصا في الاستثمار يديره فريق فني محترف بمنهجية



وآليات واضحة ومدروسة.

الشفافية والالتزام بالضوابط

وفي مجال ادارة الأموال الوقفية وضمان وصول عوائدها الى مستحقيها تنطلق الأمانة العامة للأوقاف في عملها من قاعدة الشفافية والالتزام بالضوابط الشرعية واللوائح الرقابية سواء على الصعيد الداخلي عبر اللجنة الشرعية وادارة الرقابة والتدقيق، أو الخارجي من خلال ديوان الخدمة المدنية والمكاتب المعترف بها عالميا في مجال التدقيق المحاسبي، وكل ذلك يتم وفق شروط الواقفين ومقاصدهم المثبتة في حججهم الوقفية، كما ان جميع أعمال ادارة الأموال بالأمانة - اجازة أو رفضا - تمر من خلال تلك القنوات الرسمية، هذا الى جانب ان المرسوم الأميري الخاص بإنشاء الأمانة نص في المادة (٦) منه على ان مجلس شؤون الأوقاف هو السلطة العليا المشرفة على شؤون الأوقاف واقتراح السياسة العامة لها، وخوله اتخاذ ما يراه لازما من القرارات، ومن ذلك رسم السياسة العامة لإدارة اموال الوقف واستثمارها، وكذلك وضع النظم واللوائح الكفيلة بتنمية ايرادات الأوقاف وتحصيلها بصفة منتظمة، ومما يعزز شفافية نشاط الأمانة أنها تتواصل مع الواقفين فيما يتصل بضمان وصول اموالهم وعوائدهم الى مستحقيها، اذ أن ادارة المصارف الخاصة تعنى ضمن اختصاصاتها بالتواصل مع ذرية وأقارب الواقفين، وتمكينهم من الاطلاع على أوجه الصرف ومجالاته اذا ما رأت الادارة احقيتهم في ذلك بشكل جدي وبأسلوب تطمئن اليه في هذا الصدد، اضافة الى قيام الأمانة بإصدار تقرير سنوي رسمي يعتمده مجلس شؤون الأوقاف يتضمن الجانبين المالي والإداري ليكون متاحا لجميع الاطراف ذات الاهتمام.

استشراف المستقبل

ورغم التحديات التي تهدف الى تشويه صورة العمل الخيري بما فيه العمل الوقفي وتضييق الفرص والمجالات امام المؤسسات الخيرية والوقفية، تركزالأمانة العامة للأوقاف - عبر استراتيجتها وبلغة التحدي الواقعي والثقة في سلامة مشاريعها - على ان رسالتها الاساسية تهدف الى تنمية المجتمع والعمل على النهوض به في دور مكمل لدور الدولة، وصاغت رؤيتها الرامية الى تحقيق الريادة في توظيف الوقف كأداة للتنمية الشاملة، كذلك تهتم استراتيجية الأمانة بقضية التعاون الدولي في مجال الوقف، اضافة الى مجالات العمل الأربعة الأخرى التي تشمل: الدعوة الى الوقف، وتفعيل دور الأمانة في تنمية المجتمع، والاستثمار وتنمية الريع الوقفي، وصرف الريع في مجالات التنمية، بالإضافة إلى التطوير المؤسسي والتواصل مع الواقفين والمعنيين بالوقف ومشروعاته الخيرية والتنموية.



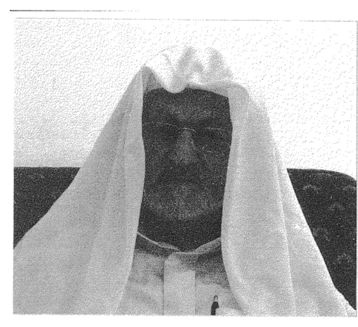
مجالس سماع وقراءة كتب الفقه الحنبلي

حوار: سليمان الرومي

من المعلوم أن العلماء هم ورثة الأنبياء لتوريثهم المجتمعات المسلمة حقيقة معرفة الله وأصول المنهج الحاكم لمختلف مجالات الحياة، وهذا مصداقا لقول رسول الله ﷺ «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (الترمذي).

فلا عمل بلا علم ولا وقاية بلا فقه، فالعلم والعمل هما المنجيان للإنسان في الدنيا والآخرة من المهالك والشرور والفتن.

«الوعي الإسلامي» التقت أحد أبرز العلماء في الشام والعالم الإسلامي الشيخ إسماعيل بدران الدومي لتسلط الضوء على دور العلماء اليوم، ومعرفة الفروق بين مدارس العلم الشرعي، وسبل المحافظة على أصولنا في مواجهة حملات المستشرقين التمذهب .. واليكم نص الحوار:



■ غياب العلماء الربانيين في هذا الزمان بات واضحاً... كيف ترون ذلك؟

- في هذا الوقت بفضل الله يوجد علماء ربانيون وعلماء عاملون وفقهاء، فعندنا في الشام علماء محترمون أمثال الدكتور سعيد البوطي ومحمد راتب ومحمد كريم راجح، ومهدي مصطفى النور وهؤلاء علماء على مستوى البلاد الإسلامية لا على مستوى الشام فقط.

■ ما الفرق بين الشيخ والعالم والعلامة؟

- كلمة شيخ باللغة لا تعني عالماً، وبلغتنا العامية فلان شيخ يعني محتمل يكون فقيه ومحتمل يكون إمام جامع، أما العالم فهو أعلى مرتبة، أما العلامة فمرتبته أعلى.

■ ماسبب زيارتكم الأخيرة للكويت؟

زيارتنا كانت لمجالس السماع الفقهية لطلبة العلم، فقد قرئ علي كتب الفقه الحنبلي المتمثل في كشف المخدرات شرح أفضل المختصرات، ونيل المآرب شرح دليل الطالب، وبلوغ القاصد شرح بداية العابد.

■ على من تلقي مسؤولية تراجع الاهتمام بالعلوم الشرعية؟

- هناك تقصير من العلماء وتقصير من الشباب، فالشباب لديهم فكرة ان من يطلب العلم فلا عمل له. فأنا كنت مزارعاً وكنت آتي من المزرعة على دار الحبيب نقرأ الدرس أنا وأخي وابن عمي، وهناك من يتحجج بأننا لم نعد قادرين على طلب العلم بسبب الواجبات والالتزامات، ولكن هذا مردود عليه لأن هناك ٢٤ ساعة ويمكنك اقتطاع ساعة من حساب نومك أو ساعة من شغلك.

■ ما رأيكم في قضية التمذهب والاجتهاد في طلب العلم؟

- الذي عنده مقدرة يجتهد بالأصول لا مانع مثل العلامة الشيخ القادر بدران علامة الشام، فقد وصل لدرجة الاجتهاد وليس من الضروري أن يلتزم بمذهب، مع العلم انه كان في الماضي حنفياً ثم تحنبل في آخر حياته، فالإجماع يمكن في بعض الأمور وبعض الأحكام.

فليس بشرط أن يلتزم الواحد بالمذهب ١٠٠٪ لأن هذا يسمى تعصبا وأنا أحارب التعصب. وبالنسبة للجماعة الذين يقرأون عليّ أنا أقول لهم لا تعتبروني حنبليا وأنا بالأصل حنبلي لكني لا أؤيد التعصب، فاذا وجد حكم دليله أقوى من دليل آخر فإنه أحرى بالاتباع.

■ كيف ترون فوضى الفتاوى اليوم؟

- أنا قلت من قبل الشيخ العالم الذي وصل لدرجة الفتوى وقرأ كتاب «إعلام الموقعين» هو المخول بذلك أما من لم يقرأ هذا الكتاب فيحرم عليه الفتوى.

وإن كان السؤال لغويا أو فقهيا ولم أكن متيقنا ١٠٠٪ فلا أجيب وهذا الشيء واقعي.

الإمام مالك رضي الله عنه سئل عن ٣٦ سؤالاً فأجاب عن ثلاثة اسئلة فقط، وقال عن ٣٣: لا أدري وجاءه أحد العلماء من اليمن الى المدينة المنورة يسأله سؤالاً فسأله، قال: لا أدري، فقال له: يا إمام جئت من اليمن لأسأل مالكا فتقول لا أدري، قال: ارجع الى قومك وقل لهم: ذهبت وسألت مالكا وقال:لا أدري.

التمذهب والاجتهاد مرتبطان بالقدرة على فهم الأصول

أرفض التعصب المذهبي باعتبار أن الحق أحق أن يتبع

هناك تقصير من العلماء و الشباب في طلب العلم



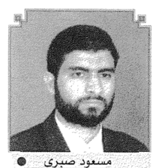
من هو؟

- هو الشيخ الفقيه المتقن الحنبلي اسماعيل بن محمد بن محمد بن الشيخ عبدالرحيم بن الشيخ مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بن محمد بن عبدالرحيم بن خليل بن محمد بن شمس الدين بن محمد بن عبدالقوي بن عبدالله الشهير كأسلافه بابن بدران السعدي، الدومي، وبهذا يكون والد الشيخ عبدالقادر بن أحمد بدران، العلامة المشهور ابن أخ الشيخ عبدالرحيم الجد الأعلى لشيخنا إسماعيل، وقد رأيت ذلك في شجرة النسب عند شيخنا.

ولد حفظه الله تعالى في سنة (١٣٥٤هـ)، وبعد أن أنهى ما يعادل الثانوية العامة، أخذ علم التجويد على الشيخ المقرئ أحمد عبدالمجيد أحد تلاميذ المقرئ الشيخ محمد سليم الحلواني، ثم لازم شيخه العالم المربي أحمد قويدر خمس عشرة سنة في دار الحديث بدمشق، وخمس سنوات في قرية عربين من أعمال دمشق، وأخذ عنه علم العربية والفقه الحنبلي حيث قرأ عليه «كشف المخدرات في شرح أخصر المختصرات» مرتين، وقرأ عليه «صحيح مسلم بشرح النووي»، وبعد وفاته انتقل عند الشيخ أحمد الشامي مفتي دوما، ولازمه ثلاث سنوات حيث اخذ عنه الفقه الحنبلي وقرأ عليه «كشف المخدرات»، ثم انتقل الى الشيخ عبدالمجيد بن محمد عبدالمجيد المعروف بـ«الحنبلي الصغير» لمدة سنتين ونصف فقرأ عليه «دليل الطالب» لمرعي الكرمي ثم «منار السبيل» لابن ضويان، وقد كان محباً له وملازماً في غير القراءة أيضاً، قال شيخنا اسماعيل بن بدران ومن خطه نقلت «ثم انتقلت الى العلامة والحبر البحر الفهامة، الاصولي المجتهد اللغوي عبدالقادر بن محمد الحتاوي، وكانت مدة طلبي للعلم عليه ثلاث سنوات حتى توفاه الله تعالى في كانون الثاني سنة ١٩٨١م، وقد أجازني في الفقه الحنبلي واللغة العربية ثلاث مرات» وكان قد قرأ عليه شيخنا «غاية المنتهى في جمع الاقناع والمنتهى» لمرعي الكرمي، وبعده تولى شيخنا اسماعيل بن بدران تدريس الفقه الحنبلي في هذه السنة اعني (١٤٠١هـ) وحضر عليه الطلبة غالب أيام الأسبوع في «الدليل» و«نيل المآرب» للتغلبي وشيخنا يحب هذا الكتاب ويثني عليه، و«منار السبيل» و«كشف المخدرات»، و«العدة في شرح العمدة» للمقدسي، وأوائل «المغني» لابن قدامة، وكذا الآجرومية وشروحها: لزيني دحلان، ومحيي الدين عبدالحميد، وابن عثيمين، درس هذه الكتب تكراراً ومراراً حتى إنه يكاد يحفظ بعضها لكثرة تدريسه لها، واخبرني - حفظه الله تعالى بخير وعافية - انه قرأ عليه من بلدته دوما معقل الحنابلة في الشام أكثر من (٨٠) طالباً، وكذا حضر عليه من الرحيبة ودمشق ومن غيرها من الطلبة من الجزائر والهند وبريطانيا وأميركا، ومنهم من لازمه سنوات عديدة، وشيخنا اسعده الله، ودود لطيف المحيا، يأنس به من يلقاه ويستفيد من علمه بالمذهب الحنبلي من يجلس اليه ويقرأ بين يديه، بارك الله تعالى في حياته وزاد في أيامه وحسناته، وإنه لا يفوتني في هذه السطور شكره على حسن استقباله وكريم نواله، كما لا يفوتني أيضاً شكر أخي المقرئ المفيد الشيخ عبدالله بن حسين العيسى الذي كان واسطة العقد في التعرف على شيخنا جزى الله الجميع خير الجزاء

خطف الصحافيين .. رؤية فقهية

حين ننظر إلى تعريف الصحافة نجد أنها جمع الآراء والأخبار والمعلومات ونشرها في إحدى وسائل الإعلام كالجريدة والمجلة أو موقع الإنترنت أو الفضائية وغيرها، بنوع من حرية التعبير عن الرأي (1).ولا يقف عمل الصحافة على أنها حرفة، بل عرفها مجمع اللغة العربية بأنها «حرفة ورسالة لأنها تتبع الأخبار وكتابة التعاليق والتحقيقات والمقالات في الوسيلة الإعلامية» (2).والصحافة جزء من الإعلام، والإعلام هو إخبار الجمهور كي يكون على علم ومعرفة بما ينقله الإعلامي له.
والمهم في تعريف الصحافة هنا هو ما أشار إليه مجمع اللغة العربية من كونها مهنة ورسالة، وأنها جزء من الإعلام المبني على العلم والمعرفة الصادقة حسب اجتهاد القائم بهذه الوظيفة.



مسعود صبري



كثير من الآيات التي تدل على أن الوظيفة الأولى للأنبياء والمرسلين والمصلحين هي رسالة إعلامية في المقام الأول، وهذا يعني أن الصحافيين الذين يلتزمون آداب المهنة الصحافية، ولا يتخذون الصحافة وسيلة لنشر الرذيلة بكل أنواعها، جنسية كانت أو فكرية، يأتون عملا يشبه عمل الأنبياء والمصلحين، وهذا يدل على شرف وعظم العمل الصحافي إن التزم الآداب الشرعية، واحترم منهج الصحافة العلمي.

قراءة في وقائع الخطف في صدر الإسلام

١- خطف ثمامة بن أثال

بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال «ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فترك حتى كان الغد ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي ما قلت لك، فقال أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ. يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت! قال: «لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ» (صحيح البخاري، المغازي، وفد بني حنيفة وثمامة بن أثال).
وقد عفا عنه النبي ﷺ كما أشار إلى ذلك ابن حجر في الفتح في رواية ابن إسحاق «قال قد عفوت عنك يا ثمامة وأعتقتك».
يقول الشيخ فيصل مولوي (٣): ما يستنتج من هذه القصّة:
١- كانت هناك حالة حرب فعليّة، وقد أراد ثمامة بن أثال أن يقتل العلاء بن الحضرمي رسول رسول الله ﷺ، مع أنّ الرسل لا تقتل حتّى في حالة الحرب.
٢- أمر رسول الله ﷺ بخطف ثمامة وهو من زعماء الأعداء المقاتلين، وقد أراد قتل أحد المسلمين خارج المعركة، فهو مستحقّ للقتل خارج المعركة أيضاً.
٣- عندما خطف ثمامة لم يقدم الخاطف على قتله، وإنّما سلّمه إلى وليّ الأمر (رسول الله ﷺ) ليرى فيه رأيه، ورغم خطورة فعله واستحقاقه القتل فقد أطلق رسول الله ﷺ سراحه دون مقابل، رغبةً في إسلامه، ممّا يؤكّد أحد المقاصد الهامّة للشريعة الإسلاميّة، وهو الحرص على إسلام الناس، وليس على قتلهم.

٢- خطف الصحابة لبعض أهل الحرم

عن مجاهد قال «أقبل معتمرا نبي الله ﷺ، فأخذ أصحابه ناسا من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبي ﷺ» (٥).
وما يمكن استنتاجه من هذه القصّة أنّ رسول الله ﷺ لم يكن في ذلك الحين يعتبر نفسه في حالة حرب مع المشركين، وقد

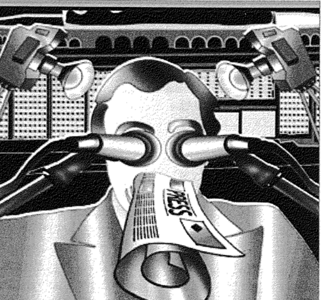
باحث شرعي في المركز العالمي للوسطية

خرج معتمرا، ولذلك فقد أطلق سراح المختطفين باعتبار أنّ الخطف لا يجوز في غير حالة الحرب الفعليّة.

٣- **اختطاف سلمة بن الأكوع وعمه عامر بعض المشركين،** حيث اختطف سلمة بن الأكوع أربعة من المشركين، واختطف عمّه عامر رجلا من العبلات (وهم أبناء عبلة بن عبيد) بعد صلح الحديبية، وأطلق رسول الله ﷺ هؤلاء المختطفين، وقد وردت هذه القصّة في صحيح مسلم (غزوة ذي قرد) يقول سلمة بن الأكوع «...لمّا اصطلحنا نحن وأهل مكّة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها (أي كنسته)، واضطجعت في أصلها، فأتاني أربعة من المشركين، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ (أي يذمونه)، فأبغضتهم، فتحوّلت إلى شجرة أخرى، وعلّقوا سلاحهم واضطجعوا. فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين! قتل ابن زنيم، فاخترطت سيفي، ثمّ شددت على هؤلاء الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، وجعلته ضغثا في يدي (أي حزمة مجموعة)، ثمّ قلت: لا يرفع أحدكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، ثمّ جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ، وجاء عمّي عامر برجل من العبلات، يقال له مكرز، يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجفّف في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال «دعوهم، يكن لهم بدء الفجور وثناه...» (صحيح مسلم، الجهاد والسير، غزوة ذي قرد).

يقول الشيخ فيصل مولوي (٤): وما يستنتج من هذه القصّة هو أنّ الصلح كان قائما بين رسول الله ﷺ والمشركين، ولذلك صبر سلمة على ذمّ المشركين لرسول الله ﷺ، لكنّه عندما سمع بقتل ابن زنيم اعتبر أنّ المشركين نقضوا الصلح فاستباح خطفهم، وهكذا فعل عمّه عامر، لكن يلاحظ أنّ سلمة وعامرا رضي الله عنهما لم يقتلا أحدا من المختطفين، وإنما سلماهم إلى رسول الله ﷺ وهو وليّ الأمر، وأنّ رسول الله ﷺ عفا عنهم، وقال تلك الكلمة الرائعة: «دعوهم، يكن لهم بدء الفجور وثناه». وهي تبيّن بوضوح أنّ مقتضيات الدعوة تتغلّب على مقتضيات القتال والانتقام، وأنّ بدء الفجور وإعادته ثانية هو من أخلاق المشركين، وليس من أخلاق المسلمين، وإذا أبيح للمسلم الردّ على الفجور بمثله، فليس ذلك استجابة للرغبة في الانتقام، وإنما هي محاولة لمنع تكرار الفجور، ولإزالته من ميدان العلاقات الإنسانيّة، ولذلك فإنّ الإسلام يدعو للعفو والصبر، لأنّه عادة يكون أبعد أثرا في منع تكرّر الفجور.

٤- **أسر الصحابة رجلا من بني عقيل، لأسر ثقيف رجلين من الصحابة.**



والحديث كما أخرجه الإمام مسلم بسنده عن عمران بن حصين قال «كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال يا محمد، فأتاه فقال: ما شأنك؟ فقال بم أخذتني وبم أخذت سابقة الحاج، فقال إعظاما لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف، ثم انصرف عنه، فناداه فقال: يا محمد، يا محمد! وكان رسول الله ﷺ رحيما رقيقا، فرجع إليه فقال ما شأنك؟ قال: إني مسلم، قال لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح. ثم انصرف، فناداه فقال: يا محمد، يا محمد، فأتاه فقال ما شأنك؟ قال إني جائع فأطعمني وظمآن فاسقني. قال: هذه حاجتك ففدي بالرجلين. قال: وأسرت امرأة من الأنصار وأصيبت العضباء، فكانت المرأة في الوثاق وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى تنتهي إلى العضباء فلم ترغ، قال: وناقة منوقة، فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت، ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم، قال: ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ، فقالت إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال سبحان الله، بئسما جزتها، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد» وفي رواية ابن حجر «لا نذر في معصية الله» (صحيح مسلم، النذر).

ومما يُستنتج من هذه الحادثة أنّ رسول الله ﷺ أقرّ أصحابه على خطف العقيلي وأسره، باعتباره حليفا لأعدائه المحاربين، لكنّه قضى له حاجته من الطعام والشراب، أي أنّه لا يجوز إيذاء المخطوفين أو تجويعهم.

خطف الصحافيين في الحروب

لاشك أن أعمال الخطف في حال السلم والأعمال المدنية محرم بلا خلاف، وإن ورد في الشرع اختطاف للمحاربين وقت الحرب، لأنهم يباشرون عدوانا، بناء على أن أصل الجهاد في الإسلام لدفع العدوان، فما خرج عن دفع العدوان يكون عدوانا، وهو ممنوع شرعا.

وعمل الصحافة في الحروب وغيرها هو نقل الواقع لمن يجهله، بل وتحريك أصحاب القرار لرفع الظلم عن المظلومين،

وكأن الصحافة هنا- إن التزمت آداب المهنة المتفق عليها- تقوم بدور أساسي في الجهاد الإعلامي، من فضح الظالم- أيا كان، وبيان حقيقته، حتى يتحرك الناس لرفع الظلم عن المظلوم، والوقوف ضد الظالم، ولبيان الحق حتى لا ينقلب المظلوم ظالما، والظالم مظلوما، والباطل حقا، والحق باطلا، وعلى هذا فالصحافة من الأعمال المحترمة شرعا، والتي يجب صيانتها والحفاظ على أهلها، بل يعد الحفاظ على الصحافي الذي ينقل الحقيقة للناس أهم من الحفاظ على غيره من المدنيين، لقيامه بهذا الدور الفعال.

ولقد رأينا كيف كان نقل الصورة محركا للشعوب ضد الظلم والعدوان من المعتدي، ولهذا كان الاعتداء على الصحافيين الذين ينقلون الحقائق ويلتزمون آداب المهنة أشد حرمة وجرما.

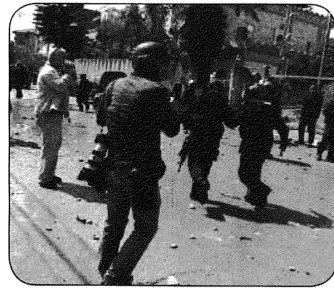
و الدليل على تحريم خطف الصحافيين ما يلي:

١- أن هذا الخطف نوع من الاعتداء، وهو محرم بنص القرآن، قال تعالى ﴿... ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة: ١٩٠) وقد قال العلامة الشيخ القرضاوي: وقد فسر الاعتداء المنهي عنه هنا بأمرين: إما بقتال غير المسلمين الذين لا يقاتلون المسلمين، ولا يعادونهم، أو يظاهرون عليهم عدوا، وإما بقتل النساء والأطفال والشيوخ الضعفاء والزمنى والعميان وأمثالهم ممن ليسوا من أهل الحرب والقتال، وليس لهم فيها مشاركة ببدن ولا رأي. وهو مروي عن ابن عباس.

٢- أن خطف الصحافيين حبس لحرية الإنسان ومن المعلوم أن الحبس نوع من التعزير، والتعزير لا يكون إلا عند ارتكاب خطأ في غير الحدود، ويكون بإذن ولي الأمر، إن كان هناك داع للحبس، وقد قرر بعض فقهاء العصر أن مقاصد الشريعة لا تتوقف عند الخمسة المشهورة، وهي «النفس، والمال، والدين، والعقل، والنسل» بل رأوا أن هناك مقاصد كبرى أيضا قد لا تقل أهمية عن الخمسة، وجعلوا على رأسها الحرية، بل إننا نلحظ أن الله تعالى مع كونه أوجب على الناس الإيمان به، وتوحيده، وعدم الإشراك به، وهو الذي خلقهم وأوجدهم من عدم، وهو الذي يحاسبهم ويرزقهم...إلخ، ومع كل هذا ما أجبر الناس على فعل شيء مما أمرهم به، بل قال تعالى ﴿وهديناه النجدين﴾ وقال ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وقال ﴿لا إكراه في الدين﴾ لأن حقيقة الطاعة لا تكون إلا في جو من الحرية، وقد جبل الإنسان على كره الإكراه، ولو في الخير، فكيف تسلب حرية الإنسان وتستباح؟

الرسالة الإعلامية الصادقة يمكن إدراجها ضمن رسالة الإسلام الإنسانية التي تسعى إلى النفع العام

ثم إن الخطف نوع من الحبس بلا ذنب، ولا يشترط في الحبس أن يكون في مكان معد للحبس، بل قد يكون منع الإنسان عن مباشرة حياته نوعا من الحبس المحرم، وقد عرف الفقهاء الحبس فقالوا «الحبس هو: تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه والخروج إلى أشغاله ومهماته الدينية والاجتماعية، وليس من لوازمه الجعل في بنيان خاص معد لذلك، بل الربط بالشجرة حبس، والجعل في البيت أو المسجد حبس» (٦). والحبس لا يشرع إلا في الاتهام، مع الاختلاف الوارد بين الفقهاء في مشروعيته، وإن كان الراجح جواز الحبس للمتهم، غير أن خطف الصحافيين وحبسهم عن عملهم في غير محله، لأنهم غير متهمين.



ولقد عاب الله تعالى على المشركين محاولتهم اعتقال الرسول ﷺ وحبسه، حين قال ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (الأنفال: ٣٠) فعلم أن الاعتقال والحبس بلا ذنب ولا جريرة محرم شرعا.

٣- القياس على رسل الحرب ومن المعلوم أن رسل الحرب قديما كانوا يبلغون الرسالات بين الطرفين المتحاربين، فيرسل هذا رسولا للآخر، ويرسل الآخر رسولا لمن أرسل إليه، لطبيعة الحياة البدائية آنذاك، حيث لم تكن وسائل الاتصال بهذه السرعة التي وصفت بالثورة (ثورة الاتصالات)، وقد تواضعت الأعراف الدولية، ومعها الشرع، على حماية خاصة للرسول، واتفقت على أن رسل الحرب لا تقتل، فقد ورد عن النبي ﷺ قوله «لا أحبس البرد» أي الرسل. (رواه أبوداود). وقال ابن مسعود: «مضت السنّة أن الرسل لا تقتل» (رواه البيهقي).

بل وصلت عظمة الإسلام في أنه حرم قتل رسل الحرب، وإن كان منهم من لو لم يكونوا رسلا لكان قتلهم مباحا.

فقد نقل الطحاوي في كتابه «مشكل الآثار» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «كنت عند رسول الله ﷺ جالسا فجاءه ابن النواحة ورجل معه يقال له ابن وثال حجر وافدين من عند مسيلمة، فقال لهما رسول الله ﷺ أتشهدان أني رسول الله؟ فقالا: أتشهد أنت أن مسيلمة رسول الله؟ فقال: آمنت بالله عز وجل وبرسوله، لو كنت قاتلا وفدا لقتلتكما» (رواه ابن تيمية وإسناده صحيح)، وساق روايات عن رسل لمسيلمة لم

الصحافيون الذين يحيدون عن وظيفتهم ويساعدون المحتل جاز خطفهم بشكل استثنائي لأنهم باتوا محاربين

يقتلهم رسول الله ﷺ، ثم قال الطحاوي: فتأملنا هذه الآثار طلب الوقوف على المراد بما فيها من رفع رسول الله ﷺ عن الوفود ألا تقتل، وإن كان منها مثل الذي كان من ابن النواحة وصاحبه مما يوجب قتلهما لو لم يكونا رسولين فوجدنا الله- عز وجل- قد قال في كتابه لرسوله ﷺ ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ أي فيتبعه، أي يجب عليه المقام حيث يقيم المسلمون سواه، أو لا يتبعه فيبلغه مأمنه، وكان في تركه اتباعه بقاؤه على كفره الذي يوجب سفك دمه لو لم يأته طالبا لاستماع كلام الله تعالى، فحرم بذلك سفك دمه حتى يخرج عن ذلك الطلب ويصير إلى مأمنه فيحل بعد ذلك سفك دمه، فكان مثل ذلك الرسل الذين يبلغون من أرسلهم عن رسول الله ﷺ جوابه لهم فيما أرسلوا من أجله، وسماعهم كلام الله عز وجل ليكون من يصيرون إليه بذلك يقبله فيدخل في الإيمان، أو لا يقبله فيبقى على حربيته، وعلى حل سفك دمه، فهذا عندنا هو المعنى الذي به رفع رسول الله ﷺ عن الرسل القتل، وإن كان منهم ما يوجب قتلهم لو لم يكونوا رسلا (٧).

ولو كان رسول الحربيين مرتدا عن الإسلام، وهو ما يوجب القتل عند بعض الفقهاء، فإن بقاءه في وظيفته كرسول يرفع عنه الاعتداء بأي شكل من أشكاله، فيكون الحفاظ على الصحافي- أيًا كان دينه أو معتقده- أولى.

وإن كان الإسلام قد أمر بالحفاظ على الرسول الحربي، الذي جاء من عند العدو المحارب، وحفظ له حياته، فكان الإبقاء على حياة الصحافيين الذي يمثلون رسلا عامة للمجتمع الإنساني أولى بالحفاظ عليها، وعدم التعرض لهم بالقتل أو الحبس أو أي صورة من صور الإيذاء.

٤- أن الصحافيين من المدنيين الذين لا يجوز التعرض لهم، والمتتبع لدستور الأخلاق في القتال والجهاد يرى أن الإسلام استثنى أصنافا من الناس، كالمرأة والشيخ الهرم، والصبي الصغير، والراهب في صومعته، وأهل الكنائس الذين لا يخالطون الناس، والفلاحين الذين يقومون بزراعة أرضهم والأجراء عند الناس...الخ، وقد صحت بذلك الآثار عن النبي ﷺ وصحابته، أما عن الفلاح، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال «اتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب»، وأما الأجير، فلما روي عن حنظلة بن الربيع قال «غزونا مع رسول الله ﷺ فمررنا على امرأة مقتولة قد اجتمع عليها الناس، فأفرجوا له، فقال: ما كانت هذه تقاتل فيمن يقاتل، ثم قال لرجل انطلق إلى خالد بن الوليد فقل له إن رسول الله ﷺ يأمرك، يقول: لا تقتلن ذرية ولا عسيفا» (صحيح ابن ماجه)، وأما الشيخ الكبير فلما روي أن النبي ﷺ قال «لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة» (رواه أبوداود) ولما روي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ولا تعتدوا﴾ يقول «لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير»، وروى مالك في الموطأ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه أوصى يزيد بن أبي سفيان- أحد قواده إلى الشام- فكان مما قال له «إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله (يعني الرهبان) فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما...» ونقل الحطاب- من فقهاء المالكية- عن بعض الفقهاء أنه لا يجوز قتل الأجراء والحراثين وأهل الصناعات إذا لم يخش من جهتهم، وأمنت فتنتهم (٨).

والعلة التي أعفت هؤلاء من القتل أنهم- بلغة عصرنا- مدنيون لا يشاركون في القتال، وإن كان الفقهاء قديما نصوا على عدم التعرض لهؤلاء، فإنه يلحق بهم كل مدني لا يشارك في القتال، وعلى رأسهم الصحافيون.

٥- أن الخطف خلف للوفاء بعقد الأمان والعهد وذلك أن الدساتير الدولية أجمعت على أن العاملين في الصحافة ممن لهم عقد الأمان، ولهم ذمة وعهد في أية دولة يدخلونها، وذلك بموجب دخول الدول في هيئة الأمم المتحدة، وقد نصت المادة ٧٩ من البروتوكول الإضافي الأول الملحق باتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩ «يعد الصحفيون الذين يباشرون مهمات مهنية خطرة في مناطق النزاعات المسلحة أشخاصا مدنيين... يجب حمايتهم بهذه الصفة بمقتضى أحكام الاتفاقيات وهذا البروتوكول، شريطة ألا يقوموا بأي عمل يسيء إلى وضعهم كأشخاص مدنيين، وذلك دون الإخلال بحق المراسلين الحربيين...» وهذا قانون دولي يوافق دستور الإسلام في عدم التعرض للمدنيين، ونحن لا نقول إن الإسلام وافق اتفاقية جنيف، بل نقول: إن اتفاقية جنيف أقرت ما ذهب إليه فقهاء الإسلام.

٦- خطف الصحافي امتهان لكرامة الإنسان الذي فضله الله بها على كثير من خلقه كما قال تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء: ٧٠)، فمن أهم ما كرم الله تعالى به الإنسان أن يعيش حرا غير مقيد عند أحد، فهو فرد في المجتمع الذي يعيش فيه، ليس لغيره سلطان إجبار عليه، بل سخر الله تعالى للإنسان ما في الكون، فهو صاحب الحرية، وغيره فاقدها.

٧- خطف الإنسان نوع من الإفساد: من المعلوم شرعا أن رسالة الإسلام هي رسالة إصلاح إنساني، ولهذا خاطب الله تعالى رسوله ﷺ مبينا طبيعة هذه الرسالة بأنها رحمة للعالمين، فقال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وأوضح الله تعالى أن من أهم أهداف تواجد البشر على الأرض التعمير، فقال تعالى ﴿واستعمركم فيها﴾ (هود: ٦١)، ونهى عن كل فساد وجعله محرما، وإن كان الفساد الذي يقوم به الإنسان محرما، فإن الإفساد أشد حرمة، قال تعالى ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (البقرة: ٦٠)، وقال ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقال ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص: ٧٧).

٨- القياس على الأسر ومن

المعلوم أن الأسر إنما يكون في الحروب للمحارب، بل إن الفقهاء ذهبوا إلى أن الأسير إذا طلب الأمان، أعطي إياه، وحرم التعرض له بالقتل أو إتلاف المال أو غير ذلك، وبهذا قال الثوري والأوزاعي والشافعي وإسحاق وابن القاسم وأكثر أهل العلم، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٩). فإن كان هذا في الأسير الذي وقع في أسر المسلمين، وهو محارب لهم، معتديا عليهم، فإن إعطاء الأمان أولى للصحافي الذي لا دخل له بالقتال.

بل لا يجوز أسر الصحافي الذي يلتزم بمهنته، لأنه عمل مدني في المقام الأول، والأسر لا يكون إلا للمحاربين ومن والاهم، ثم إن الواقع يقول: إن كثيرا من الصحافيين لا علاقة لهم بالجيش، لأنه في الغالب من بلد غير بلد المحتل، بل إنه ليس لازما أن يكون الصحافي- الذي هو من بلد المحتل- مساعدا له في ظل المؤسسات الإعلامية المعارضة للأنظمة.

وإن جوز الفقهاء قديما أسر بعض الفئات غير المقاتلة، فإن الفتوى يجب أن تراعي الواقع، لأن الوضع الدولي القديم كان يجعل الدولة كتلة واحدة، وقد قالوا قديما «الناس على دين ملوكهم»، فلم يكن يظهر هذا التمييز الذي نراه في عصرنا، وبالتالي فلا يمكن الحكم على كل من ينتمي لجنس المحتل على أنه ضمن الاحتلال، بل يجب التفريق بين من هو مدني ربما يخدم قضية من اغتصبت أرضه، كما هو الشأن في العمل الإعلامي والصحافي، وبين من هو عسكري أو تابع للجيش بالمفهوم الحديث، لأن الجيش في القديم كان مقصورا على من يحملون السلاح وبعض الفئات الأخرى، أما الآن فالجيش أكثر تعقيدا، فكل من كان في خدمة الجيش، فهو محتل، يجب جهاده، وكل من لا علاقة له بعمل الجيش والاحتلال لا يمكن إدراجه ضمن الجيش المحارب، ولا أن نعامله معاملة المحتل.



متى يجوز خطف الصحافي؟

والاستثناء الوحيد الذي يجوز فيه أسر الصحافي وخطفه هو أن يترك عمله كصحافي، وينضم إلى جيش الاحتلال بأي صورة من صوره الحديثة، أو يتخلى عن العمل الصحافي وفق نظرية المسؤولية الاجتماعية للصحافة، والتي تدعو إلى ألا يكون الإعلام قائما على الكسب بما يضر مصالح المجتمع الإنساني، ومن العجيب أن يكون أساس هذه النظرية التي طرحت بشكل معاصر بتقرير «لجنة حرية الصحافة الأميركية الصادر عام ١٩٤٧م» والذي نبه إلى أن التجاوزات التي تحدث من قبل الإعلام والصحافة لها أكبر الضرر على المجتمع، وهو التقرير الذي يعد أساس نظرية المسؤولية الاجتماعية للصحافة، التي جاءت مراجعة للنظرية الليبرالية التي سادت الإعلام والصحافة الغربيين حتى أربعينيات القرن (١٠).

الخلاصة

١- إن الرسالة الإعلامية الصادقة، التي لا تدفعها الأهواء والمصالح الشخصية يمكن إدراجها ضمن رسالة الإسلام الإنسانية، والتي تسعى إلى النفع العام.

٢- إن حالات الخطف التي تمت في عهد الرسول ﷺ كانت لمحاربين اعتدوا على المسلمين بالقتل، وكانوا على منهجهم في محاولة قتل كثير من المسلمين، وهي حالة واحدة كانت بأمر الرسول ﷺ، وما سواها من حالات الخطف، فإن الرسول ﷺ رفضها، لأنه لم يكن في حالة حرب مع المشركين، وأنه أوصى للمخطوفين المستحقين للخطف بحسن المعاملة.

٣- إن خطف الصحافيين منهي عنه شرعا، لأنه جمع في فعله محرمات عدة، فهو نوع من الاعتداء، وحبس لحرية الإنسان، والصحافيون من المدنيين الذين لا يجوز التعرض لهم، والخطف خلف للوفاء بعقد الأمان والعهد، وامتهان لكرامة الإنسان الذي فضله الله بها على كثير من خلقه، وهو نوع من الإفساد، ونوع من الأسر، وهو لا يجوز لغير الحربي في الأصل، وإن كان الإسلام آمّن رسل الحرب، وحرم قتلهم، فإن الصحافي بمثابة رسول محايد، فكان الاعتداء عليه إثم.

٤- إن من وقع في الأسر والخطف لا يجوز الاعتداء عليه، بل الواجب إحسان معاملته، اقتداء بهدي النبي ﷺ.

٥- إن من حاد من الصحافيين عن دوره ووظيفته، وقام بعمل يساعد المحتل، جاز خطفه في هذه الحالة، وهو أمر استثنائي، لأن الصحافي- في هذه الحالة- تخلى عن وظيفته، وأصبح محاربا بشكل من الأشكال.

٦- إن الإسلام وإن طلب توفير الحماية للمدنيين في الحروب، فإن عمل الصحافي- في أصله- يجعل الدعوة لحماية الصحافيين في المرتبة الأولى من الحماية.

الهوامش

١- معجم المحيط لأديب اللجمي، وشحادة الخوري، باب: ص- ح- ف.
٢- المعجم الوسيط: ص- ح- ب.
٣- احتجاز الرهائن في ميزان الإسلام، بحث للشيخ فيصل مولوي، منشور على موقع إسلام أونلاين.نت.
٤- المرجع السابق.
٥- تفسير الطبري (٢٦-٥٩).
٦- الموسوعة الفقهية، ج ٣٨٢/٦١.
٧- مشكل الآثار للطحاوي، ج ٩٩٢/٤-٢٠٣.
٨- مواهب الجليل شرح مختصر خليل، للحطاب، ج ٢٥٣/٣.
٩- المغني، ج١٩٥/٩.
١٠- المسؤولية الاجتماعية للصحافة، د.محمد حسام الدين، ص١٦، الدار المصرية اللبنانية.
١١- المرجع السابق.

أثر النصيحة في ترشيد السلوك

اسلوب الاستغراق الذي يشتمل على مستغرق ومستغرق فيه، قليل في شواهد بيان اللغة العربية، وهو، حسب علماء البلاغة والبيان- يدلّ على خطورة وعظمة أمر ما «يُطلق عليه أيضا اسم: أسلوب أو صيغة القصر»، وفي السنة النبوية الشريفة، نستحضر الآن شاهدين لهذا الأسلوب، الشاهد الأول قوله ﷺ «الحج عرفة» «رواه أحمد والترمذي»، فالوقوف بعرفة في الحج مستغرق في الحج، حتى كأنما الوقوف بعرفة هو الحج عينه بكل أركانه وسننه ومستحباته، وذلك لبيان علوّ شأن هذا الركن الجليل- أي الوقوف بعرفة في فريضة الحج.

أما الشاهد الثاني فيتمثل في الحديث النبوي الشريف، الذي يرويه الصحابي الجليل تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الدين النصيحة» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه البخاري ومسلم والترمذي).

ففي هذا الحديث الشريف أيضا حصر رسول الله ﷺ الدين في النصيحة، حتى لكأن النصيحة تستغرق الدين كله، أو كأن الدين كله يقتصر على النصيحة، وذلك لخطورتها، وعلوّ منزلتها، لمقتضى ومغزى ما يترتب عليها من جلب المصالح ودفع المفاسد، على المستويين العام والخاص معاً.

والنصيحة تعني- أول ما تعني- إرادة ورجاء الخير للمنصوح له، وهي من فروض الكفاية للمؤهلين لها، كأهل الحسبة ومنْ هم في منزلتهم، لكنها تعتبر أيضا من العينيات في حدود المسؤولية الخاصة، مثل دائرة العلاقة بين الأولياء والأبناء «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...» (رواه البخاري) أي أنها واجبة بقدر الطاقة البشرية، لاسيما عند توقع قبولها، والعمل بمقتضاها.

وبما أننا لا نلمس للنصيحة في واقعنا الإسلامي تلك المنزلة التي يضعها فيها الحديث النبوي المذكور، وإسهاماً في إحياء وبعث هذا النزوع القيمي في واقع السلوك الإسلامي، و في العلاقات العامة بين المسلمين، سواء داخل الأسرة المسلمة، أو في نطاق الحراك الاجتماعي والاقتصادي والفكري والتربوي والسياسي بأبعاده ودواعيه المختلفة، نسوق هذه النصيحة الهادفة التي قدمتها امرأة أعرابية أو بدوية بسيطة لابن وبنت لها.

قالت هذه المرأة صاحبة الفطرة الصافية، والعاطفة السليمة مخاطبة ابنها: أي بُني، إياك والنميمة.. فإنها تزرع الضغينة، وتفرّق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب، فتُتخذ غرضا، فخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضاً إلاّ كَلمَتْه حتى يهي (يضعف وينهار) ما اشتدّ من قوته، وإياك والجود بدينك، والبخل بمالك.

وإذا هززتَ «الهزاهز: الشدائد والفتن التي تهزّ الناس، والمراد: إذا عرضت لك محنة وشدة فاعرضها على كريم، يحس بما يحس به الآخرون» فاهزز كريماً يلنْ لهزتك، ولا تهزز لئيماً، فإن الصخرة لا ينفجر ماؤها. ومثّل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه، ومن كانت مودته بشرُه وخالفَ ذلك منه فعلُهُ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها. والغدر أقبح ما تعامَل به الناس بينهم، ومَنْ جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلّة رَيْطتها (ثوب رقيق يشبه الملحفة) وسربالها (القميص).

ثم نصحت ابنتها ليلة زفافها فقالت: أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنتْ عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتهما إليها، لكنتِ أغنى الناس. أي بنية، إنك فارقت الجو

إبراهيم نويري

الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فاحملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً: اصحبيه بالقناعة، وعاشريه بحسن السمع والطاعة، وتعهدي موقع عينيه، فلا تقع عينهُ منك على قبيح، ثم اعرفي وقت طعامه، واهدئي عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضَة.

ثم اتقي مع ذلك الفرحَ أمامه إنْ كان ترحاً، والاكتئابَ عنده إنْ كان فرحاً؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

وكوني أشد الناس له إعظاماً، يكن أشدهم لك إكراماً، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت، والله يخيّر لك.

أحسب أن هذا السلوك الراشد، الذي بواسطته تنتقل الخبرة بالحياة وعوادي الزمن، لو تحول إلى قاعدة سلوكية في التوجيه والإرشاد، ينطلق منها الأولياء لنصح وتربية وإعداد الأبناء، لتحقق خيرٌ وفيرٌ، لصالح الأسرة المسلمة، ولتمّ تجنب الكثير من الأخطاء والهنات التي كثيراً ما يقع فيها الأبناء نتيجة ضعف خبرتهم بالحياة، وغياب الرؤية الصحيحة في الاهتداء إلى المسالك والحلول الأقرب إلى الصواب والرشد.

خطاب البذل والإنفاق وأثـ

تجربتي الدعوية مع رواد مسجد سلمان الفارسي بتبسة أنموذجا

د. أحمد عيساوي

قال الله سبحانه وتعالى﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (التوبة:٦٠) .

سؤال مصيري واستراتيجي يفرض نفسه على المشتغلين في حقل الدعوة الإسلامية ويتوجب أن يطرحوه باستمرار، لأنه يدخل إلى فضاءاتهم الفكرية والنفسية والروحية والأدبية والمنهجية من غير استئذان، ومن غير تردد ولا خجل، بل يجدون أنفسهم محاصرين به بُعيد أو قُبيل كل نشاط ديني ذاتي، أو جمعي، أو اجتماعي، أو فكري، أو ثقافي، أو تربوي، أو إعلامي، لأنه يشكل عقدة مفصلية في فضاء الوعي الرسالي بحقيقة رسالة الإسلام التي نزلت على سيدنا محمد ﷺ، ومحطة محورية رئيسية لحامل الخطاب الديني الإسلامي الواعي، الذي يجد نفسه محاصرا بطرحه باستمرار، ولأن طرحه يشكل أيضا خطا بيانيا فاصلا بين حامل الخطاب الواعي، عن مثيله الذي تعج به الكثير من المساجد.

هذا السؤال المحوري جعله الله في جبلة ومكونات هذه العملية الدعوية الدينية، لا غنى لها عنه في سائر أركانها الرئيسية، وفحواه هو: ما دور وأثر فعلي التربوي والتأثيري في جمهور المدعوين؟، وهل لجهودي الدعوية تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة في تغيير أفكار ورؤى ومعتقدات وقناعات وسلوكات وحياة جمهور المدعوين؟ وبعبارة أخرى: هل لدوري الديني من أثر في حياة المدعوين؟ أم أنا مجرد محطة إذاعية تلقي من غير فائدة؟ مع تسليمي المبدئي بالقاعدتين الذهبيتين في المنهج الدعوي التي يوضح أولاها قول الله سبحانه وتعالى ﴿فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ (الروم: ٥٢- ٥٣). والقاعدة الدعوية الثانية التي يفصّل حكمتها ويجمل ضوابطها قوله سبحانه وتعالى ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ (التغابن: ١٢) . وقول رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة وأفضل التسليم «فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» (صححه الألباني)

وهذا السؤال الوجيه له مكانة كبيرة عند الاجتماعيين، والنفسانيين، والإعلاميين، والسياسيين، والتربويين، والاقتصاديين، الأكاديميين منهم أو المهتمين المتابعين أو العاملين في مراكز قياس الرأي، وحركية المجتمع، إذ ينظر كل واحد منهم تجاهه بزاوية معينة، ويتعامل كل منهم معه بطريقة معينة، تختلف منطلقا ووسيلة وممارسة وأثرا وهدفا ونتيجة، بحسب أدوات ومنهج ووسائل كل تخصص علمي على حدة.

ويُفترض أن يكون لهذا السؤال المحوري حيز كبير لدى مراكز البحث والمتابعة في وزارات الشؤون الدينية في العالم العربي والإسلامي، نظرا لما ينطوي عليه من قيم إيصالية وإعلامية ودعائية وعقائدية، ترتبط ارتباطا وثيقا بقدرة القيادة السياسية في التحكم والتوجيه والقيادة والتسيير والمتابعة والمراقبة، وفي الحد من بعض الظواهر، والتقليل من بعض المخاطر، وفي بث وتعميم السياسة المنتهجة من قبل السلطة، وفي الدعاية المقنعة للتوجه العام للنظام القائم.

ولذا يُعد ركن «أي تأثير»؟ أو بأي ردة فعل؟ أو رجع الصدى أو أثر الرسالة في الجمهور من بين أهم الحلقات الواجب تتبعها ودراستها ضمانا لمكاسب كثيرة، واتقاء لمخاطر كثيرة، ودرءا لتأويلات وانحرافات متعددة.

فهو - بالإضافة إلى ما يوفره للجهات القائمة من حقائق ومعلومات عن ميول وحقيقة اتجاهات الرأي الوطني العام - يضمن توفير الجهد والزمن والمال والطاقات المادية والمعنوية المبذولة، والتي يُظن أنها تسير في

وتعاونوا

التكامل والتراحم والتعاون ونجدة الضعفاء والفقراء والمظلومين فريضة شرعية وضرورة حياتية وأساس متين تقوم عليه وحدة الأمة وديمومتها وتلك الأمة التي وصفها المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾

وحين التزمت امتنا بهذه المبادئ كان لها الريادة والتمكن في الأرض حيث فرضت هيبتها ومكانتها على أمم الأرض جميعا وبلغت ما بلغت من رفعة وتقدم وازدهار.

إنّ امتنا اليوم تمر بأزمات عديدة على كل صعيد وما ذلك إلا لأنها انحرفت عن تلك المبادئ والقيم السامية النبيلة الداعية إلى التراحم والتواصل والبر والإحسان وأخذت تسير بعيداعنها لا هثة وراء ماديات الغرب وحضارته الزائفة اعتقاداً منها أن طوق النجاة لها إنما يكمن في التقليد الأعمى لتلك الحضارة التي تحمل في داخلها ومنذ نشأتها وحتى اليوم عوامل انهيارها وسقوطها من أثرة وطمع وقهر وظلم وما الأزمة المالية الأخيرة التي عصفت ولا تزال تعصف بها إلا دليلاً عملياً وواقعياً على صدق ما نقول..

لقد حاولنا من خلال هذ الملف الذي نضعه بين أيدي الإخوة القراء والاخوات القارئات التركيز على القيم والمبادئ النبيلة التي قامت عليها حضارتنا الإسلامية والتي تلاقي اليوم رواجاً وقبولاً ليس عند المسلمين فقط الذين جربوا إيديولوجيات الغرب والشرق ولم يجنوا من ورائها إلا الخسران والخيبة بل عند كثير من اتباع الشرائع والملل والدعوات الروحية الأخرى التي تشهدها الساحة العالمية المعاصرة.

إعداد : تمام الصباغ

ـره البيباني في خط الطاعة

الصالح العام للخطة، وهي في حقيقتها جهود مبذولة في الفراغ. حيث يتمكنون من خلال المتابعة الدائمة لصيرورة ومؤشرات وتطورات بيانات الخطاب من التعرف على نتائج نجاح الخطة الكلي أو الجزئي، أو فشلها، الأمر الذي يقودهم إلى اتخاذ القرار المناسب.

فالاجتماعيون المهتمون بدراسة التطور الاجتماعي للفرد وللجماعة وللمجتمع. يتعاملون مع هذا السؤال من منطق قياس وسبر الأسس والمبادىء التي تتحكم في صيرورة التطور والتخلف والتغير الاجتماعي، بمنهج الإحصاء والمسح البياني أو التحليلي أو الاستبياني العشوائي أو الانتقائي.. ومن خلال توزيع الاستمارات يتمكنون من تحديد بعض الإجابات التقريبية حول حقيقة التأثير والتأثر والأثر الذي يتركه الداعية أو الخطيب أو الموجه الاجتماعي من قادة الرأي، ويعرفون مدى وحجم ومكانة وقدرة وأثر وفاعلية التأثير الاجتماعي الذي يتركه هذا الداعية في المجتمع.

وإذا كان هذا هو شأن الأكاديميين والمهتمين والسياسيين في الاهتمام والبحث والدرس والتحليل والمتابعة، فإنه من باب أولى على القائمين على توجيه الرسائل الدينية نحو الجماهير المختلفة أن يكونوا أكثر انفتاحا وتفهما وإقبالا على إيلاء هذا الركن مكانته في نجاح أو فشل العملية الدينية.

الدواعي والأسباب

يمكن إجمال دواعي وأسباب الخوض في هذه التجربة الدعوية والإرشادية المسجدية فيما يلي:

١ - دراسة خط الطاعة الحقيقي من خلال تتبع روح وآلية البذل والإنفاق لدى الفرد الجزائري من خلال روح البذل والعطاء الصادرة منه واقترابه من صندوق الزكاة.

٢ - معرفة الآليات الدعوية الحقيقية والناجعة للتأثير في جمهور المدعوين ما يدفعه للتفاعل الإيجابي مع صندوق الزكاة.

٣ - الخشية من هيمنة الخطاب المتشدد والمتنطع والمنفر المدعوم من قوى مذهبية خارجية عملت على تفتيت الوحدة العقدية والفروعية للأمة الجزائرية، التي تجد من خطابات الصدقات والزكاة والإنفاق معبرا لبث الفتاوى الظاهرية لإبعاد جمهور المدعوين عن صندوق الزكاة.

٤ - الخوف على تشتت المواطن الجزائري أمام زخم وسيولات القنوات الفضائية الدينية العربية والإسلامية السنية الوسطية، وغيرها التي تجهل مكانة صندوق الزكاة والآمال المعلقة عليه في القطر الجزائري.

٥ - ضياع قيمة الدين في نفس المواطن الجزائري بعد حملات التشويه والتهجم التي تعرض لها الإسلام من خلال ما راج كذبا وزورا وأشرا باسمه في العشريتين السالفتين، واستمرار هذه الصورة النمطية عنه إلى اليوم.

٦- ارتفاع معدلات الجريمة من: قتل وضرب واعتداء وتهديد.. والتسبب في الجروح العمدية والإعاقات الدائمة، والعنف والعنف المضاد في سائر شؤون الحياة، والتعدي الفاضح على قوانين البيئة والعمران والطرقات والآداب العامة، وارتفاع ضحايا وخسائر ونتائج حوادث المرور، والتفنن في أنواع السرقات، والتهريب، والتهرب الضريبي، وانتشار ابن الزنى بشكل لافت للانتباه، والاعتداء على الأصول، فضلا عن تعاطي المحرمات بشكل مقلق كالمخدرات والمسكرات والمفترات.

مقومات خطاب البذل المؤثر

يجب أن يتضمن خطاب الإنفاق والبذل الإسلامي الناجع العناصر الآتية:

١- فيما له صلة بشخصية المتكلم

إن سمعة ومكانة وصدق وأخلاق الملقي ضرورية جدا في نفاذ الخطاب للأعماق، ثم إن سيرة الشخص بين الجماعة مهم جدا في فاعلية الخطاب الديني ولاسيما ما تعلق بجانب المال، حيث العامة من الناس شديدة الحرص على جيوبها، شديدة الحرص على مالها، لا تنفقه إلا بعد طول تدبر وتوسم ونظر، وقد بينت التجربة قيمة وأهمية هذه الحقيقة.

الخطاب الإنفاقي يجب أن يركز على خطورة ترك الفرائض وعدم العمل بها

٢- فيما له صلة بعناصر الخطاب

يجب أن يتضمن الخطاب الإنفاقي العناصر التالية:

١ - تحديد قيمة وقداسة الفرائض كعامل مهم لاكتساب العضوية في جماعة المسلمين.

٢ - التنبيه لخطورة ترك الفرائض والاستهزاء بتركها وعدم العمل بها.

٣ - خطورة ادعاء الانتماء للإسلام بغير العمل بفرائضه مع التنبيه لخطورة وحكم تارك ومنكر الفرائض جحودا وإهمالا وكسلا وجهلا.

٤ - قيمة هذه الفريضة في البناء الاجتماعي والكياني للأمة.

٥ - تبيان قيمتها من حيث فوائدها ومنافعها الفردية والاجتماعية والكيانية المادية والروحية.

٦ - تبيان قيمتها النفسية والوجدانية في تخليص النفس من الأمراض والعقد النفسية كحب الكنّ والكنز والبخل والأثرة والأنانية.

٧ - قيمتها في التجسير الإيجابي مع الآخر وزراعة المشاعر النبيلة بمشاركة الآخر همومه وآلامه والسعي في حل مشاكله والتخفيف من معاناته.

٨ - قيمتها في نشر التوادد والتعاطف والمحبة والتراحم وروح الأخوة التي هي قوام الحياة.

٩ - قيمتها كآلية لتضييق الشقة الطبقية ورفع مستوى النمو.

١٠- قيمتها في حماية المجتمع من الصراع والتطاحن والتناجش.

١١- قيمتها في تجنيب المجتمع الانحرافات



والتداعيات الأخلاقية والتربوية.

١٢- قيمتها في صهر أفراد المجتمع ضمن نسق اجتماعي سوي بعيد عن الأمراض والانحرافات.

١٣- قيمتها في حماية الأعراض والكرامات والشرف للفئات المحتاجة كالأرامل والمطلقات واليتامى والمشردين وكبار السن والمعوقين.. وكل من هم بحاجة للعطف.

١٤- قيمتها في الحفاظ على توازن المجتمع وضمان العلاقات الشريفة فيه.

١٥- الحد من تضخم رؤوس الأموال وتجمع الثروة في أفراد قليلين ما يؤدي إلى نشوء طبقة المترفين والترف.

١٦- قيمتها في قتل روح الحقد والحسد والغيرة والنقمة والسخط على الطبقات الغنية في المجتمع.

١٧- قيمتها في تطهير المزكي مما لحق به في تجارته من حظ الشيطان والنفس والهوى، وفي تنقية روحه ووجدانه مما علق به من مشاعر اللوم والعتاب عن تقصيره في تخلف وفقر المجتمع.

١٨- قيمتها في القضاء على الدعوات الهدامة الساعية لتمزيق وحدة الأمة عن طريق التغني بمشاكل وآلام الفقراء.

١٩- قيمتها في قطع دابر الفقر الجلّاب لكل الرذائل والموبقات.

٢٠- إدراك قيمة آخر آية الزكاة وفقهها على وجهها السليم ﴿عليم حكيم﴾ في قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (التوبة:٦٠).

نتائج الدراسة

وما يمكننا تصوره وتشخيصه وعرضه بشكل تقريبي من نتائج ينحصر في التالي:

بالنسبة لمستويات المصلين والمصليات الاجتماعية والاقتصادية

١ - بيّن أن جل المصلين والمصليات من الفقراء أو الذين هم دون مستوى الفقر.

٢ - أن خط الطاعة والتدين متدن جدا في الطبقات الفقيرة.

٣ - أن الخضوع لسلطان الدين وطاعة المرجعيات تلاشى حتى لدى أدنى الطبقات، وهو مؤشر خطير عن حالة الإغماء واللاوعي والتلاشي التي مست الطبقات الدنيا من المجتمع.

المطلوب من القائمين على توجيه الرسائل الدينية أن يكونوا أكثر انفتاحاً وتفهما لخطاب البذل والانفاق

٤ - أن عامل التدين لدى الطبقات الفقيرة العريضة هو تدين وراثي أو انتفاعي أو شكلي أو آني أو مصلحي.

٥ - بين أن القلة من المصلين والمصليات من ذوي المكانة الاجتماعية والاقتصادية الجيدة .

٦- أن خط الطاعة ضئيل أيضا لدى الفئات الجيدة اقتصاديا واجتماعيا .

٧ - أن سلطان الدين والخضوع لضوابط الشريعة تلاشت عند النخبة أيضا، وهو مؤشر خطير على المناخ الثقافي والفكري والعلمي الذي آلت إليه النخبة.

٨ - سلبية النخبة وانسلالها من مشروع تشييد الوعي والنهوض بالطبقات المسحوقة من الأمة من الناحية الفكرية والعلمية والأدبية والسلوكية والأخلاقية، فضلا عن المالية والمادية.

٩ - أن عامل التدين لدى النخب انطوائي وغير فعال، وانعزالي وغير موّار، بحيث تكتفي النخبة بممارسة العبادة والتدين ممزوجة بالسلبية المفرطة والانطوائية المثبطة.

١٠- ضآلة أسئلة فقه المعاملات بشكل لافت للانتباه، حيث لم تتعد أسئلة البيوع والأقضية والدين والرهن ورد العارية والزكاة تسعة عشر سؤالا ١٩ طلبة سنوات الاختبار الأربع.

١١ - كثرة أوراق طلب المساعدة المادية والأدبية والمعنوية والروحية، ما يبين تواضع همة المصلي الجزائري، ونشدانه الأدنى. فقد تلقيت الكثير من طلبات إهداء الكتب، وجمع المال والصدقة، وما رافقها من بكاء وتأسف وتألم وتصنع باد للعيان.

ومن هنا يمكننا فهم اتجاه التدين الحقيقي لدى الفرد الجزائري، ولدى النوعية المتميزة والجيدة منهم، ممن يقيم الصلاة ويحضر الدروس والمواعظ والجمعات، ويؤدي بعض فرائض الإسلام، وبالتالي يمكن للقائمين على الخطاب الديني تعديل الاتجاه العام لمنحى التوجيه، وتصحيح المسار الرسالي لمضامين الخطاب وفق الجهة المبتغاة، ضمانا للفوز والنجاة في الدنيا، ورغبة في الفلاح بجنة الآخرة. وصدقت حكمة الله القائلة ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه: ١٢٣- ١٢٦).

إصلاح المجتمع من مبادئ الإسلام

محمد إبراهيم مشالي

إن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده- كفل مصالح الأفراد والأمم جميعا دينية ودنيوية على أوسع نطاق، وصلح لذلك في جميع الأزمة ولجميع الشعوب، فهو دين الإنسانية الخالد، وذلك لما اشتمل عليه من المبادئ القويمة والمثل العليا، والتعاليم السامية، والإرشادات الحكيمة. فهو دين الحياة والإصلاح، دين الرقي والحضارة، دين الحق والخلود، دين قيادة وتوجيه، دين تكافل وتعاون وأخوة وتضامن، دين صالح لكل زمان ومكان كافل لسعادة البشرية.

دين ارتضاه الله لنا ليكون مسك الختام لجميع الشرائع السماوية، قال الله تعالى: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (المائدة -٣).

فكم لهذا الدين من محاسن كثيرة وفضائل جمة، وآثار جليلة، تحمل ذوي العقول السليمة والفطر المستقيمة على التمسك به، والتحلي بآدابه، والاهتداء بنوره، وكلما كان المرء سليم العقل نير البصيرة، صحيح الوجدان، اشتد تعلقه بهذا الدين لما فيه من جليل المحاسن وجميل الفضائل.

لقد أخرج الله بهذا الدين القويم العرب الأميين إلى عالم أفضل، لا وثنية فيه، وإلى حضارة جيدة في سياج من الخلق والفضيلة، أخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ومن الجهل الى العلم، ومن الخمول الى الشهرة، ومن الجمود والركود الى التفكير الناضج والعمل المفيد، ومن التفرق والتطاحن الى الاتحاد والتضامن، وأبدلهم بالخوف أمنا، وبالضعف قوة، وبالذل عزا، وبالعداوة محبة، وبالتفرق وحدة، وبالتوحش والهمجية حضارة ومدنية، وبجفاء الطبع وغلظ الأكباد رأفة ورحمة، قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور-٥٥).

لقد صاغ هذا الدين المسلمين جيمعاً على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم عرباً وعجماً في قالب واحد، وصهرهم في بوتقة واحدة، فكانوا اخوانا، وألف بين قلوبهم فكانوا أمة شديدة، عظيمة القوة مسموعة الكلمة، واسعة السلطان، منهم اساتذة العالم، سياسة وعلما وأدباً، وأئمة الفنون اختراعا وتطبيقاً وعملا، قلمهم يكتب فيطاع، وسلاحهم ينتضي فيهاب، وراياتهم تخفق فوق ربا الكون فيجري من تحتها العدل والسلام فبنوا مجداً وسيادة وكانوا خير أمة تمثل الشهامة والكمال والحكمة.

لقد هامت بحب هذا الدين النفوس الطاهرة، التي لم تتدنس لأنها أدركت مزاياه. ولا عجب فهو دين نشر نفسه بنفسه، من غير تبشير من أهله، ولا إغراء بمنصب أو وظيفة أو مال أو عمل، دين يكيد له حساده من يوم نزوله وهو كما ترون لم يطفأ له نور.

ولم يضعف له برهان ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (التوبة -٣٢).

دين نرى مبغضيه يقتربون منه يوماً بعد يوم، من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، ذلك لأنهم بهذه المكتشفات الحديثة، والمخترعات الجديدة لم يزيدوا على أنهم به يصدقون، وبفضله يشهدون.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيئ شهيد﴾ (فصلت -٥٣).

دين لا يفرق بين أبيض وأسود، ولا بين عربي وعجمي، الكل في حق الحياة سواء لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى فهي الشرف الحقيقي ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات -١٣).

وأثر عن الإمام محمد عبده أنه قال: «إذا أحسست من أمة ميلا إلى الوحدة، فبشرها بما أعد الله لها في مكنون غيبه من السيادة العليا».

إن اقتراب أعداء هذا الدين منه يوماً بعد يوم لدليل علي قوته وأصالته



الشباب والعمل التطوعي

د . مصطفى محمود عبدالسلام

يعتبر العمل الاجتماعي التطوعي من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحالي، ويكتسب العمل الاجتماعي اهمية متزايدة يوما بعد يوم، فهناك قاعدة مسلم بها مفادها أن الحكومات سواء في البلدان المتقدمة أو النامية، لم تعد قادرة على سد احتياجات أفرادها ومجتمعاتها، فمع تعقد الظروف الحياتية ازدادت الاحتياجات الاجتماعية واصبحت في تغير مستمر، ولذلك كان لابد من وجود جهة أخرى موازية للجهات الحكومية تقوم بملء المجال العام وتكمل الدور الذي تقوم به الجهات الحكومية في تلبية الاحتياجات الاجتماعية ويطلق على هذه الجهة «المنظمات الاهلية»، وفي احيان كثيرة يعتبر دور المنظمات الاهلية دوراً سباقاً في معالجة بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وليس تكميليا، وأصبح يضع خططا وبرامج تنموية تحتذي بها الحكومات.

لقد شهد العمل الاجتماعي عدة تغيرات وتطورات في مفهومه ووسائله ومرتكزاته، وذلك بفعل التغيرات التي تحدث في الاحتياجات الاجتماعية، وما يهمنا هنا التطورات التي حدثت في غايات وأهداف العمل الاجتماعي، فبعد أن كان الهدف الأساسي هو تقديم الرعاية والخدمة للمجتمع وفئاته، أصبح الهدف الأن تغيير وتنمية المجتمع.

وبالطبع يتوقف نجاح تحقيق الهدف على صدق وجدية العمل الاجتماعي وعلى رغبة المجتمع في إحداث التغيير والتنمية.

ومن الملاحظ أن العمل الاجتماعي بات يعتبر أحد الركائز الأساسية لتحقيق التقدم الاجتماعي والتنمية ومعياراً لقياس مستوى الرقي الاجتماعي للأفراد.

ويعتمد العمل الاجتماعي على عدة عوامل لنجاحه، ومن أهمها المورد البشري فكلما كان المورد البشري متحمساً للقضايا الاجتماعية ومدركاً لأبعاد العمل الاجتماعي كلما أتى العمل الاجتماعي بنتائج ايجابية وحقيقية، كما ان العمل الاجتماعي يمثل فضاء رحباً ليمارس أفراد المجتمع ولاءهم وانتماءهم لمجتمعاتهم، كما يمثل العمل الاجتماعي مجالاً مهماً لصقل مهارات الافراد وبناء قدراتهم.



وانطلاقاً من العلاقة التي تربط بين العمل الاجتماعي والمورد البشري، فانه يمكن القول بأن عماد المورد البشري الممارس للعمل الاجتماعي هم الشباب، خاصة في المجتمعات الفتية، فحماس الشباب وانتماؤهم لمجتمعهم كفيلان بدعم ومساندة العمل الاجتماعي والرقي بمستواه ومضمونه، فضلاً عن ان العمل الاجتماعي سيراكم الخبرات وقدرات ومهارات الشباب، والتي سيكون بأمس الحاجة لها خاصة في مرحلة تكوينهم ومرحلة ممارستهم لحياتهم العملية.

ورغم ما يتسم به العمل الاجتماعي من اهمية بالغة في تنمية المجتمعات وتنمية قدرات الأفراد الا اننا نجد نسبة ضئيلة جداً من الافراد الذين يمارسون العمل الاجتماعي، فهناك عزوف من قبل أفراد المجتمع، وخاصة الشباب منهم عن المشاركة في العمل الاجتماعي بالرغم من ان الشباب يتمتع بمستوى عال من الثقافة والفكر والانتماء، وبالرغم من وجود القوانين والمؤسسات والبرامج والجوائز التي تشجع الشباب على المشاركة بشكل فاعل في تنمية مجتمعهم.

وهذا ما يثير التساؤل عن الأسباب المؤدية الى عزوف الشباب عن المشاركة في العمل الاجتماعي.

تعريف العمل الاجتماعي التطوعي

يمكن تعريف العمل الاجتماعي التطوعي بأنه مساهمة الأفراد في أعمال الرعاية والتنمية الاجتماعية سواء بالرأي او بالعمل أو بالتمويل أو بغير ذلك من الأشكال، ومن خصائص العمل الاجتماعي ان يقوم على تعاون الأفراد مع بعضهم البعض في سبيل تلبية احتياجات مجتمعهم، وهذا يقود الى نقطة جوهرية مفادها ان العمل الاجتماعي يأتي بناء على فهم لاحتياجات المجتمع.

وتجدر الاشارة الى ان مساهمة الأفراد في العمل الاجتماعي

تأتي بوصفهم إما موظفين أو متطوعين، وما يهمنا هنا الوصف الثاني، والتطوع هو الجهد الذي يقوم به الفرد باختياره لتقديم خدمة للمجتمع دون توقع لأجر مادي مقابل هذا الجهد.

وبالرغم من «مجانية» العمل الاجتماعي التطوعي، إلا أنه يوجد نظام امتيازات وحوافز وجوائز يمتع بها العاملون في هذا القطاع وبشكل عام يمكن أن نصف المتطوع بأنه انسان يؤمن بقضية معينة واقعي ومتعايش مع ظروف مجتمعه، له القدرة على الاندماج والتفاعل مع افراد مجتمعه، ومستعد لتقديم يد المساعدة لرعاية وتنمية مجتمعه.

أهمية العمل الاجتماعي التطوعي للشباب

١- تعزيز انتماء ومشاركة الشباب في مجتمعهم.

٢- تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم الشخصية والعلمية والعملية.

٣- يتيح للشباب التعرف على الثغرات التي تشوب نظام الخدمات في المجتمع.

٤-يتيح للشباب الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في القضايا العامة التي تهم المجتمع.

٥- يوفر للشباب فرصة تأدية الخدمات بأنفسهم وحل المشاكل بجهدهم الشخصي.

٦- يوفر للشباب فرصة المشاركة في تحديد الأولويات التي يحتاجها المجتمع والمشاركة في اتخاذ القرارات.

إطار العمل الاجتماعي التطوعي

يتصف العمل التطوعي بأنه عمل تلقائي، ولكن نظراً لأهمية النتائج المترتبة عن هذا الدور والتي تنعكس بشكل مباشر على المجتمع وأفراده، فانه يجب ان يكون هذا العمل منظماً ليحقق النتائج المرجوة منه.

وعادة ما يتم تنظيم العمل الاجتماعي بالطرق التالية:

١- القوانين:

وهي مجموعة القوانين التي تنظم العمل الاجتماعي وتحدد قطاعاته، كما تنظم انشاء وعمل المؤسسات الاهلية العاملة في المجال الاجتماعي التطوعي.

٢- اطار المجتمع:

فكما سبق وأشرنا بأن العمل الاجتماعي التطوعي يأتي استجابة لحاجة اجتماعية، فهو واقعي ومعبر عن الحس الاجتماعي، وبرغم من أن انفتاح المجتمعات يؤدي الى اتساع الخيارات أمام العمل الاجتماعي، الا انه يبقى هناك حد ادنى في التغيرات الاجتماعية التي يهدف العمل التطوعي إلى إحداثها والتي يرفضها المجتمع.

٣- المؤسسات:

وهي مؤسسات حكومية أهلية، فبإمكان الشباب المشاركة في البرامج التطوعية التي تنفذها المؤسسات الحكومية كالوزارات والمدارس والجامعات والمؤسسات الدينية.. الخ، كما يمكن للشباب ممارسة العمل التطوعي من خلال انتسابهم للمؤسسات الأهلية كالجمعيات والنوادي والهيئات الثقافية... الخ.

يجب إتاحة الفرصة أمام مساهمات الشباب المتطوع وعدم الاعتماد على فئة معينة

المعوقات التي تعترض مشاركة الشباب الاجتماعية

١- الظروف الاقتصادية السائدة وضعف الموارد المالية للمنظمات التطوعية.

٢- بعض الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع كالتقليل من شأن الشباب والتمييز بين الرجل والمرأة.

٣- ضعف الوعي بمفهوم وفوائد المشاركة في العمل الاجتماعي التطوعي.

٤- قلة التعريف بالبرامج والنشاطات التطوعية التي تنفذها المؤسسات الحكومية والأهلية.

٥- عدم السماح للشباب بالمشاركة في اتخاذ القرارات بداخل هذه المنظمات.

٦- قلة البرامج التدريبية الخاصة بتكوين جيل جديد من المتطوعين أو صقل مهارات المتطوعين.

٧- قلة تشجيع العمل التطوعي.

التوصيات

١- إتاحة الفرصة أمام مساهمات الشباب المتطوع وخلق قيادات جديدة وعدم احتكار العمل التطوعي على فئة أو مجموعة معينة.

٢- تكريم المتطوعين الشباب ووضع برنامج امتيازات وحوافز لهم.

٣- تشجيع العمل التطوعي في صفوف الشباب مهما كان حجمه او شكله او نوعه.

٤- تطوير القوانين والتشريعات الناظمة للعمل التطوعي بما يكفل إيجاد فرص حقيقية لمشاركة الشباب في اتخاذ القرارات المتصلة بالعمل الاجتماعي.

٥- إنشاء اتحاد خاص بالمتطوعين يشرف على تدريبهم وتوزيع المهام عليهم وينظم طاقاتهم.

٦- تشجيع الشباب وذلك بإيجاد مشاريع خاصة بهم تهدف الى تنمية روح الانتماء والمبادرة لديهم.

٧- أن تمارس المدرسة والجامعة والمؤسسة الدينية دوراً أكبر في حث الشباب على التطوع خاصة في العطل الصيفية.

٨- أن تمارس وسائل الإعلام دوراً أكبر في دعوة المواطنين الى العمل التطوعي، والتعريف بالنشاطات التطوعية التي تقوم بها المؤسسات الحكومية والأهلية.





العناية بالمسنين

د. ندى سعدالله السباعي

ليس التقدم في العمر مرضاً، انما هو عملية طبيعية تحدث لكل انسان ولا يمكن ايقافها او تجنبها، حيث تقضي سنة الله جل جلاله في خلقه ان يتعرض الانسان لتغييرات كثيرة كلما تقدم به العمر، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا تعقلون﴾ (يس68-).

ولذلك تتدنى قدرات الانسان وتضعف امكاناته فيمرض بعد صحة، ويضعف بعد قوة، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعض ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ (الروم ٥٤).

كما تتدنى قوة الانسان على التأقلم ومواجهة المشكلات اليومية، وتزداد الشدة النفسية بسبب الخسائر التالية (والمتتالية): خسارة العمل، خسارة الاصدقاء، خسارة الاهل، خسارة الصحة، خسارة القوة، خسارة الانتاج، خسارة مصدر الرزق، وأخيراً خسارة الذات والعمر.

وتتعرض كل اعضاء الجسم لتغييرات مع التقدم في العمر أهمها:

الجلد: تضمر غدد العرق ويقل الشحم تحت الجلد فيصاب الجلد بالجفاف والتجعد والتشققات.

القلب: تشيخ الدورة الدموية وتنقص مرونة الشرايين وتضعف قوة القلب، وتحدث تبدلات في بنيته فيصاب المسن بارتفاع ضغط الدم، وقد يصاب بجلطة في القلب او الرأس.

المعدة: ينقص اللعاب، وتنقص حموضة المعدة مما يؤدي لاصابة المسن بالتخمة (عسر الهضم)، كما تنقص حركة الامعاء فيصاب بالامساك، ويساعد على ذلك تساقط الاسنان وعدم مضغ الطعام جيداً.

الرئة: تنقص مرونة الرئة وتقل سعتها مما يسبب صعوبة التنفس، كما تنقص حساسية منعكس السعال، فتكثر اصابة المسن بالامراض الصدرية.

العين: تصاب العين بالمياه الزرقاء والبيضاء (الساد)، كما تصاب عدستها بالامراض، وتضعف قدرة العين على المطابقة وتعاني من بُعد البصر.

الأذن: ينقص السمع، خاصة للاصوات ذات التوتر العالي، بينما يزداد سماع الاصوات العالية لان توترها منخفض ما يزيد من

ازعاج المسن، ويختل التوازن مما يعرض المسن للسقوط كثيراً.
الأنف: تنقص حاسة الشم.
الكلية: تضعف كفاءة الكلية، ويكثر تعرض المسن للتجفاف وفشل الكلية والالتهابات البولية وتكثر الاصابة بسلس البول.
الدماغ: ينقص حجم الدماغ لان المخ يفقد الملايين من الخلايا، مما يؤدي لضعف الادراك، وينقص عدد ساعات النوم، ويفقد القدرة على التحكم بالحركات وتضعف الذاكرة، ويصاب المسن بالنسيان وقد يصاب بالخرف، كما قد يفقد القدرة على التحكم في التبول او التبرز، والقدرة على التحكم بوضعية الجسم نتيجة ضعف المنعكسات اللازمة لذلك.
العظام: ينقص الكلس في العظم، وخاصة عند الاناث، مما يؤدي لسهولة حدوث الكسور، كما تنقص كمية العضلات وكتلة العظم مما يؤدي بالنحول والضعف، والاصابة بهشاشية العظام وما يليها من كسور في الفخذ او الحوض او الاضلاع.
الغدد: تنقص قدرة غدة البنكرياس التي تفرز الانسولين مما قد يعرض المسن للاصابة بالداء السكري، كما تنقص قدرة الغدة الدرقية مما يسبب الضعف العام والاكتئاب، كما تتضخم غدة البروستات وتنقص الرغبة الجنسية.
المناعة: تضعف مناعة الجسم مما يعرض المسن للاصابة بالالتهابات التي تكون اكثر شدة عنده من غيره.
الحالة النفسية: تزداد نسبة اصابة المسن بالاكتئاب والقلق، وتنقص الشهية ويزداد الميل للانتحار، كما تكثر حالات التحسس من الادوية ايضاً.
المظهر العام: نقص الطول، زيادة الشعر الاشيب، جفاف الجلد وتجعده.
ولكن: هل هذا يعني ان المسن أصبح عنصراً غير مرغوب فيه، او غير ذي قيمة في المجتمع؟! وهل يعني هذا تجاهله او اهماله؟!
طبعاً لا: فالرسول ﷺ يقول: ليس منا من لم

عندما ينشغل الابناء بمسؤوليات الحياة عن والديهم يصاب المسنون بالانعزالية والاكتئاب

يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا (او يعرف شرف كبيرنا)، وهل هناك تقصير أكثر من هذا الذي يبعد الانسان عن جماعة المسلمين؟!
كما ان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم كما روى أبو داود وهذا مبدأ في غاية الاهمية. فالسلوك الاسلامي يربط بين اكرام المسن وبين اجلال الله تعالى، وبالتالي فان التقصير في رعاية المسن معصية لله عز وجل.
فكيف اذا كان المسن أباً او أماً او قريباً؟، وكلنا يعرف ان الله تعالى قرن عبادته بالاحسان للوالدين في قوله: ﴿وقضى ربك الا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احساناً﴾(الاسراء: ٢٣)، كما قرن الشكر لهما بالشكر له في قوله ﴿ان اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾(لقمان:١٤).
وحذرنا الله تعالى من الاساءة اليهما وتوعد كل من يسيء لهما، ولو بكلمة «أف» وهي كلمة بسيطة مؤلفة من حرفين فقط، ولو كان في اللغة العربية كلمة تدل على التأفف أبسط منها لذكرها الله تعالى كما قال كثير من المفسرين، فقال عز شأنه: ﴿إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾(الاسراء:٢٤) وحتى لا يدعي احد انه يكره والديه طاعة لله وحباً فيه لانهما بعيدان عن الله، فقد امرنا الله تعالى ان نكرمهما حتى وان سعيا إلى اضلالنا فقال: ﴿وإن جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ (لقمان: ١٥).
ولكن: كيف يمكن لاحد ان يكرّم والديه خاصة والمسنين عامة من حوله؟! هناك مجالات عدة لرعاية الوالدين والمسنين وأهمها:

مجال الرعاية الصحية:

يجب ان يقدم للمسن طعام متوازن، لا يحتاج لمضغ كثير، سهل الهضم، قليل الدهون كثير الالياف، غني بالفيتامينات والمعادن، مع الاكثار من الفاكهة والخضار الطازجة، والاكثار من السوائل.
من الضروري اجراء فحص طبي دوري للمسن لمتابعة ضغط الدم وحالة القلب والاوعية الدموية ووظائف الكليتين، وسلامة الصدر وغيره.
من الضروري فحص السمع والنظر والاسنان والقدمين بشكل متكرر.
يجب اشراف الابناء على وقت تناول الادوية والعقاقير.
يجب الاهتمام بنظافة المسن ورعاية الجلد لمنع حدوث تقرحات الفراش، مع تغيير وضعية رقاد المسن باستمرار.
يجب العمل على رفع معنويات المسن دائماً وحثه على التفاؤل، فهو قادر منتج.
يجب الاهتمام والتجاوب مع أي شكاية صحية للمسن.
يجب تأمين دور ارضية بلا عوائق، لتجنب الحوادث والاذيات المنزلية، وتأمين اضاءة مناسبة وخاصة في الليل لغرفة النوم والحمام، لمنع تعثر المسن او سقوطه، ويفضل تركيب حواجز، وابعاد الارضيات المنزلقة واسلاك الهاتف والكهرباء عن طريق المسن من غرفة نومه الى الحمام.
يجب الباس المسن ملابس مناسبة تمنع البرد، ولا تسبب له التعرق الزائد.
أخيراً: يجب البقاء بجانب المسن دائماً لتقديم العون والمساعدة لرد الجميل ونيل الاجر من الله عز وجل.

مجال الرعاية النفسية

عندما ينشغل الابناء بمسؤوليات الحياة عن والديهم، يصاب المسنون بالانعزالية والاكتئاب، بل انه وللاسف يعتقد البعض ان ايداع المسنين دور الرعاية هو الحل للتخلص من رعايتهم، وهي جريمة تدفع المسنين الى الحزن والاسى والشعور بالحرمان، فالمكان الطبيعي للمسنين هو الاسرة بين دفء الابناء والاحفاد يشاركون في أمور الاسرة، فيقدمون المشورة والخبرة ويرشدون الشباب لما فيه خير امتهم وخير أسرهم، فكبار السن هم من جاؤوا بنا الى هذه الحياة ووفروا لنا الرعاية في طفولتنا



وافنوا سنوات عمرهم في خدمتنا، وربما خدمة اطفالنا ايضاً.
فلنجعل للمسنين مكاناً ودوراً وأهمية وسط الاسرة. ولنعلم الاحفاد احترامهم وتوقيرهم واجلالهم، ولنساعدهم على تقبل وتحمل مشاق ومتاعب الشيخوخة، ولنحرص على متابعتهم وفحصهم طبياً بصورة دورية، ولنطلب منهم الاهتمام بالعالم الخارجي بقراءة الصحف والقيام بالنشاطات التي تفيد المجتمع.
لنتذكر جميعاً اننا سنصل الى تلك المرحلة، وبقدر رعايتنا لوالدينا سيرعانا ابناؤنا، وقد قال الرسول ﷺ: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه (الترمذي) ولنعلم انما جعل الاحسان للوالدين تالياً لعبادة الله لوجوه عدة اهمها:
ان الوالدين سبب وجود الولد
انعامهما يشبه انعام الله
انهما لا يقطعان كرمهما عن الولد، وان كان غير بار بهما.
افلا يستحق هذا المسن الذي امضى عمره في خدمة اولاده ومجتمعه ان يُكرم بقية عمره بعد ان فقد مركزه وأهميته في كل ما يحيط به.

مجال الرعاية الاجتماعية

- يجب مخاطبة المسنين عامة والوالدين خاصة بأدب واحترام، مع عدم تكذيبهم او تخطئتهم، وان اخطأ الوالد او المسن فينبغي ارشاده بأدب الى الصواب.
- يجب تلبية ندائهم بسرعة والقيام بكل ما يدخل السرور الى قلوبهم.
- يجب اكرامهم من غير منة.
- يجب عدم عقوق الوالدين لقوله ﷺ: «ألا انبئكم بأكبر الكبائر، قالوا بلى يا رسول الله، قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين» (متفق عليه).
- يستحسن الا ينقطع بر الوالدين بعد موتهما.

قال الرسول ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» (البيهقي) وهذا يعني ان للوالدين - احدهما او كلاهما- حق مشروع بل حق اجباري في كل ما يمتلكه الابناء، اما اذا لم يكن المسن والدا، فان له ايضاً حق على كل افراد المجتمع، بتأمين حياة كريمة وهنيئة، ولا يجوز اطلاقاً اشعار المسن بأن دوره في الحياة قد انتهى وانه يعيش بلا هدف في انتظار الموت.
وقد أجريت دراسات على بيوت المسنين في الغرب (دور العجزة) تبين فيها ان الذين يعيشون حياة سلبية بلا هدف يعانون من الكثير من الامراض الجسمية والنفسية، ويقل متوسط عمرهم مقارنة بالذين يعيشون حياة اسرية كريمة وينشغلون بعمل نافع يتناسب مع قدراتهم.
ومن أهم وسائل تقديم الرعاية الاجتماعية والصحية هي تقديم الادوية للمريض المسن بيد احد معارفه وعدم تركها قربه خاصة اثناء الليل حتى لا يتناول جرعة كبيرة وخاصة من الادوية المهدئة، مما يزيد من حوادث الانتحار كما ذكرنا.

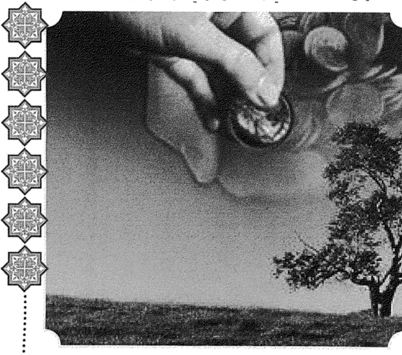
وفي النهاية: يجب الا نقلد الغرب الذي يدعي ان المسنين اناس غير منتجين ويشكلون عبئاً على المجتمع، بل نتبع نظرة الاسلام اليهم بأنهم مصدر البركة ومجلبة للرزق لقوله ﷺ: «انما تنصرون وترزقون بضعفائكم» كما روى أبو داود عن أبي الدرداء.
كما يجب ان نستغل وجودهم بيننا فهم مدرسة تتعلم منها الاجيال الخبرة والحكمة فلكل فرد دور ورسالة، فمن يعجز عن العمل بيده قد يفيد بأعمال فكره، فتتكامل الخبرة والقدرة.
كما يجب ان نستغل هذا الوجود للتقرب الى الله عز وجل من خلال اكرامهم الذي أمرنا به، فمن فاته خدمة والديه المسنين فقد فاته فضل كبير وخير كثير لقوله ﷺ: «رغم انفه ثم رغم انفه ثم رغم انفه قيل من يا رسول الله، قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما اوكليهما ثم لم يدخل الجنة» (صحيح مسلم) ومعنى رغم انفه اي توضع في الرغم وهو التراب اذلالاً وهواناً لما اضاع من فرصة ذهبية لدخول الجنة برعاية والديه المسنين.
وهكذا نجد أن الامر لا يكلفنا كثير عناء، لا بل يوفر علينا عبء القيام بانشاء دور الرعاية وخدمات التمريض للمسنين، بل أكثر من ذلك فان رعايتهم من احب الاعمال الى الله لقوله ﷺ: « أحب الاعمال الى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله» (متفق عليه).

وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم

أحمد أحمد عبده

بكلمات الله أبدأ موضوعي حيث إنني بي غصة من الأغنياء الذين منّ الله عليهم بالمال الوفير والرزق الكثير، وأغدق عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ولكنهم كنزوه ولم يؤدوا حق الله فيه ورغم ان الله قد توعد هذه الفئة الكانزة لاموالها من الذهب والفضة بالعذاب فإنهم لم يأبهوا لهذا ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ (التوبة: ٣٤)، فخرجت من بيننا طائفة من الفقراء المساكين المحتاجين لا يجدون ما يتعيشون به ولو النزر اليسير ولو أن كل غني أخرج زكاة ماله والله لن يكون هناك فقراء، ورحم الله سيدنا عمر بن عبدالعزيز ذلكم الحاكم الصالح حين أرسل مناديا في الطرقات «من لم يتزوج فهلم إلى بيت مال المسلمين ليأخذ النفقة اللازمة لذلك ومن كان فقيرا وفي حاجة للمال فليذهب الى بيت المال ليأخذ ما يكفيه» وعاش المسلمون أيام سيدنا عمر بن عبدالعزيز أياما زاهرة مليئة بالرخاء لأن الخليفة الزاهد طبق شرع الله وأصلح ما بينه وبين خالقه فأصلح الله له كل شيء، جاءت هذه الكلمات تتدافع في رأسي عندما قرأت وعلمت ان هناك يوما معينا لليتيم تقوم الجمعيات والمؤسسات الخيرية بالاستعداد لذلك اليوم ولكن لو أن الغني أدى حق الله في ماله لما كان هناك فقير ولعاش المجتمع في تكافل اجتماعي بديع كما رسمه ربنا ورسمه سيدنا رسول الله ﷺ والصدقة تطفئ غضب الرب وما نقص مال من صدقة فطهروا أنفسكم وطهروا أموالكم ولتعلم يأيها الغني ان المال مال الله وأنك حارس عليه تتركه لمن خلفك، إن لم تؤد حق الله فيه ستزول قدمك من الدنيا ولن يفعل غيرك ذلك لأنك ورثتهم تركة صافية لا دخل لهم أكنت تؤدي حق الله فيها أم لا! فأهل الدنيا يحبون المال حباً جما وأنت ستذهب الى خالقك يحاسبك عن مالك فيما انفقته وعمرك وعلمك وشبابك.

فبم تجيب؟ على أن الله سيسأل ابن أدم عن أربعة أشياء حين تزول قدمه من الدنيا وهي ماله وعمره وعلمه وشبابه، فهل سيكون ابن ادم قوي الحجة ينطق بلسان مبين بأنه انفق ماله في الطريق الشرعي وأدى حق الله فيه ام سيقول يا رب كنزت مالي وورثته لابنائي ولم اراع حقك فيه، هنا يكون الندم في يوم لا ينفع فيه الندم، أفق يا صاحب المال وأعط حق الله فيه حتى يعم الخير والرخاء ولا يحسدك فقير على مالك ولا على أي نعمة أنعم الله بها عليك، ولن يكون هناك فقير يسأل الناس إلحافا وقد بحثت في بعض التفاسير عن تفسير لهذه الكلمات القرآنية التي اوردتها في صدر مقالي ووجدت في القرآن الكريم والتفسير الميسر لشيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي قوله «أي لمن يسأل غيره المساعدة والفقير الذي يتعفف السؤال...» ثم تجولت بين بعض التفاسير الأخرى منها أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر الجزائري قوله «أي للذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل لتعففه هذا الحق أوجبوه على أنفسهم زيادة على الزكاة الواجبة»، وإذا أعطيت الفقير شيئاً من مالك فاجعل يد الفقير هي العليا واجل يدك هي السفلى تواضعاً لله. فيا أيام سيدنا عمر بن عبدالعزيز عودي عطري الدنيا لانه قد ساد العدل وعم الرخاء ولم يكن هناك التفاوت الطبقي الرهيب الذي نراه بسبب أن الغني لا يؤدي حق الله فقد رعى الذئب مع الغنم فهنيئاً لك يا سيدنا عمر بن عبدالعزيز جنات الفردوس جزاء ما عدلت بين الرعية، كم أتمنى أن يعلم صاحب المال ان المال مال الله وليس لك دخل فيه. تمتع بما أفاء الله به عليك وأكرم غيرك، فقدرة الله قضت أن تكون من الأغنياء وغيرك من الفقراء الذين يسألونك فبين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال فسارع باخراج حق الله من مالك وطهر نفسك وقل الحمد لله الذي جعلك من مؤدي الزكاة وليس من مستحقيها.



المساهمة في العمل الاجتماعي التطوعي يكون بالرأي أو العمل أو التمويل

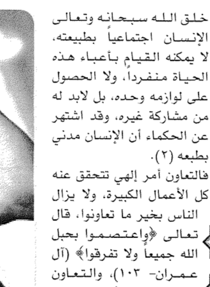
وتعاونوا على البر والتقوى

علاء الدين معصوم حسن

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة:٢)، وقال رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» (رواه البخاري والترمذي) (١).

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان اجتماعياً بطبيعته، لا يمكنه القيام بأعباء هذه الحياة منفرداً، ولا الحصول على لوازمه وحده، بل لابد له من مشاركة غيره، وقد اشتهر عن الحكماء أن الإنسان مدني بطبعه (٢).

فالتعاون أمر إلهي تتحقق عنه كل الأعمال الكبيرة، ولا يزال الناس بخير ما تعاونوا، قال تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران- ١٠٣)، والتعاون على الخير من أبرز مميزات الحياة الروحية للنهوض بالحياة الاجتماعية الى المستوى الرفيع الذي يؤدي إلى رفاهية الجميع والتخفيف من آلام الغير (٣).





ولقد كانت الأمة على شفا حفرة من النار، فألف الله بين قلوب أبنائها، ورد النفس الإنسانية إلى فطرتها من حيث التعاون والتحابب، ونهى عن التفاخر والتعالي، وساوى بين المسلمين، فأصبحوا أمة واحدة، لا يفرق بين أبنائها لون ولا جنس ولا إقليم.

وجاء التوجيه الإلهي يدفع المؤمنين إلى هذا السلوك الكريم، قال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله﴾ (التوبة-٧١).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أي الناس أحب إلى الله؟ قال: «أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم... ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام (رواه ابن أبي الدنيا) (٤).

وأنكر الإسلام النزعة الفردية، ونبذ الأثرة والأنانية، وبين أن جميع الناس في حق الحياة والكرامة سواء، وما إن يستقر الإيمان في قلب المسلم حتى يعبر عن ذاته بحركة خيرة نحو الآخرين ليكونوا كالجسد الواحد، وما لم يكن ثمة تعاون وتناصح تكن فتنة في الأرض وفساد عريض، والصادق في إسلامه يعمل من أجل الآخرين، ولقد ترك المهاجرون بلدهم، وتركوا فيه كل ما يملكون، وانتقلوا الى المدينة وليس معهم شيء، في حين كان الأنصار يملكون ويقيمون في أرضهم، فدعا رسول الله ﷺ الى الأخوة والتعاون فصار كل أخوين يشتركان في السراء والضراء.

قال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (متفق عليه) (٥).

وقال: «يد الله مع الجماعة» (رواه الترمذي) (٦).

وكان الأنصاري يعرض على أخيه المهاجري أن يقاسمه كل ما يملك، وفي الوقت ذاته لم يستغل المهاجرون هذا السخاء، بل إن الكثيرين منهم اتجهوا الى السوق ليأكلوا من كسب أيديهم، وقد رسم القرآن الكريم هذه الصورة الرائعة في قوله تعالى ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر

إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ «الحشر-٩».

فالتكافل الاجتماعي من ألزم الواجبات الاجتماعية، فهو مما ينشق عن واجب التضامن الاجتماعي ويكون عنواناً عليه، وترجماناً صادقاً لمضمونه، ومعناه الشامل الواسع في المنظور الإسلامي يتضمن التكافل الأدبي والعلمي والسياسي والدفاعي والجنائي والأخلاقي والاقتصادي والعبادي والحضاري. (٧).

وتعاون الأمة في شؤون المعيشة المادية من طعام ولباس وسكن مثل أعلى في الشعور بالمسؤولية، لتحقيق الحد الأدنى للكفاية المعيشية، ولولاها لكان المجتمع مهدداً بالخراب. (٨).

والحديث عن التعاون يذكرنا بمشهد غاية في الدقة، يتعلق بحياة النملة التي تموت إذا عزلت عن أخواتها، والتي تعلّم الإنسان أبلغ درس عن التعاون، قال تعالى ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فتبسم ضاحكاً من قولها..﴾ (النمل -١٨-١٩).

لقد أثبت الله تعالى للنمل الكلام ونوعاً من المعرفة والذكاء... ولو تفكرنا فيها لقضينا من خلفها عجباً، فتبارك الذي أقامها على قوائمها، ولم يشركه في فطرتها فاطر (٩).

وكذلك جماعات النحل تتعاون في دقة وتنسيق، فتنتج شراباً مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس.. والطيور الأخرى نراها جماعات، فإذا تعرضت لخطر، واجهت ذلك الخطر بالتعاون، لادراكها أنها إذا انقسمت انهزمت.

ولأن الإنسان مخلوق عاقل، فإنه يدرك أن الجماعة خير من الفرقة، وأن التعاون أجدى من التخاذل.

من طبيعة الحياة أن يتفاوت الناس في المواهب والملكات

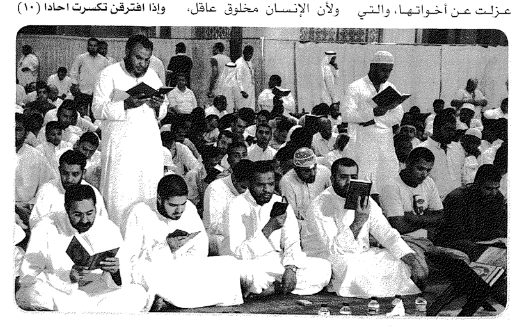
ومن طبيعة الحياة أن يتفاوت الناس في المواهب والملكات، فمنهم قوي ومنهم ضعيف، ومنهم غني ومنهم فقير.. فإذا تركت الفروق وشأنها، ظهر التناقض بين أبناء المجتمع، وظهرت أزمة الأخلاق.

ولعلنا نعلم قصة ذلك الرجل الذي كان على سرير الموت، وكان له عدد من الأبناء، فأعطاهم حزمة فيها عشرة رماح، فلم يستطع أي منهم كسرها ثم فرَّق الرماح، فكسَّر كل واحد منهم رمحه، فقال:

كونوا جميعاً يابني إذا اعترى
خطب ولا تتفرقوا أفرادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا
وإذا افترقن تكسرت آحادا (١٠)

ولا شيء يحقق الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو معه الأموال، ويأمن به السلطان، ولا شيء تنهض به الأمم كالتعاون على البر والتقوى (١١).

والمؤمن يتمتع بوعي عميق، وإدراك دقيق، له قلب كبير، وعزم متين، هدفه أكبر من رغباته، يقود هواه ولا ينقاد له، ويدرك أن التعاون درجة علمية وأخلاقية وجمالية، فيتخذ منه شعاراً حتى ترفع راية المحبة بالعودة الصادقة إلى الله.



الهوامش

١- رواه البخاري في كتاب المظالم (٥١) حديث رقم (٢٣١٥) ج/ ٢ ص(٨٦٤)، والترمذي في كتاب الحدود (١٥) باب ماجاء في الستر على المسلم (٣) حديث رقم (١٤٢٦).

٢- إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق- للدجوي- تحقيق: د.علاء الدين زعتري ص (٨٥)- دار العصماء، دمشق ١٩٩٧م.

٣- انظر: روح الدين الإسلامي- تأليف: عفيف طبارة-ص / ٢١٩- الطبعة (٢٧) سنة ١٩٨٨م - بيروت.

٤- رواه ابن أبي الدنيا عن بعض أصحاب النبي ﷺ. وقال الحافظ المنذري: رواه الأصبهاني واللفظ له. وانظر: الهدي النبوي الى مكارم الأخلاق للأستاذ عبدالله سراج الدين - ص (٤٦-٤٧) الطبعة الأولى - حلب ١٤١٩هـ.

٥- رواه البخاري في كتاب المساجد، حديث رقم (٤٦٧) ج / ١، ص (١٨٢) وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلاة، باب تراحم المؤمنين، ج / ٨، ص (٢٠).

٦- رواه الترمذي في كتاب: الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة حديث رقم (٢١٦٦)، وقال: حديث حسن غريب.

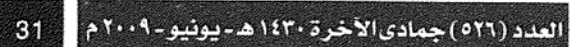
(٧) انظر: اشتراكية الإسلام- د.مصطفى السباعي- الطبعة الثانية - ص (١٠٦).

٨- القرآن الكريم... بنيته وخصائصه- د. وهبة الزحيلي- ص (٨٠)- دار الفكر- دمشق ١٤١٢ هـ.

٩- التعاون واجب ديني - د. راتب النابلسي- مجلة «نهج الإسلام» - دمشق -العدد (٧٤-٧٥) رمضان ١٤١٩هـ - ص (٤٦).

١٠- البيتان من البحر الكامل.

١١- التعاون على البر والتقوى - محمود إبراهيم - صحيفة البيان الإماراتية- الصفحة (٨) تاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٩٢.



هناك علاقة وثيقة بين الانحراف والفقر لأن الفقر يولد كثيراً من المشكلات الحياتية

الانحراف الاجتماعي

(الأسباب - العلاج)

إن المجتمع المريض الذي يحول دون إشباع حاجات أفراده والذي يفيض بأنواع الحرمان والاحباطات والصراعات والذي يشعر فيه الفرد بنقص الأمن وبعدم الأمان، وان التنافس الشديد بين الناس وعدم المساواة والاضطهاد والاستغلال وعدم إشباع حاجات الفرد، ويضاف الى ذلك وسائل الإعلام غير الموجهة التي تؤثر تأثيرا سيئا في عملية التنشئة الاجتماعية.. كل هذه الأسباب الى جانب اسباب اخرى تدفع الفرد الذي يعيش في مثل هذا المجتمع المريض الى سوء التوافق الاجتماعي بحيث يكون السلوك المريض والشيخوخة المبكرة وغير السوية، النتاج المتوقع لهذه المساوئ.



د. زيد محمد الرماني

يقول جليل وديع شكور في كتابه «أمراض المجتمع»: من المعروف أن تدني الحالة الاقتصادية لأية عائلة لا يسمح بتلبية جميع متطلباتها، وتلعب البطالة وفقدان المواد الأولية دوراً فاعلاً في هذا التدني.

وفي هذا المجال، وجد «سالوس» في دراسة له على الأحياء البائسة والمعدمة اقتصادياً ان العوز المادي ليس كاف بمفرده لتفسير الانحراف، فهناك متغيرات خمسة تميز عائلات المنحرفين: غياب الأب، وسوء تفاهم الوالدين والبطالة وعدم الاستقرار المهني، والادمان الكحولي في الأسرة، والماضي الجانح لأحد الوالدين.

وقد أظهرت الدراسة التي اعدتها الامانة العامة للأمم المتحدة عن الوقاية من جناح الأحداث ان الزيادة في حجم جناح الاحداث اكثر تواجداً في البلاد التي بلغت حداً كبيراً من النمو عنها في البلاد الآخذة في هذا النمو، وأن التغيرات الاقتصادية والصناعية الجديدة في البلاد الآخذة في النمو ذات أثر مباشر على تزايد جناح الأحداث.

والجدير ذكره ان عمليات النمو والتحضر قد لا تكون السبب المباشر في الانحراف، انما ما يرافق ذلك او يترتب عنه كالتفكك الذي يصيب الاسرة من جراء ذلك او سوء التكيف الذي يصيب النازحين من الريف الى المدينة بحثاً عن العمل، او التعارض في القيم بين قيم الواقع وبين ما يرجى أن يكون. كل ذلك يشكل ضغوطاً على الناشئة تساعد على ظهور الانحراف او تعجل في ظهوره.

ومن الاسباب التي تضاف الى ذلك التضخم المالي وغلاء اسعار المواد الاستهلاكية او احتكارها.

إن هذه الاسباب تسهم في سوء الحالة الاقتصادية التي تنعكس مرضاً اجتماعياً متمثلاً في القلق والخوف على المصير.

كما أن سوء الوضع الاقتصادي قد يدفع بالعديد الى ممارسة بعض أنواع السلوك الممنوع أو المرفوض اجتماعياً كأعمال الغش والتزوير والاتجار بالمخدرات وقبول الرشوة والسرقة والاحتيال.

لذا، يرى رجال الاقتصاد وعلماؤه ان اسباب الانحراف الاجتماعي تكمن في سوء الحالة الاقتصادية المتمثلة بمشكلات تعود الى الفقر والبطالة والفشل الناتج عن سوء التوافق المهني، ويربط بعض الاقتصاديين بين الانحراف والفقر معتبراً اياه السبب الاول مستشهدين على ذلك بأن غالبية نزلاء السجون من اصل فقير، كما ان الفقر يولد العديد من المشكلات الحياتية المتعلقة بالصحة والسكن والتعليم وتوازن الأسرة، والتي تولد الانحراف.

وعلى العكس من ذلك يعتبر اقتصاديون آخرون أن الغنى والرخاء هما سبب ازدياد حالات الانحراف، ويصدق ذلك في البلاد المتقدمة صناعياً، حيث نرى ازدياداً لعدد الاحداث الجانحين.

والمعترضون على ربط الانحراف بالفقر يشيرون الى ان الاحصاءات تكون عادة مضللة لاسباب عديدة منها: ان معظم جنح الاغنياء تبقى خفية او تسوى قبل أن تصل الى المحاكم، كما أن الفقراء لا يتمتعون عادة بوسائل الحماية التي تتوفر للاغنياء، وايضاً لان الفقراء هم اكثر الناس تعرضاً للملاحقة وسوء الظن.

وإذا كان الفقر سبباً للانحراف، فكيف يمكن تفسير التصرفات غير المشروعة والمنحرفة التي تكثر في أوساط رجال الأعمال، كما هو معروف للجميع.

وأمام هذا التناقض يمكننا القول: إن الفقر بوجوهه المتعددة قد يشكل ظروفاً أو مناخات مهيئة للانحراف، أو على الأقل فرصاً تسهل للسلوك الجانح احتمال حدوثه.

إن مهمة الباحث النفسي والاجتماعي، وبعد تزايد الاهتمام بالفرد والاخذ في الاعتبار البعد الانساني، ليست في ادانة المنحرف واصدار الحكم عليه، بل البحث في ظروف الانحراف وفي اسباب هذا العمل المرفوض، الى جانب البحث الجدي والمعمق في شخصية المنحرف لمساعدته

على اعادة النظر في سلوكه وفي تغيير مواقفه الخاطئة.

وعلاج الأمراض الاجتماعية يحتاج الى فريق عمل يضم على الاقل طبيبا نفسيا، ومرشدا اجتماعيا، ومرشدا دراسيا ومهنيا.

وتبرز أهم ملامح علاج سلوك المنحرفين فيما يلي:

١- استثارة تعاون المريض واثارة رغبته في العلاج.

٢- محاولة تصحيح السلوك المنحرف وتعديل مفهوم الذات.

٣- إرشاد الوالدين وتوجيههما ليتحملا مسؤولية العمل على تجنب الطفل التعرض للأزمات النفسية والاجتماعية.

٤- تغيير السلوك داخل المنزل وشغل أوقات الفراغ بالترفيه المناسب والرياضة.

٥- انشاء المزيد من العيادات النفسية المتخصصة لعلاج الأمراض النفسية والاجتماعية.

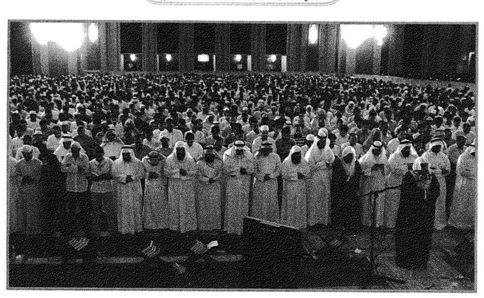
إضافة الى تضافر العلاج السلوكي، والعلاج الطبي، والعلاج النفسي للشخص المنحرف.

إن مجتمعاً تكثر فيه الأمراض الاجتماعية: العنف، والجريمة، والادمان، والانحرافات الجنسية، واستغلال الطفولة، سيكون هو حتماً مريضاً وبحاجة الى اعادة تنظيم من خلال تفعيل الرعاية الاجتماعية، وتأمين الاحتياجات الخاصة بالفرد، وبالمجتمع، تأميناً لحالات الاكتفاء والاشباع.

باختصار، إننا مدعوون أفراداً وجماعات ومؤسسات حكومية وخاصة، إلى اقتسام المسؤوليات كل من زاويته الخاصة وبقدراته المتاحة والى توزيع الأدوار، بحيث نضمن النجاح والتكامل.

سيكولوجية العدالة في الإطار الإسلامي

د. عبدالرحمن محمد العيسوي



العدل سمة من سمات الشخصية الإيجابية والعظيمة، والتي يمكن غرسها في حس المسلم وشعوره وعقله ووجدانه عن طريق أساليب التربية الإسلامية الصالحة والتنشئة والتوعية والوعظ والإرشاد والتوجيه، والتي يمكن تربية ضميره عليها منذ الصغر، والعدل قيمة أخلاقية ودينية وروحية واجتماعية وسياسية، وهي من قيم الإسلام الحنيف العديدة التي تحيط كل حياة الإنسان.

وإسلامنا الخالد يحرص على تربية أبنائه على أساس من فضيلة العدل، بحيث يشب المسلم مؤمناً بقيمة العدل كقيمة أخلاقية عامة وشاملة، وإذا آمن بها فإنه يطبقها في كافة مناحي الحياة، حيث تصبح أسلوباً من أساليب حياته أو فلسفة من فلسفة حياة الفرد والجماعة، فالعدالة ليست مجرد نظام سياسي وحسب ولكنها نمط من أنماط الحياة الشاملة.

والعدل قيمة عامة يتعين أن تطبق في مجالات العمل والانتاج والاقتصاد والسياسة والادارة والعلاج والتعليم وفي المجالات الأسرية والعائلية والثقافية والتربوية.

والعدل لغة: ضد الظلم والجور والبطش، والعدل يعني القسط، وأقسط الوالي أي كان عادلاً، ومن أسماء الله الحسنى «المقسط» أي العادل، وكما يقولون فإن العدل أساس الملك بل هو أساس الحكم وأساس التعامل الاجتماعي والإنساني بين الأفراد والجماعات والدول.

وفي هذه الأيام نقول: إن العدل أساس التقدم والنمو والازدهار والتنمية والرخاء، وأساس التعامل بين الناس، حيث يجب أن يعمد كل فرد إلى إعطاء غيره حقوقه كاملة عملاً بالهدي النبوي الكريم «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» (سنن ابن ماجه).

دور الأسرة

والحياة الأسرية هي التربة الخصبة التي يتم فيها غرس القيم والمثل والمعايير والمبادئ والقواعد الأخلاقية والسلوكية والروحية، ولذلك دعانا إسلامنا الخالد إلى العدل مع الأولاد والعدل مع الزوجات، وبالتالي مع الإخوة والأخوات، ومع الجيران وزملاء الدراسة والعمل، والعدل مع النفس، ولكن كيف يكون

الإنسان عادلاً مع نفسه؟ وكيف نربي أجيالنا الصاعدة على قيم العدل قولا وسلوكاً؟ وكيف يصبح العدل اسلوباً في الحياة اليومية لدى كل طوائف المجتمع حكاماً ومحكومين وعمالاً وأصحاب أعمال وموظفين ومديرين وطلاباً ومعلمين؟ وكيف يصبح العدل أساس الحياة كلها في مجتمعنا المسلم؟

السبيل إلى ذلك هو غرس هذه القيمة العظيمة في الطفل المسلم منذ نعومة أظفاره، ثم تتوالى أساليب التربية الأسرية والمدرسية والجامعية على أساس من غرس قيم العدل وتدعيمها وتنميتها وإذكائها في عقول الشباب وفي نفوسهم وفي ضمائرهم، بحيث يصبح العدل جزءاً لا يتجزأ من كيان المسلم أو من شخصيته.

توفر القدوة الحسنة

ولا بد من توافر القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يُقتدى به في التحلي بقيم العدل نظراً لنزعة الإنسان إلى حب التقليد والمحاكاة، ومن هنا كان لا بد من توافر النماذج الحياتية الجيدة التي يقلدها الناس ويتقمصون قيمها، وهنا يبرز دور رجال الدعوة والإرشاد ورواد الإصلاح والقادة والزعماء فالتعلم يتم عن طريق التقليد والمحاكاة، وخصوصا في ضوء حقيقة أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه.

والقيم الأخلاقية والروحية تشكل منظومة متكاملة متناسقة لا بد من تعلمها واكتسابها جميعاً، ولذلك يحض الإسلام أبناءه على التحلي بقيم العدل والمساواة والاخاء والحرية وتكافؤ الفرص والبر والإحسان والرحمة والشفقة والمودة والتقوى والورع والخشوع والزهد والعفة والشرف والأمانة والصدق والولاء والوفاء والإخلاص والقناعة، ولكن ما الآثار النفسية لشعور الفرد بالعدل؟

القيم الروحية والأخلاقية تشكل منظومة متكاملة متناسقة لا بد من تعلمها واكتسابها

الآثار النفسية للشعور بالعدل

ما الذي يشعر به الإنسان عندما يعامل بالعدل في المنزل والمدرسة وفي العمل وفي المجتمع؟ الشعور بالعدالة يجعل الإنسان أكثر شعوراً بالرضا والسعادة والأمن والأمان والاطمئنان والتكيف النفسي والاجتماعي، كما يشعر بالتوحد والوحدة والاتحاد مع مجتمعه.

ويشجع هذا الشعور الإنسان على أن يبذل مزيداً من الطاقة، والشعور بالعدالة يبعد عن الفرد الشعور بالاغتراب ورفض المجتمع وعدم الرضا عن أوضاع المجتمع، وقد يزداد هذا الشعور فيعاني الفرد من «اغتراب الذات» أي يرفض قبول نفسه، كما يبعد عنه الشعور بالظلم والجور والإحجاف والغبن.

والعدالة تؤدي إلى شعور أفراد المجتمع بالرضا والقبول والاحترام والتضامن والأمل والرجاء في غد أفضل، ويدفع ذلك إلى مزيد من الإبداع والابتكار والتقدم والرخاء.

العدل حق أصيل من حقوق الإنسان

وكما أن العدل حق أصيل من حقوق الإنسان له أن يتمتع وينعم به، فالإنسان أيضا مطالب بأن يكون عادلاً مع أبناء مجتمعه ابتداء من أبنائه وأهل بيته إلى زملائه وأتباعه ورعيته إن كان حاكماً، فالعدل حق وواجب، وهو حق للمحكوم وواجب عليه أيضا.

ويقترن العدل في القرآن الكريم بالاحسان وإيتاء ذي القربى كما في قوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ (النحل:٩٠)، والله تعالى يخبر عباده بأنه يحب أهل القسط والعدل، كما في قوله تعالى ﴿... وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة:٨) إشارة الى العدل وإلى العادلين في تعاملهم مع إخوانهم وأخواتهم.

والعدل قيمة عامة شاملة، فهو واجب في أقوال المسلم كما هو واجب في أعماله وأفعاله وأحكامه وقراراته وتصرفاته، اهتداء بقوله تعالى ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى...﴾ (الأنعام: ١٥٢) فالمسلم يقول ويعمل الحق ولو كان على نفسه أو على أقاربه، ومن هنا ينبذ الإسلام الحنيف التعصب والتحيز والتفرقة، فالناس في اسلامنا سواسية لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

وتقترن قيمة العدل بكثير من القيم والفضائل الإسلامية الأخرى مثل الأمانة

وغيرها من القيم التي يحفل بها إسلامنا العظيم كما في قوله تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ (النساء: ٨٥) لذلك فالعدل أساس من أسس القضاء، والحكم والعمل والانتاج، والإدارة، والقيادة، والتربية، والسياسة، فالمسلم مطالب بأن يعدل في أقواله وأفعاله وفي حكمه وفي علاقاته الأسرية والاجتماعية ولذلك فإن العدل يجب أن يكون صفة مترسخة في شخصية المسلم الحق، والمسلم العادل يتمتع بمحبة الله تعالى ورضوانه وإنعامه، والله تعالى يحب المقسطين ولهم منزلة عالية عند ربهم كما في قول رسولنا الكريم ﷺ «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» (رواه الإمام مسلم)، وكما في قوله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل معلق قلبه في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (رواه الإمام البخاري).

حينما يتحقق العدل في المجتمع يندفع أفراده نحو الابتكار والإبداع والتقدم والرضا



المجالات التي يبدو فيها العدل

ويبدو العدل في كثير من المظاهر منها:

١- العدل مع الله تعالى بأن لا يشرك الإنسان معه في عبادته وصفاته غيره.

٢- العدل في الحكم أو في القضاء بين الناس وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه.

٣- العدل بين الزوجات والأبناء، فلا يؤثر أو يفضل بعضهم على بعض.

٤- العدل في قول الحق، فلا يشهد بالزور ولا يقول الكذب أو البطلان.

٥- العدل في الاعتقاد في الحق والصدق.

والتاريخ الإسلامي حافل بالأحداث والوقائع التي تظهر التمسك بقيمة العدل، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص رضي الله عنه أمير مصر «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً»؟ وذلك عندما ضرب ابن عمرو بن العاص المصري الذي سبقه في سباق للخيل وقال له «أنا ابن الأكرمين»، ويؤدي انتشار العدل الى انتشار روح الأمن والأمان والاطمئنان في النفوس، ومن ذلك ما رآه رسول قيصر الروم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرآه نائماً دون حراس، فقال له قولته المشهورة «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر» فالعدل من أشرف الفضائل في الإسلام.

وفي مجال الدعوة للعدل بين الأبناء، الذكور والإناث، جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى رسول الله ﷺ فقال «إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ قال: لا، فقال رسول الله ﷺ فأرجعه» وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال رسول الله ﷺ: اتقوا الله في أولادكم، فرجع إليّ، فرد تلك الصدقة» وفي رواية أخرى فقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله في أولادكم، فرجع الي، فرد تلك الصدقة، وفي رواية أخرى فقال رسول الله ﷺ: «يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ فقال: نعم، قال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدني إذن فإني لا أشهد على جور» وفي رواية قال: «أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذن» (متفق عليه).

العدل مع الزوجات

وفي إطار العدل مع الزوجات، فإن المسلم مطالب بأن يعدل مع زوجته إذا كانت واحدة، وإن كن أكثر فعليه ان يعدل بينهن في العطاء وفي العطف والرعاية والحماية والاشباع المادي والعاطفي وفي التعامل والا فلا ضرورة للتعدد كما في الهدى القرآني الكريم ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ (النساء: ٣).

وعلى المسلم أن يبعد عن نفسه الهوى وأن يمسك بالعدل حتى مع خصومه ومع من يكرههم كما في قوله تعالى ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله﴾ (المائدة: ٨)، فالعدل أساس الملك والحكم والعلاقات الأسرية والاجتماعية الطيبة ونحن المسلمين في حاجة ماسة الى بسط العدل بين ظهرانينا.

المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- عبدالباقي، محمد فؤاد، (١٩٨١)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٣- الجزائري، أبو بكر جابر (١٩٦٤)، منهاج المسلم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٤- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، (١٩٧٠)، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت، لبنان.

المشروع بين القبول والرفض

مفتي العالم الإسلامي .. تيسير أم تعسير

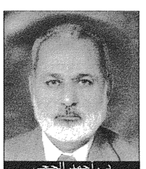
أميرة إبراهيم - عبدالرشيد راشد

أعلنت دار الإفتاء المصرية نجاح أولى خطوات إنشاء هيئة إسلامية عالمية، تكون بمنزلة مجلس أعلى للفتوى في العالم الإسلامي، يضم مفتين من دول إسلامية عدة، حيث تلقت الدار موافقة أربعة مفتين على انضمامهم لهذا المجلس وهم مفتو سوريا، ولبنان، والأردن، والبوسنة. وأكد د. علي جمعة مفتي مصر أن هذه الهيئة ستتعهد ببحث شؤون الإفتاء وخدمة قضايا الأمة المعاصرة، والنهوض بمجال الدعوة الإسلامية من خلال توحيد الرؤى، للقضاء على ظاهرة تصدر غير المتخصصين للإفتاء، والذين يسيئون إلى الفتوى بسبب الجهل بأصول الإفتاء.

وفي حين أجمع علماء الدين على وجود أهمية لإنشاء تلك الهيئة نظرا لما يشهده المجتمع الإسلامي من فوضى في الفتاوى، ولحاجته أيضا إلى صدور فتاوى موحدة فيما استجد من نوازل ووقائع معاصرة، تكفيهم شر الاختلاف والفرقة وحدوث البلبلة والاضطراب، خاصة في ظل ما يفعله الاحتلال الصهيوني والأميركي في بلدان العالم الإسلامي، على أن تكون هيئة مستقلة بعيدة كل البعد عن أي تبعية حكومية أو حزبية أو مذهبية، وأن يتم اختيار أعضائها من المشهود لهم بالعلم والخبرة والقدرة على استنباط الأحكام، ويتصفون بالاعتدال وعدم التعصب، وأن يمثلوا كل المذاهب، وأن تكون الفتاوى الصادرة عنها ملزمة لكل الدول الإسلامية، كي يتحقق الهدف من إنشائها.

ورأى البعض أن تلك الهيئة فكرة خاطئة لا تؤدي إلى التوحد، بل تؤدي إلى حدوث الانشقاقات والاختلافات في العالم الإسلامي، وهناك أيضا من لا يعارض إنشاء تلك الهيئة، ولكن يتحفظ على أن تكون الهيئة وحدها هي مصدر الإفتاء في العالم الإسلامي، مؤكدا أن الاختلاف بين الفقهاء في الفتوى رحمة، ولا يوجد أحد يقول بتوحيد الفتوى، ولكن يمكننا القول بأن يكون الهدف من الهيئة هو إيجاد مرجعية ضد الغلو والتطرف.. «الوعي الإسلامي» تعرض تلك الآراء في هذا التحقيق.


د. محمد عبد الغفار


د. أحمد الحجي

يؤكد د. علي جمعة مفتي مصر أن هذه الهيئة ستتعهد ببحث شؤون الإفتاء، وخدمة قضايا الأمة المعاصرة، والنهوض بمجال الدعوة الإسلامية من خلال توحيد الرؤى، للقضاء على ظاهرة تصدر غير المتخصصين للإفتاء، حيث يسيئون إلى الفتوى بسبب الجهل بأصول الإفتاء، ومن خلالها أيضا يمكن نشر فكر الوسطية وبيان سماحة الإسلام، ومحاصرة الأفكار المتشددة الداعمة لنشر الإرهاب والعنف والتطرف داخل المجتمعات..

ويشدد د. جمعة على أن الإفتاء بغير علم حرام، لأنه يتضمن الكذب على الله تعالى ورسوله ﷺ، ويتضمن إضلال الناس وهو من الكبائر، والتخصص يعني أن يكون من يتعرض للإفتاء قد دَرَس الفقه والأصول وقواعد الفقه دراسة مستفيضة، مع مشاركته في باقي علوم الشريعة، وممارسته لكتب العلم، وقدرته على استخلاص المعلومة منها، ومعرفته بالواقع المعيش، ويطالب الدول العربية والإسلامية بوضع ميثاق موحد يتضمن الضوابط والمعايير الشرعية والعلمية للإفتاء، ويقول: لدينا حرص كبير على التعاون مع كل المنظمات والهيئات العربية والإسلامية، ودعم كل الجهود، فهناك ضرورة إلي أن تتوحد جهود الفتوى في العالم الإسلامي، لتصبح صناعة تختص بأهلها، وكذلك هناك أهمية لتوعية المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بأهمية الفتوى وخطورتها وآدابها وشروطها، وسيتم وضع الآليات الفَعَّالة والضوابط العلميّة لمواجهة من يتصدرون للفتوى من غير المتخصصين وغير المؤهلين، والذين عادة ما تثير فتاواهم بلبلة في المجتمع الإسلامي.

و يوضح الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف الكويتية د. محمد عبدالغفار الشريف رأيه باختصار شديد قائلا: إن النوازل أو المستجدات نوعان، محلية وعالمية، أما الأولى فلا تحتاج إلى هيئات عالمية، فأهل مكة أدرى بشعابها، وأما الأخرى فهناك الكثير من الهيئات الإقليمية والعالمية التي تعالجها مثل مجمع الفقه التابع لمنظمة الأقطار الإسلامية، ومجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة وغيرهما، لذلك فلا أرى حاجة إلى إنشاء مثل هذه الهيئة المذكورة، وبالتالي ليس لدي أي اقتراح في قضية استقلاليتها أو تبعيتها لجهة أخرى.

أما خبير الموسوعة الفقهية وعضو لجنة الفتوى بالأوقاف في الكويت د. أحمد الحجي الكردي فبدأ حديثه بمقدمة تطرق من خلالها إلى معنى الفتوى ومنزلتها وأهميتها وما يتعلق بها معللا ذلك بأنها مهمة لفهم القارئ لسر أو مغزى ما يدلي

به العلماء في هذا الخصوص فبين فضيلته أن الفتوى معناها الإخبار بحكم الله تعالى لمن يسأل عنه، وهي فرض كفاية على المسلمين، لأن اتباع حكم الله تعالى في كل الأمور واجب على كل مسلم، وبعض الناس يعجزون عن معرفة ذلك بأنفسهم من مصادر التشريع، فوجب تهيئة من يجيبهم عنه عند حاجتهم إليه، قال تعالى ﴿...فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣) ويكمل د.الحجي وأول المفتين هو رب العالمين، قال سبحانه ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ...﴾ (النساء: ١٢٧)، ثم الرسول ﷺ، حيث كان يسأل عن حكم الله تعالى فيجيب من يسأل عنه، وبعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، قام الصحابة الكرام بهذه المهمة، فكان الناس يرجعون إليهم فيسألونهم فيجيبونهم بحكم الله تعالى فيما سألوا عنه، وبعد الصحابة الكرام التابعون لهم بإحسان من العلماء إلى يومنا هذا، ثم ينتقل الحجي إلى شروط الفتوى مبينا أن أولها القدرة على الاجتهاد في دين الله تعالى، والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها، وهذا لا يستطيعه غير المجتهدين من العلماء، ومن هنا نعلم معنى امتناع كثير من علماء السلف الصالح - من زمن الصحابة الكرام إلى من بعدهم- عن الفتوى في كل ما لم يستطيعوا استنباطه من الأحكام.

ويضيف: وقد حذر النبي ﷺ غير المؤهلين للفتيا من الإفتاء بغير علم فقال ﷺ «أَجْرَؤُكم على الفتيا أجرؤكم على النار» (رواه الدارمي)، وقد قضت حكمة الله تعالى أن تكون نصوص الشرع على نوعين، بعضها قطعي الدلالة، وبعضها ظني الدلالة، كما أن نصوص السنة الشريفة بعضها قطعي الثبوت وبعضها ظني الثبوت، وأما نصوص القرآن الكريم فكلها قطعية الثبوت، وهذه الظنية في الثبوت أو في الدلالة مثار اختلاف الفقهاء في الفتوى في أمور كثيرة، وهذا الاختلاف مراد من

الشريف: النوازل والمستجدات لا تحتاج إلى هيئات عالمية... فأهل مكة أدرى بشعابها وتوجد بعض الهيئات الإقليمية التي تؤدي الغرض

الشارع الحكيم تيسيرا على الناس، «فقد سئل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه هل اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء؟ فقال: نعم، فقيل له: هل كنت تتمنى أنهم لم يختلفوا؟ قال: لا، فإن في اختلافهم رحمة الأمة» ومن هذا الباب نجد اختلافا كبيرا بين المذاهب الفقهية المعتمدة لدى عامة المسلمين في الفتوى في أحكام كثيرة، سواء في العبادات أو في المعاملات، وعدوا ذلك مظهرا من مظاهر التيسير، وليس من مظاهر الخلاف الممقوت كما يراه بعض الجاهلين.

من خلال هذه المقدمة ننتهي إلى أنه من غير المستحسن التحجير على الناس بربطهم بلجنة معينة واحدة للفتوى يخضعون لها ولا يخرجون عليها، مهما بلغ أعضاؤها من العلم والتقوى، لأن في ذلك تحجيرا على الاجتهاد، وإلحاق حرج بالأمة، فضلا عن أن ذلك غير ممكن، لأن المجتهدين والعلماء العاملين موجودون في كل أنحاء العالم الإسلامي، يعرف كل منهم أعراف القطر الذي يعيش فيه، وطريقة التفكير التي يمشي عليها أهله، والعرف مصدر من مصادر التشريع الإسلامي في كثير من المسائل، وقد اجتهدوا لهم في أمور تسهل عليهم التزامهم بأحكام دينهم ودنياهم، وربطهم جميعا باجتهاد لجنة واحدة فيه إلحاق أذى كثير بهم وهو يخالف أهداف الشارع الحكيم في قوله تعالى ﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ (الحج: ٧٨) لأن لجنة الفتوى الموحدة المقترحة إما أن يكون أعضاؤها من بيئة واحدة، فتكون اجتهاداتهم وفتاواهم متأثرة ببيئاتهم، فلا تلائم البيئات الأخرى، فينفر منها أهل تلك البيئات ويتمردون عليها، وإما أن يكونوا من بيئات مختلفة فلا يتفقون على رأي، ويبدأ الاختلاف بينهم من اللحظة الأولى، ولذلك أرى الانصراف عن التفكير في هذا المشروع من أصله، وترك المسلمين في كل قطر يرجعون إلى علماء قطرهم، مع ضرورة إبعاد الجهال عن نطاق الفتوى من أي فرقة كانوا، تنزيها للفتوى من أن يدخلها الزغل والانحراف عن حكم الله تعالى. والله تعالى أعلم.

أما د.طارق الطواري الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الكويت وعضو رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي فيرى بأن إنشاء هيئه عالمية للإفتاء لا داعي له وذلك من وجهة نظره لعدة أسباب، أهمها وجود هيئات الإفتاء، ولخصوصية كل بلد وإقليم في مسائله ونوازله، لكنه في الوقت ذاته يلح على ضرورة استقلالية الإفتاء كاستقلالية القضاء من حيث المالية والتبعية والتعيين، حرصا على عدم تسييس الإفتاء مع الحرص على تنظيمه إداريا.

صورة حضارية ومشرفة

فيما يؤكد د.عبد الفتاح إدريس أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر أن إنشاء تلك الهيئة سوف يكون له أثر ايجابي على الصعيد العالمي، حيث إن توحيد الفتاوى والمواقف الشرعية أمر يجعل صورتنا حضارية ومشرفة أمام العالم، بعكس الاختلاف والفرقة وعدم التوحد على الرأي في المسألة الواحدة، فتوحيد الفتاوى خاصة في بداية الشهور الهجرية ورؤية هلال رمضان يعتبر من مظاهر الحضارة الإسلامية، كما أن توحيد المسلمين في عالم تكالبت فيه الأعداء على أمتنا وحضارتنا، وأخذوا اختلافنا ذريعة لبث بذور الفرقة بيننا، هو من صميم جوهر الحضارة الإسلامية..

تمثيل الأقليات المسلمة

ويقول د.مصباح حماد وكيل كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر: لابد بالفعل من وجود هيئة إسلامية تضم عددا من المفتين من كل البلاد الإسلامية، بل وتمثل فيها

أيضا الأقليات الإسلامية، لأن ذلك من شأنه تحقيق الوحدة في الإفتاء، خاصة في القضايا التي تمس المجتمع الإسلامي ككل، وأنا أرى أن تكون تلك الهيئة على نسق هيئة مجمع البحوث الإسلامية في مصر، تناقش القضايا والأمور بداخلها ولا يخرج الخلاف في الآراء بين أعضائها عن حدودها، فالرأي الذي يتم الإجماع عليه يكون هو الرأي الملزم للجميع، حتى لمن اختلف معه، كما يجب أن يكون تمويلها لا يمثل ضغطا من قبل الحكومات عليها، فيمكن أن يكون لها صندوق دعم تابع لجامعة الدول، أو تابع لرابطة العالم الإسلامي، بحيث يكون الدعم بعيدا تماما عن الدول، وتكون هناك حرية تامة للمفتين، وعلى الهيئة الشرعية في كل بلد إسلامي أن تختار من يمثلها في هذا النظام الجديد، وهنا لا يشترط أن يتم اختيار مفتي الدولة نفسه، فقد يكون هناك من هو أكثر علما وفقها ودراية وقدرة على استنباط الأحكام، وإذا تحقق كل ذلك فإننا سنقضي على الهرج وعدم الانضباط في إصدار الفتاوى.

الأخذ برأي الأغلبية

وينفي د.محمد الدسوقي عضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أن يكون الاختلاف المذهبي عائقا أمام إقامة تلك الهيئة، ويقول: بل نحن بالفعل في حاجة إليها الآن، فالاختلاف الموجود بين المذاهب يتمثل في قضايا ظنية وفرعية وجزئية تحتمل الخلاف، بل إن الاختلاف فيها هو من باب التيسير، لكن قضايانا المعاصرة حتى لو تم الاختلاف فيها لا يكون هناك ضرر من أن نأخذ برأي أغلبية أعضاء الهيئة، ولكن يجب أن نوضح أن هناك فتاوى تختلف بتغير الزمان والمكان ومن بلد إلى آخر، بحسب اختلاف الثقافة والعادات والتقاليد والعرف، وتلك الفتاوى يمكن أن تكون مرجعيتها لمفتي البلد نفسه، فنحن لا نستطيع أن نوحد كل الأمور الخاصة بالمجتمعات المختلفة في الفتوى، لكن القضايا التي لها ارتباط بجميع الدول دون تفريق والخاصة بالمشاكل المعاصرة التي تعاني منها أمتنا يؤخذ قرار الإصلاح فيها دون النظر للاختلاف الذي قد يكون موجودا في بعض الدول.

منيع: قضية قد تؤدي إلى حدوث إنشقاقات في العالم الإسلامي

العودة للمنظمات الكهنوتية

يرى د.منيع عبد الحليم العميد الأسبق لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر أن وجود مجلس أعلى للفتوى أو هيئة إسلامية بأي اسم كان تتصدر وحدها للفتوى فكرة خاطئة لا تؤدي إلى التوحد، بل تؤدي إلى حدوث الانشقاقات والاختلافات في العالم الإسلامي، والى عدم احترام هذا الدين، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة منها أولا: أن الإسلام في جوهره يتقبل التعددية بين اتجاهات عدة، منها الاتجاه النصي والاتجاه العقلي وكذلك الاتجاه الروحي.

ثانيا: أن الإسلام يقبل الاجتهاد، بل ويشجع عليه، ويكره التقليد ويحب التحدي، فإذا أوقفنا العمل الفقهي على علماء تلك الهيئة فلن يخرج المجتهدون، ولن يقدموا الجديد في فكرنا الإسلامي المعاصر.

ثالثا: أن الفتوى في الإسلام لا تخضع لمؤسسة معينة، ولا إلى اتجاه محدد، بل هي حياة، بمعنى من يبرز علمه يصبح مؤهلا للفتوى.

رابعا: قصر الفتوى على هيئة معينة حط من قدر عالمية الإسلام، حيث إن هناك بلادا قد دخل كثير من أبنائها للإسلام، كما هو الحال في دول أوروبا وأميركا وغيرها من الدول، وهؤلاء المسلمون الجدد لا ينتمون إلى علماء المشرق أو المغرب، بل لهم علماؤهم والتزاماتهم ومساجدهم.

خامسا: إنشاء هيئة أو مؤسسة تختص وحدها بأمر الفتوى من أهم مخاطره أنه سوف يعود بالناس إلى المنظمات الكهنوتية التي كانت موجودة في العصور الوسطي في أوروبا، أي إلى فترة الانغلاق الديني الذي جعل الناس عبيدا للكهنة.. ويتساءل د.منيع قائلا: هل نريد بعد اشراقات وأنوار الإسلام، وحرية الفكر التي أتى بها أن نغرق في الظلام بهذا التوجه الخطير على العالم الإسلامي؟ إن الذي يجب علينا هو أن ندع إطار الفتوى كما هو، وكما كان منذ عهد الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين- وعهد الأئمة الأربعة، فلا يجب أن نحجر على آراء العلماء، وإذ كان هناك فكر خاطئ فالذي يجب علينا هو مواجهة هذا الفكر بالفكر، لا بالمؤسسات التي قد تستخدم قوة وجبروت الحكومات لفرض ما يصدر عنها، وإذا عجزنا عن معالجة ومواجهة هذا الفكر، فهذا إنما يدل على عجز وقصور في علمنا وفهمنا لأمور ديننا، وعلينا أن ننمي علمنا الديني، لا أن نلجأ إلى فكر مؤسسي.

مرجعية ضد الغلو والتطرف

ويري د.أحمد عبدالرحيم السايح أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر أن خروج تلك الهيئة للنور مفيد، لكنه في الوقت نفسه يرفض أن تكون الهيئة وحدها هي المسؤولة عن الإفتاء، لأن في ذلك - من وجهة نظره- تضييقا وكبتا للآراء، موضحا أن في تعدد واختلاف الآراء ظاهرة صحية للمجتمع الذي يتطلع إلى ما هو راق من خلال العمل والأخذ بالآراء والفتاوى التي تحقق له النفع والمصلحة، دون أن يكون هناك حجر على خروج تلك الفتاوى والآراء، ودون أن يتم تجميد الفكر وتعطيل العقل وقصر الاجتهاد واستنباط الأحكام والفتاوى على أعضاء تلك الهيئة، لأن معنى ذلك ألا يتكلم في العلم غير هؤلاء، حتى ان كان هناك من هو أقدر منهم في العلم والخبرة والقدرة على استنباط الأحكام.

فيجب أن يكون الهدف ليس توحيد الفتوى، بل جمع الفتوى تحت مظلة تلك الهيئة بحيث تبين الصواب من الخطأ، أما اختلاف المذاهب فهو رحمة وواقع تاريخي نعتز به، ولا يوجد أحد يقول بتوحيد الفتوى، ولكن علينا أن نعمل على إيجاد مرجعية ضد الغلو والتطرف.



لغة وأدب

رسالة السماء

منذ كان الإنسان كانت الكلمة، ومنذ كان الإسلام كان الأدب إحدى أدواته الرسالية.
فلا ينتاب ذا إلمام بأبسط جماليات الكلام شك في أن كتاب الله الكريم قد بلغ من الجمال درجة الإعجاز الذي أقعد أبلغ بلغاء البشرية على الدوام أن يدانوه، بله أن يجاروه.
وقريب من هذا القول يقال عن سنة أبلغ الخلق أجمعين حيث انقطعت الأعناق دون مسايرتها من كل بليغ منتحل مهما بذل وحبك.
غير أن هذين المصدرين المعجزين لم يحجبا عن طالب رشد هدى ولم يمنعا قاصد اقتفاء أثراً.
بل لقد أحدثا في ألسنة وقلوب وكلمات كل تال لهما متدبر تحولاً عميقاً أعاد صياغته بما رفع مقامه وأعلى شأنه فكراً ووجداناً وتعبيراً.
ومن ثم فإنهما قد أخرجا للوجود أمة رسالية ترى الوجود من حولها جميلاً لأنها كل يوم تقرأ أجمل بيان تلي على الأرض.
ألا إن عينا لم تر الوحيين وأذنا لم تسمعهما وقلباً لم يعقلهما لفي غاية الحرمان من أجمل الجمال.

تنويه

بكثير من التميز تتوالى أنشطة منتدى الأدب الإسلامي بالمركز العالمي للوسطية برئاسة د.مطلق القراوي.
ويشار إلى أن المنتدى يقيم العديد من الفعاليات الدورية وقد كان آخرها ندوة للشيخ محمد العوضي بعنوان «قطوف أدبية».

المحرر



منزلة لغة الضاد بين اللغات ووسائل الحفاظ عليها

د.محمد عبدالهادي

في العدد ٩٤ (ابريل ٢٠٠٥) من مجلة الضياء الإماراتية قرأت تحقيقاً بعنوان «اللغة العربية تشكو الإهمال والصدود من أبنائها» جاء فيه: «...فالعربية بالنسبة لنا لغة القرآن الكريم ولغة الصلاة والدعاء وهي الوعاء الحقيقي المحتضن للهوية الحضارية وحينما يهتز هذا الوعاء فعلينا جميعاً أن نحفز كل طاقاتنا للمحافظة عليها وحمايتها، بعد أن طالها الإهمال الشديد، خاصة في أجهزة الإعلام والفضائيات وأشكال الثقافات المختلفة الفنية منها والترفيهية، بل إن البعض منها لا يكتفي بالإهمال المتعمد لهويتنا اللغوية بل يمتد الأمر به إلي السخرية من الفصحى ومن المتحدثين بها، بما يخلق وازعاً عدائياً داخل نفسية المتلقي تجاه لغته...».



من منطلق هذه العبارة شرعت في كتابة مقالتي بعنوان «منزلة اللغة العربية بين اللغات والسبيل للحفاظ عليها» دفاعاً عن لغتنا الجميلة، وإبرازا لمكانتها بين اللغات من جهة، والسبيل للحفاظ على هذه المكانة من جهة أخرى.

عرّف كثير من الفلاسفة والمربين الإنسان بقولهم «الإنسان حيوان ناطق»، فالنطق يقتصر على الإنسان وحده دون غيره من بقية الكائنات. والإنسان وحده هو الذي يستطيع استعمال مجموعة من الرموز والإشارات للدلالة على ما يريد من معان والتفاهم مع غيره من الناس. والذكاء والفهم لا ينتقلان إلا عن طريق اللغة. إن تاريخ ما قبل التاريخ والعصور القديمة وتاريخ الفراعنة والآشوريين والكلدانيين والفينيقيين وصل إلينا عن طريق اللغة التي حفظته بين حروفها وكلماتها.

لذلك يجب أن يحتل تدريس اللغة المكان الأول في المدرسة، وعلى عاتق المعلم العربي يقع عبء التربية اللغوية، فوحدة اللغة تؤلف قلوب الجماعة على مشاعر واحدة لأن اللغة هي روح الأمة كما قيل، فإذا فقدت أمة من الأمم لغتها اندثرت وقضي عليها ولم تعد تحمل خصائصها، واللغة وعاء يضم الحضارة والعلوم والآداب وجميع التراث القديم.

واللغة بكتابتها وقراءتها وسيلة من أهم وسائل التنوير الذهني، واليقظة والنهضة الفكرية. وما استيقظت أمتنا العربية في فجر نهضتنا في القرون الهجرية الأولى إلا حين انتشرت تعاليم الشريعة الإسلامية، ثم انتشرت الحركة الفكرية المنظمة بالتدوين والتداول العلمي.

فتحت لغتنا صدرها لتراث الإنسانية الخالد ومعارف البشرية الرائعة، كما اتسعت لمقومات الأمة الإسلامية التي شرقت بالحضارة وغربت، وانصهرت في بوتقتها الحضارة الفارسية واليونانية، وأصبحت لغة العلم والمعرفة كما كانت لغة الأدب البارع والفن الرفيع منذ الفتح الإسلامي.

لقد مرت العربية قبل الإسلام بطور تفرعت فيه إلى فرعين، جنوبي بائد بلهجاته كالحميرية واللحيانية والثمودية، ولا تزال أطلال هذه اللغات ماثلة في اللغة المهرية، وفرع آخر شمالي باق كادت تتحول لهجاته كالقرشية والهذلية والتميمية والطائية إلى لغات مبعثرة متباعدة لولا مجموعة من الروابط التي كانت تشد هذه اللهجات بعضها إلى بعض، هذه الروابط نعني بها الأسواق التي كانت مواسم للعرب يتنقلون فيها من مكان إلى آخر في قلب جزيرتهم، ويتبادلون الأنشطة الثقافية والأدبية والقضائية فضلاً عن الاقتصادية التجارية.

ولكن الرابطة الأقوى التي صهرت هذه اللهجات في لغة فصحى تمثلت بمجيء الإسلام، ونزول القرآن الكريم مصدر التشريع والعبادات باللغة التي ينطق بها رسولنا العربي الكريم صلى الله عليه وسلم، وبلهجته التي لم تقتصر على لهجة قبيلته (قريش)، بل اختارت من لهجات القبائل الأخرى عدداً غير قليل من العناصر اللغوية، وأصبحت لغة القرآن الكريم هي لغة المجتمع الجديد والدولة الناهضة.

وأصبح القرآن المجيد سداً عالياً منيعاً في وجه تفتت العربية إلى

لهجات لا حصر لها، وفي وجه رياح العجمة التي كانت تتسرب بين الحين والآخر إلى ألسنة الأجيال العربية.

إن اللغة العربية هي لسان حالنا ووعاء حضارتنا وتراثنا وعزنا وفخرنا، حوت حضارتنا وحفظت تاريخنا وهي تنمو وتزدهر في كل يوم وفي كل حين.

ستظل رابطة تؤلف بيننا

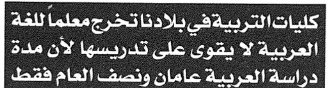
فهي الرجاء لناطق بالضاد

اللغة العربية إحدى اللغات السامية، تلك اللغات التي امتازت بين سائر لغات البشر بوفرة كلمها، وتنوع أساليبها، وعذوبة منطقها، ووضوح مخارج حروفها، واللغة العربية تفوقها جميعاً في كل ذلك.

وهي أدق اللغات صوراً لما يقع تحت الحس، وأوسع تعبيراً عما يجول في النفس، وذلك لمرونتها على الاشتقاق وقبولها للتهذيب وسعة صدرها للتعريب. وقد نزل القرآن الكريم بلسانها فجعلها أكثر رسوخاً، وأشد بنياناً، وأقوى استقرار، وبفضله صارت أبعد اللغات مدى، وأوسعها أفقاً، وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الإنسانية.

أخذت هذه اللغة تفرض سلطانها على بيئات جديدة في أقطار الأرض، ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من أواسط آسيا حتى جبال البرانس في شمال أسبانيا، ولم تستطع لغة من هذه البيئات أن تثبت لها أو تحول بينها وبين سيادتها.

وقد يكون من أسباب ذلك أيضاً أنها لغة القرآن الذي كفل لها حياة الخلود، وقد يكون من أسبابه أيضاً قوتها وجمالها الفني، والعربية ما تزال لغة الشرق العربي الإسلامي من الخليج إلى المحيط، تتوهج جذوتها وترسل أشعتها إلى كل مكان. ومن الواضح أنها اجتازت آماداً وأحقاباً متطاولة من الزمن، وقد ألمت بها خطوب كثيرة، ولكنها رسخت في طريقها وصمدت كالصخرة في مجرى السيل.


كليات التربية في بلادنا تخرج معلماً للغة العربية لا يقوى على تدريسها لأن مدة دراسة العربية عامان ونصف العام فقط

ولقد اختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم تضق بكل ما أدركه الإنسان من علم، بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والأمم المختلفة غير كارهة أو مكرهة.

ولأول مرة في التاريخ نجد لغة تنتشر بهذه القوة، فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية، ولكنها لم تصل إلى أعماق الشعوب، ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الأيام في بلاد الشرق، أما اللغة العربية فقد غلبت كل هذه اللغات ووصلت إلى أعماق شعوبها.

هذه اللغة منذ أن تم لها الانتشار لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث، ولغة سياسة، ولغة إدارة، ولغة دين، وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والإنتاج الأدبي العصري، وفي أقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت أن تسع كل الثقافات التي كانت معروفة في العصور القديمة.

رماها أعداء الإسلام بالعقم. ولكنها كانت البحر الذي في أحشائه الدر كامن. وما فتئت تفيض قوة وحيوية. كيف لا؟ وهي التي وسعت كتاب الله لفظاً وغاية.

أما وسائل الحفاظ على مكانتها ورونقها فيكمن في علاج مشكلاتها، وقد تناول علماء اللغة في العدد نفسه من مجلة الضياء هذا الموضوع فماذا قالوا؟

يؤكد د.فاضل السامرائي (جامعة الشارقة) أن العربية تواجه تحدياً مستمراً وحرباً دائمة ظاهرة وخفية من جهات مختلفة، وعلاج هذه المشكلة يحدده السامرائي في شقين: الأول يتعلق بأولى الأمر في كل قطر عربي وإسلامي، وهو الشق الأهم لان أولي الأمر وهم أهل السلطة وأهل الحل والعقد بيدهم الحل الناجع إذا أرادوا.

أما الشق الآخر فيتعلق بأبناء العربية، إذ ينبغي أن يبصروا بقيمة اللغة العربية وارتباطها بوجودهم وكيانهم، فان زوالها يعني زوالهم، وان يبصروا بمحاربة الأعداء لها وهدفهم من ذلك. وأن يطلعوا على جوانب من مخططات الأعداء لمحاربة لغتهم بإثارة الحمية في نفوسهم للدفاع عنها والاستعداد للبذل في سبيلها، وان يدركوا أن عليهم أن يدافعوا عنها كما يدافعون عن وجودهم وأهلهم وأوطانهم.

ويحدد د.عبدالقادر السعدي أستاذ العربية (جامعة الشارقة) مقومات النجاح لعلاج الخلل الدراسي والتربوي في التعامل مع العربية بإيجاد محفزات للترغيب في دراستها وإتقانها وذلك بغرس حبها في قلوب الأطفال منذ نعومة أظفارهم، ويقع ذلك على عاتق أولياء الأمور ومعلمي المرحلتين الابتدائية والإعدادية والاتجاه إلى تفضيل خريج أقسام اللغة العربية في الجامعات على غيره في التعين بالوظيفة المناسبة له.

إن كليات التربية في بلادنا العربية تخرج معلماً للغة العربية لا يقوى على تدريسها في المدارس الثانوية أو الإعدادية لسبب جوهري يتمثل في أن مدة دراسة العربية هي عامان ونصف العام فقط، يضاف إليها عام ونصف لدراسة العلوم التربوية، وهذه المدة بطبيعة الحال لا تسمن ولا تغني من جوع.

وإذا رجعنا إلى تاريخ التعليم في مصر - مثلاً - نجد أن طالب مدرسة المعلمين الأولية الذي كان يعهد إليه بالتدريس في المدرسة الأولية الإلزامية، كان يقضي خمس سنوات في مدرسة المعلمين الأولية، بعد قضاء عامين في تحضيرية المعلمين يختم فيها حفظ القرآن الكريم، ويكفي أن نقول إن الأديبة العبقرية بنت الشاطئ، والخطيب المفوه حافظ بدوي، رئيس مجلس الشعب السابق بمصر كانا من خريجي مدارس المعلمين الأولية.

إن معاهد إعداد معلم العربية، ينبغي إعادة النظر فيها بوجه عام وكليات التربية منها بوجه خاص.

المراجع

١- محمد أحمد عبدالهادي وزميله، التربية والطرق الخاصة بتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية.

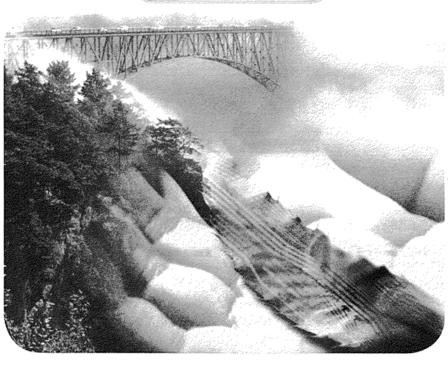
٢- محمد صالح سمك، فن تدريس اللغة العربية.

٣- محمد صلاح الدين مجاور، تدريس اللغة العربية.



قصة قشة

عبدالجواد حمام



في حياة الضياع، ووسط الفوضى العارمة حيث التيار يجرف كل شيء، وحيث الأمواج تضرب يميناً وشمالاً، فلم يبق ثابت أو متأصل إلا اختلعته أو ثنته، ولم يبق صاحب مبدأ أو عزيمة إلا شوّهت حقيقته، وأعملت مخالبها فيه نهشاً وتمزيقاً.

في غمرة هذا الصخب المقيت، تتشبث قشة ببقايا شجرة قفرة، تعزم على ألا تنجرف، وأن تكون الناجية في هذا الحطام المتحطم.

رَمَقت ما حولها فرأت الكبير والصغير، والعاقل والسفيه، والمتعلم والجاهل، رأتهم كلهم منجرفين، يظنون أنهم في نزهة أو مغامرة، ولا يدرون أن النهايةَ القريبةَ منهم، هي الفناءُ والهلاك.

نظرَتْ فرأت الكونَ كلَّه معتماً حالكاً، قد خبا فيه النور، وعشعشت الظلمة، ولم تجد ما تشد به أَزْرَها، أو يُحيي في قلبها الأمل.

نظرت القشة إلى هذا التيار العظيم برعونته وزُخْرفه وما يحتويه من كل فتنة وزينة ألهت الغارقين، وشغلت عقول التائهين.

تأملت في هؤلاء المغفلين فرحمتهم، وتأسفت عليهم، فهم مغشوشون مخدوعون، وليس هناك من يوقظهم.

في غمرة هذه الخطرات والتأملات والنظرات وجدت القشة نفسها وقد كادت أن تنفلت مما تشبثت به، وكادت أن تنجرف مع التيار، فانتبهت بسرعة، وعضت على غصن تلك الشجرة الهرمة بكلِ قوة وعزم.

نعم كادت أن تنجرف هي أيضاً؛ فالتيار قوي عنيد طاغ، لا يرحم أحداً حتى يسوق الجميع إلى مهلكهم.

ورغم ما في هذه القشة من الوعي والحكمة والنظرة الصائبة، فإن الأمواج قد أخذت تُكسِّرُ منها أجزاء، وتبتر منها أشلاء، وأحست بالوهن، وبدأ الضعف يسري في أوصالها حتى أوشك أن يصل إلى تفكيرها.

أوشكت على الإغماء، لكن الإغماء يعني الاستسلام .. يعني الضياع.

لكن..أن تبقى متشبثة متماسكة فهذا صعب جداً، مرهق للغاية، وهي وحيدة غريبة، وربما لا تستطيع الصمود حتى ينجلي هذا التيار وهذا الابتلاء.

كل هذه الأفكار جالت في خاطر تلك القشة، وتراءت أمامها صورُ المنساقين مع التيار، ما بين لاهث وراء نزوة، وباحث عن شهوة، ومُتبطل لا يُكلِّفُ نفسه عناء الثبات، أو مخالفة محيطه، وبين ناعق وتابع لا يعرف من الحياة إلا حياة الذَّيلية ومستوى الأذناب.

صُوَرٌ مَقيتة نفرت منها هذه القشة، وتأبَّتْ عليها نفسُها أن تنصبغ بلون من ألوان الضياع والخنوع هذه، ورأت في نفسها- على ضعفها ووهنها وغربتها- أنها أرفع من ذلك، وأرقى من هاتيك المسخ والصور المشوهة.

ولكن.. ولكن التيار هادر، قوي، جارف، لم يُبق مُتَمَسَّكاً لأحد، ولم يَذَرْ ملجأ لهارب ولا فارّ، وليس ثمة من يأخذ بيدها.

ولكن، برغم قوة التيار وهديره، وبرغم زُخرُفه وبريقه، وبرغم كل من انجرف معه وانساق فيه.. برغم ذلك كله فإنها تمتلك الإرادة، تمتلك العزم.

أخيراً عزمت على الصمود والثبات فأغمضت عينيها، وأمسكت بالغصن بكل ما أوتيت من قوة، آملة النجاة، مستبشرة بالقادم الذي ستصنعه.

فهل تُكتَبُ لها النجاة يا تُرى؟ أم إن شدَّةَ العواصف العاتية سوف تجرفها لا محالة، وترمي بها بعيداً في منزلق الهلاك؟

التوقيع: قشة مذعورة.

النحو الفطري

د. محمد حسان الطيان

لي صاحب لما يبلغ السابعة من عمره، يحلو له أن يكلمني بالفصحى، سواء لقيني وجهاً لوجه، أو خاطبني بالهاتف.
يشدو بها كما تشدو العصافير، فتخرج من فيه غضة طرية، لا تكلف فيها ولا عسر، ولا لحن فيها ولا خطأ، بل تجري على لسانه سليقة فطرية على نحو ما قال الشاعر:

ولست بنحويٍ يلوك لسانَهُ
ولكنْ سليقيٌّ يقولُ فيعربُ

فهو يعرب كلماته، أي يعطي كلاً منها حركته المناسبة، ضمة كانت أو فتحة أو كسرة، دون أن يعلم شيئاً عن فن الإعراب، ودون أن يدرس شيئاً من دروس النحو والقواعد، إنه نحوُ الفطرة الذي يجري على ألسنة الفصاح، لا نحوُ الفطنة الذي تشتمل عليه مصنفات النحو. وهو - أي نحو الفطرة - النحو الذي استقامت به ألسنة. وارتقت عليه أذواق، واستوت به ملكات.
وإنما يُكتَسَبُ من مجالسة الفصحاء، ومداومة الكلام معهم، وقراءة النصوص - نصوص العربية السليمة - وتخير الجميل منها وحفظه، وملازمة الكتب.
قلت لصاحبي الصغير مرة كيف أتقنت العربية؟ وأنى لك هذه الطلاقة فيها؟ فأجابني: من كلامي مع والدي، ومن أفلام الكرتون، ومن القصص التي أقرأها صباح مساء.
وقد جربته في هذا فوجدته قارئاً نهماً، بل هو أسرع قارئ صغير عرفته، إذ زارني مع أبيه ذات يوم فتجاذبت معه أطراف الحديث، ثم خشيت أن يلهيني عن والده فصرفته بمجموعة قصصية تحوي أربع قصص دفعتها إليه طالباً منه أن يقرأها ظاناً أنه سيبدأ بها عندي ليكملها في بيته، وما كان أشد عجبي حين أعلن بعيد برهة يسيرة أنه أتى على تلك القصص، وجعل يعلق على بعض شخصياتها، فذكرني بالمتنبي حين أخذ يتصفح كتاباً يريد صاحبه أن يبيعه في سوق الوراقين، فلما أطال النظر فيه نهره صاحب الكتاب قائلاً: إن كنت تريد حفظه فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر فأجابه المتنبي: وإذا كنت قد حفظته فمالي عليك؟ قال: أهبه لك، وأقبل يتلوه عليه إلى آخره، فعجب الرجل وترك له الكتاب.
أما أنا فأعطيت صاحبي الصغير مجموعة قصصية أخرى وأنا أودعه على باب المنزل، خشية أن يأتي على مجموعات المكتبة كلها فلا يبقي لأولادي منها شيئاً!
وحدثني والده وهو يقدم لي أطروحته التي صنعها لنيل درجة الماجستير أن صاحبي الصغير هذا - واسمه إبراهيم - كان يساعده في إعدادها، وقد وقف له على تصحيح بيت من الشعر، كما أنه أسهم في ترتيب مواد الفهرس على حروف الهجاء لأنه يحفظ الترتيب جيداً.
والحق أن صاحبي هذا ليس بدعا في بابه، بل هو يمثل نمطا من الأطفال أخذهم آباؤهم بهذه اللغة الفطرية فأحسنوا فيها كل الإحسان، وكان شيخنا وشيخهم في ذلك الأستاذ الدكتور عبدالله دنان الذي عمم هذه التجربة الرائدة، وأخرجها من محيطه الفردي إلى رياض للأطفال بدأها في هذا البلد الطيب الكويت في أواخر الثمانينيات من القرن الفائت، وانطلق بها لتعم كثيرا من بلداننا العربية كسورية ولبنان والسعودية وقطر..وأول الغيث قطر ثم ينهمر.
أكتب هذا الكلام وقلبي يتفطر حسرة على الضعف المستشري بين أبنائنا وآبائهم وأعمامهم وعماتهم وكل من يلوذ بهم... في لغتهم العربية، مع أن العلاج سهل ميسور، وهو على طرف الثُّمام من كل منا، إنه يكمن في سماع صحيح، يمكن أن نوفره لهم فيما يتابعونه من أفلام الكرتون، وقراءة نهمة، يمكن أن نعودهم عليها بتقديم القصص الجميلة بلبوس بديع وأُسلوب شائق. ثم نعتادهم ببعض النصوص الأدبية القصيرة من القرآن والحديث والشعر الرائق يحفظونها، فيمتلكون ناصية اللغة، ويكتمل في أذهانهم نظام نحو الفطرة، ويستغنون به عن كثير مما نشغلهم به من نحو الفطنة، فهلّا بدأنا!
لقد شغلنا بنحو الفطنة - أعني قواعد اللغة ونحوها وصرفها - أكثر مما ينبغي، وأهملنا نحو الفطرة - أعني سماع اللغة السليمة وقراءة نصوصها الفصيحة وحفظ روائعها الجميلة - فكانت النتيجة ما نحن فيه من ضعف في اللغة ونفور من دروسها، وعداء مستحكم بين أبنائنا وبينها.
إن هذه السبيل في اكتساب ملكة اللغة - أعني سبيل نحو الفطرة - هي التي سلكها أجدادنا في تعليم أولادهم العربية و في إكسابهم سليقة الفصاحة والبيان عن طريق المحاكاة والسماع لا عن طريق النحو والقواعد. وفي هذا يقول الجاحظ في فصل عقده لرياضة الصبي من رسالته في المعلمين «وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه. وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أردّ عليه منه من رواية المثل والشاهد، والخبر الصادق، والتعبير البارع».
وهي السبيل التي نادى بها ابن خلدون في مقدمته عندما رسم خطة التعليم لمن ابتغى ملكة اللغة، ثم انتهى إلى القول «وتعلم مما قررناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، و يتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم».
وهي السبيل أيضا التي نبه عليها أرباب العربية في عصرنا، حين تصدوا لأمر اكتساب اللغة، كالأستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب حيث يقول «لاشيء أجدى على من يريد تعلم لغة ما من الاستماع إليها والقراءة الكثيرة في تراثها، وحفظ الجيد من نصوصها».



الإنسان وبلاغة اللغة

عبدالباقي يوسف

الإنسان كائن يتحدث، وهذا الحديث ينتج عن عقل يتحمل به الإنسان نتيجة ما يقول. تستمد اللغة مقدرتها وبلاغتها ودورها من العقل، وتعتمد عليه بالدرجة الأولى في أداء وظيفتها. روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له: أقبلْ، فأقبل، ثم قال له: أدبرْ، فأدبرَ، فقال عز من قائل: وعزتي ما خلقت خلقا هو أعجب إلي منك، بك آخذ، وبك أعطي، ولك الثواب، وعليك العقاب» (رواه أحمد).

ذات مرة قيل لعلي ﷺ: صف لنا العاقل، قال: الذي يضع الشيء مواضعه، قيل: فصف لنا الجاهل، قال: فقد فعلت، يقصد الذي لا يضع الشيء مواضعه.

مداراة الناس دليل على العقل، قيل لبعض الحكماء: بم يُعرف عقل الرجل؟ قال: بقلة سقطه في الكلام، وكثرة إصابته فيه، فقيل له: فإن كان غائبا؟ فقال: بإحدى ثلاث، إما برسوله، وإما بكتابه، وإما بهديته، فإن رسوله قائم مقام نفسه، وكتابه تصف نطق لسانه، وهديته عنوان همته.

العاقل لا تبطره المنزلة السنية، كالجبل لا يتزعزع وإن عتت عليه الريح، والجاهل تبطره أدنى منزلة، كالحشيش يحركه أدنى ريح.

قال الأصمعي: رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن، وعليه ثياب فاخرة، وحوله حاشية وهرج، وعنده دَخْل وخرج، فأردت أن أختبر عقله، فسلمت عليه وقلت له: ما كنية سيدنا؟ فقال: أبوعبدالرحمن الرحيم مالك يوم الدين، قال الأصمعي: فضحكت منه وعلمت قلة عقله، وكثرة جهله

> **السلم على مدار التاريخ يحل بالكلمة البليغة والدعوة إلى التحاور .. وهو ما يسمى اليوم بقوة الدبلوماسية**

كيف وصلتنا اللغة التي نتحدث بها، ومَنْ أول إنسان نطق لغة، وما اللغة التي نطقها؟

تشير المصادر إلى أن الإنسان قد اكتسب اللغة من أصوات الطبيعة، فمثلاً الماء يخر فسُمي خرير الماء، والشجر يحف فسُمي حفيف الشجر، ومثل ذلك صرير الباب، وقعقعة الشنان، وجعجعة الرحى.

فأنت عندما تطرق الباب يصدر منه صوت وكأنه يقول: طق.. طق.

ويرى ابن جني (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) صواب هذه النظرية إذ قال: «ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء وشحيج البغل، ونهيق الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ثم تولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبَّل»(١).

وهناك اتجاه آخر يرى أن اللغة مسألة غريزية وفطرية في الإنسان، فلو وضعنا عشرة أطفال في مكان منعزل فإنهم عندما يكبرون سيعبرون عن مشاعرهم بالإيماء أو الإشارات، وماكس مولر (المتوفى سنة ١٩٠٠) يميل إلى هذا الاتجاه بقوله: «إن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة زُوِّد بها الإنسان في الأصل للتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع، كما زود باستعداد فطري للتعبير عن انفعالاته بحركات جسمية وأصوات بسيطة».

وهناك اتجاه آخر يرى أن الإنسان قد اخترع اللغة كما اخترع المصباح الكهربائي مثلاً، أو ما نشاهده من الاختراعات البشرية(٢)، والدليل أنه يطوّر لغته ويحدّثها من قرن إلى قرن، وكذلك يخترع لغات متعددة، إضافة إلى ذلك فإننا نجد اتجاها يدعو إلى عدم الخوض في البحث عن أصل اللغة، ودليل هذا الاتجاه هو أن الباحث سوف يبحث في دائرة مفرغة، وبالتالي يعود من حيث انطلق. يمثل هذا الاتجاه الإمام أبو حامد الغزالي الذي يحدد موقفه في كلمات موجزة يقول فيها: «أما الواقع في هذه الأقسام فلا مطمع في معرفته يقيناً إلا ببرهان عقلي أو بتواتر خبر أو سمع قاطع، ولا مجال لبرهان العقل في هذا، ولم يُنقل تواتر ولا فيه نص قاطع، فلا يبقى إلا رجم الظن في أمر لا يرتبط به تعبدعملي ولا ترهق إلى اعتقاده حاجة، فالخوض فيه إذن فضول لا أصل له» (٣)، وابن السبكي الذي جاء بعد الغزالي يؤكد هذا الاتجاه بقوله: «الصحيح عندي ألا فائدة لهذه المسألة، ولذلك قيل: ذكرها في الأصول فضول» (٤).

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (الروم:٢٢).

قال ابن خلدون في المقدمة: «اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة عن المتكلم من مقصوده، وتلك العبارة فعل اللسان، فلا



بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو في كل أمة حسب اصطلاحاتهم»(٥).

وعـرّفـهـا ابـن الحـاجـب في المختصر «حدُّ اللغة كلُّ لفظ وضع لمعنى».

أما أبو الفتح ابن جني فقد عرّفها بقوله: «حدُّ اللغة أصوات يعبّرُ بها كل قوم عن أغراضهم»، وقال ابن تيمية «واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صور هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق».

اللغة ومسؤولية الحوار

إن الأنانية هي غرسة في أعماق الإنسان، وليس بوسع إنسان أن يولد بدون أنانية، ولكن البطولة تكمن في مواجهة هذه الأنانية وإرضاخها لعوامل الثقافة والنضج والتسامح والأخوة والمحبة، كما تكمن روح الهزيمة في إرواء هذه الغرسة بمياه القمع والعنف وقهر الآخرين، ثمة حكمة قديمة في التراث العربي تقول: العفو عند المقدرة، أي أن تأتي إلى الذي أخطأ بحقك سواء بالقول أو بالفعل فتقول له بشموخ وأنت في ذروة قدرتك عليه: لقد عفوت عنك.. اذهب فأنت طليق، والأديان وإن كانت تجيز في بعض الأحوال العقاب بحق من اعتدى عليك بالقول أو بالفعل، فإنها في الوقت عينه توجه إلى أن العفو أقرب إلى التقوى.

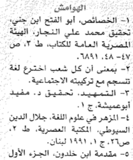
قال عمر بن الخطاب في هذا الصدد: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي.

الحوار سلوك وممارسة ومنهج عام للحياة المعرفية والانفتاح على العالم المظلم، وعندما يفقد شخص إيمانه بالحوار فإنه يغلق كل أبواب المعرفة والنور أمام ذاته فلا يصغي للآخرين ولا يقرأ لهم، ولا ينسجم مع العلاقات الاجتماعية تاركا نفسه متقوقعة في ظلماء ذاتها.

والحوار هو الوسيلة الأنجع إلى معرفة الحقيقة الغائبة، ولا تفسح هذه الحقيقة الغائبة عن غيومها إلاّ من خلال حديث مبتسم هادئ، إلى مصغ متأمل هادئ، ولا يكون من اليسر أن تحل هذه الحقيقة عليك إلاّ إذا بلغتَ مبلغا من الاستعداد لتلقيها وأنت متجه إلى مائدة حوار، وعلى قدر رحابة استعدادك لتلقي هذه الحقيقة الغائبة من الطرف الذي تصغي إليه، فإنك تستمد من تربتها ذات الاستعداد لتقول له حقيقة لم يكن يعلمها.

رغم كل تاريخ الحروب البشرية العالمية والإقليمية والأهلية والمحلية عبر التاريخ البشري لا توجد حرب واحدة استطاعت أن تؤسس لحالة من السلم، بيد أن السلم في كل مراحل التاريخ يحل بالكلمة الطيبة والدعوة إلى التحاور، ونحن نلمس مدى مشاعر الاستقرار لدى بعض الذين يتحاورون، بيد أن الإنسان يكون في عجالة من أمره لحلول حالة السلم فيلجأ إلى القوة في سبيل ذلك، وأحيانا يكون الدافع الانتقام والثأر، فالسلم بدون ثأر لا يشفي غليل الذي يرى بأنه سيبقى مجروحا إن لم ينتقم من خصمه بشكل مباشر، وهنا سيكون قد حقق غايتين في آن، فيفرح لأنه ثأر لجرحه من جهة، ويفرح لأنه حقق حالة السلم بالقوة من جهة أخرى، لكن هذا لا يعني أن الإنسان القوي ليس بمقدوره أن يجلب حالة السلم بقوة الكلمة الطيبة أيضا، أو كما يقال بقوة الدبلوماسية السلمية بما لا يلحق إلا أقل الأضرار حتى لو دخل شيء من القوة وفق مراحل متدرجة، إذ أن الحروب الفتاكة الكبرى دوما تكون خاسرة.

وهنا أذكر كيف أن شاعرا مثل الشيرازي استطاع أن يؤثر بقوة الكلمة في روح الشاعر الألماني الكبير يوهان غوتيه ليغدو مريدا له وينشده قائلا: «يا حافظي الأقدس، يا حافظي إن أغانيك لتبعث السكون، يا حافظي الأقدس إنني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة المتناثرة، بهم جميعا أرجوك أن تأخذنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبدالله» (٦).



الهوامش

١- الخصائص، أبو الفتح ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ص ٤٧- ٤٨، ٦٨٩١.

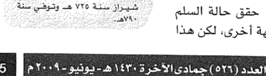
٢- بمعنى أن كل شعب اخترع لغة تنسجم مع تركيبته الاجتماعية.

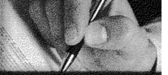
٣- التمهيد، تحقيق د. مفيد أبوعميشة، ج ١.

٤- المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، ط ٢، ص٢٦، ج ١، ١٩٩١ لبنان.

٥- مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ، ص ٦٤٥.

٦- شمس الدين محمد بن بهاء الدين المعروف بخواجة حافظ الشيرازي، شاعر شعراء إيران الملقب بلسان الغيب وترجمان الأسرار، ولد في شيراز سنة ٧٢٥ هـ وتوفي سنة ٧٩٠هـ.





قصة قصيرة

أنين المفاصل والعمة المكلومة

ميسون صافي

لم أكد أصل إلى البيت وأشرع في أخذ راحتي حتى «رن» الهاتف وظهر رقم أخي على الشاشة الصغيرة، خير ان شاء الله؟ دعوة للعشاء، آسفة الوقت متأخر جداً وغير مناسب بالمرة، ولن ألبي، كان بادياً على صوته الانهاك واللهفة.. إنه ولدي لا تفتر حرارته، ولا يكاد يفيق، لله كم أكره العيادات المسائية، أكرهها وأفصل خط الهاتف لأجلها، ألا يكفي تعب النهار؟... لكنه أخي، ولا اذكر انه شكا يوما من تعب حين كنت أقصده في حاجة! فهل تكف مفاصلي عن اعلان توجعها وتقدر الموقف؟

هل ننقله الى المستشفى أختي؟ حمل صوته قدراً كبيراً من الجزع.. لا احب له ذلك.. فيما سبق كنت اهرع اليه بجزعي فيطمئنني بثباته ويقينه بعون الله، لكن الولد غال.. ومن حقه ان يغالي في القلق.

لا تجزع الامر لا يستحق لو صبرت على «الكمادات» الباردة فستخفض حرارته! قلت له هذا مع يقيني انه – مع أنين الولد – لن يصبر! لا بد من فعل شيء غير «الكمّادات» فالأعراض لا توحي بخير، خلعت حجابي وقلت: سأبيت عندكم، اهتز قليلاً من المفاجأة وارتبك وقال: لا، أختي.. لا يحق لنا أن نحرمك من بيتك، حقوق؟، صار بين الاخوة حقوق؟ كنا نتقاسم في صبانا كل شيء يمكن تقاسمه! اليوم ننظر في الحقوق؟، وفي هذه اللحظة بالذات؟ قلت لهما: سأصلي العشاء وأعود.. راقبا «الكمادات» لتبديلها.

لهفة ورجاء

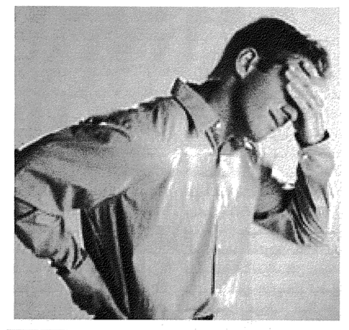
عندما يشتد المرض نهرع الى الله سبحانه! هكذا خلقنا، وليس كذلك أخي، فهو مع الله من صغره، حثني على حفظ جزء «عم» بكامله عندما كنت في الابتدائية، لكنه حين تأخر عليه الولد حتى الخمسين، عاش بادي القلق، وإن لم يفقد الأمل، وحين جاءته البشرى أقسم ليصومن من كل أسبوع يومين عرفانا بفضل الله، أرقني قليلاً من يومها دلاله له، توقعت أن الفرصة قد لا تتكرر فلم ابلغه أرقي وفي كل مرة يمرض فيه ينقلبون الى حال هي بالنفير العام أشبه مع أنني في كل مرة أحثهم على الصبر: لا شيء – يا جماعة – يستدعي القلق، اصبروا فالزمن جزء من العلاج، واسألوا الله عافيته، لكن من ذا يملك السيطرة على قلب الوالدين؟ من أجل هذا قرن المولى الإحسان اليهما بإفراده بالعبودية؟ أعرفهم.. الآباء، إنهم دائمو اللهفة، كأنها الفرصة الأخيرة، أقدم الوصفة لأطفالهم في النهار ثم لا يلبثون – عند المساء- أن يهتفوا: «تكفين دكتورة هل نحن على الخطة الموصوفة، هل كل شيء تمام؟».

تساؤل وترقب

«يعني أن الخطورة زالت أختي» نظرت في العينين اللاهفتين بعطف كبير، مددت أصابعي فوق الجبين، لا يزال يشعل شيء مؤرق بحق، ولكن ماذا اقول له؟ كان دائماً يطمئنني بسيطة، أختي ستجيبين على كامل الاسئلة! قولي يا الله فحسب! وحينما أكون هناك – داخل الامتحان – أحس كأن عينيه تتابعانني، بل وتلهمانني بعض الاجابات، وعندما اخرج يطوي المصحف ويقول: لا بأس، ناجحة بإذن الله.

أصدقاء السوء

لا بأس.. طهور إن شاء الله، قلت له.. لم أجد غير هذا مستحيل أن أفصح له عما برق في خاطري.. الولد مدلل، ولم لا، فهو وحيدهم وربما تجاوز حده فاقترف ما لا يحق له، رفقاء السوء لا يرحمون، خصوصاً مع من يرونه قريب التجاوب مع ايحاءاتهم الخبيثة، يعتبرونها «شطارة» لو ورطوا أقرانهم في المحرمات، والأعراض التي تبدو على ابن أخي لا تطمئن، وأخاف أن أفصح عنها، لا بد من التحاليل، المهم الآن أن تزول الحرارة، قلت فبرقت عيناه بأمل لا يريد أن ينطفئ، ورنا الى طفله وهو يسأل نفسه: ألن يصحو؟، فسحبته من يده لابعده عن المشهد، وأوعزت الى زوجة أخي ان تتابع الصغير، ثم سألته: هيه قل لي، تعرف كل أصحابه؟، فأجاب دون تفكير: لا أحب ان أمارس معه دور الرقيب!، لو بقيت على هذه القناعة فسيعذبك كثيراً قلت له، ثم تابعت: ينبغي ان تراقبه ولو عن بعد، فقال كأنما يخاطب نفسه: أراقبه؟ هل تسمح لي مشاغلي بذلك؟، ينبغي ان تسمح، هذا ان لم تشأ أن تخسره، اهتز قليلا فتابعت: لا تتهاون معه، دعه يحدثك بإسهاب



عن رفاقه وعن فصولهم، واسمع الى ما يرويه عنهم مهما كنت متعبا او مشغولاً، هل ستزوجه باكراً؟، سألته وأنا أبتسم، بالتأكيد، أجاب ثم استدرك: لكن دراسة الطب ستأخذ منه وقتاً طويلاً ألا تذكرين؟.

أذكر؟ كنت أسهر الليل لاستدرك المنهاج الكبير ودوامي في الكلية طويل وقاس ولا أعود منه الا وقد أنهكت، عندكم ليمون؟ تذكرت أسأله، هز رأسه متعجباً فاستدركت: لا، الليمون لنا نحن.. سأعده بنفسي، هرولت الزوجة لتسبقني فرجوتها: دعيني أضاهي أخي في لهفته.. لا تحرميني شعوري انني في بيتي، اذاً نتشارك، قالت مستسلمة.

نفس الخطوة السابقة لكن مقلوبة.. تقدمت إليه لأضاهي ما كان دأبه القديم، الليمون ينعش.. أليس هذا ما تقولونه، يا طبيبتنا! لم يكن الليمون وحده ينعش، تلك الرحم المعلقة بعرش السماء تقول وصل الله من وصلني.. انها هي النبع الثري الذي أودعه الله قلوبنا ليتفجر عند الحاجة ماء طهوراً يغسل المفاصل المتعبة.

بعد الليمون قال لي: البركة فيك، أنت عمته، ستهونين عليه دراسته، هززت رأسي وقلت: أنت تعرف، هذا ما اسعى إليه، ان اكون القدوة لمن بعدي، مثابرة واصراراً، صبراً على المتاعب، نموذجاً مستقيماً وجذاباً يرونه فيحاكونه، قال وهو يبتسم: أنت - فعلاً - مثل صالح في كل مكان تكونين فيه، فرحت بما قال مع أنني أعترف بالتقصير، حرارة ابن أخي - التي يخيفني سببها - تشي بذلك، قاتل الله الدنيا ومشاغلها وغرورها.

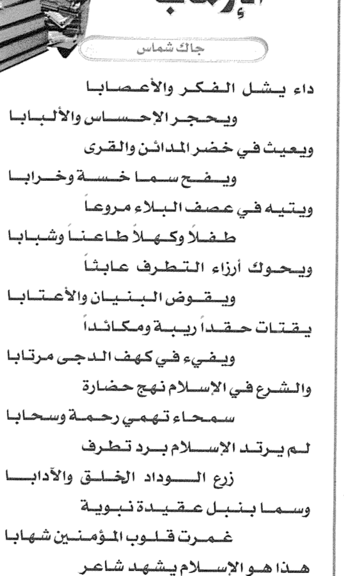
أوقفنا رنين الساعة المنبه، فقمنا اليه، الى الصغير، الآن أحسست أن مفاصلي ستخذلني، ونفسي أيضاً، لا أرجوك، ليس بعد، بقيت خطوة، سنجري التحاليل، لعل هواجسي تعترف أنها كاذبة، بعدها فحسب يمكن ان أنام، لو ثبت ان الخطوط السوداء تحت العينين من السهر لا من الجرعة الملعونة، عندها سأرتاح فعلاً وسأستجيب لأنين مفاصلي، أوعزت اليهما ان ينالا قسطاً من الراحة، فهز رأسه وقال: وكيف ينام من يعلم أن حبيبه لا ينام؟.

رنوت اليه، الى الصغير، ما أشبهه بأبيه!، لو تزوجت لجلست بولد شبيه به، لماذا نتعلق بهم الى هذا الحد؟ لتهون علينا متاعبهم؟ ربما، لكننا - مع حبنا لهم - ننشغل عنهم، ننساهم أحياناً.. يغرينا منهم انهم ينعمون ويسعدون، ماذا عن عقولهم؟.

عمتي، ياروح عمتك أنت، بل كل حياتها، أجبت نداءه كأنه لا يرى غيري، وكأنني لا أرى في الكون غيره وانحنيت له، وطبعت على خده قبلة حملتها أقصى ما أمكنني من حنان، ثم سألته: قل لي يا حبيبي، تحس بعطش شديد؟، وبمجرد ان هز رأسه الى اسفل تركته لذويه، وانا اداري دمعتي.

أعدت الغطاء الى رأسي، وانسحبت ونظري نحو السماء، ما دام يطلب الماء بشدة فقد انتهى دوري، و«فيروس» الحرارة الخبيث سيمكنني السيطرة عليه عبر الهاتف - ان شاء الله - الآن سأودع مفاصلي تنام، وسأستجيب لأنينها، هذه الليلة فحسب، لأنني من الغد سألتفت الى «الفيروس» الآخر، سأحاربه، سألاحقه من المنشأ، لن أدع له نصيباً من ولد أخي، ولا من أقرانه أيضاً، هل سيوفقني المولى؟ هل سأجد من يقف معي؟ يا رب.





الإرهاب

جاك شماس

داء يشل الفكر والأعصابا

ويحجر الاحساس والألبابا

ويعيث في خضر المدائن والقرى

ويفح سما خسة وخرابا

ويتيه في عصف البلاء مروعاً

طفلاً وكهلاً طاعناً وشبابا

ويحوك أرزاء التطرف عابثاً

ويقوض البنيان والأعتابا

يقتات حقداً ريبة ومكائداً

ويفيء في كهف الدجى مرتابا

والشرع في الإسلام نهج حضارة

سمحاء تهمي رحمة وسحابا

لم يرتد الإسلام برد تطرف

زرع الوداد الخلق والآدابا

وسما بنبل عقيدة نبوية

غمرت قلوب المؤمنين شهابا

هذا هو الإسلام يشهد شاعر

عشق العروبة قبلة وثوابا

مهما ادعى غرب وحاك دسائساً

لن يحجبوا شمس الهدى و«كتابا»

مهد النبوة مكة ومآثر

فاضت تجود غمائماً ورحابا

لاينتمي الارهاب إلا للهوى

مهما استعار منابراً وخطابا

التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم

السيد أحمد المخزنجي

«التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد» كتاب صدر حديثاً، تأليف منى محمد بهي الدين الشافعي، عن دار البشير في القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ)، وهو في الأصل موضوع رسالة الباحثة لنيل درجة الماجستير من كلية الدراسات الإسلامية والعربية- بنات- جامعة الأزهر.

يقع الكتاب في نحو (٧١٥) سبعمائة وخمس عشرة صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على مقدمة وخطة البحث، وتمهيد يتطرق إلى التعريف بعلم التفسير وغاياته، ثم أربعة أبواب رئيسية يتناول الباب الأول منها: التعريف بالتيار العلماني الحديث، وبيان هدف العلمانية من الخوض في التفسير، ويعرض الباب الثاني لشبهات العلمانية حول القرآن الكريم وتفسيره والرد على كل شبهة منها، أما الباب الثالث فيتحدث عن موقف العلمانيين من مناهج علم التفسير، كموقفهم من أسباب النزول، وموقفهم من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وموقفهم من تفسير القرآن الكريم بالرأي، وموقفهم من اللغويات والإعراب والتراكيب والأساليب العربية، ودلالة السياق اللغوي في النص القرآني، وكذلك موقفهم من قضية التأويل للقرآن الكريم.

كما تخصص المؤلفة الباب الرابع من كتابها للحديث بالتفصيل عن أسباب تهافت أقوال العلمانيين في تفسير القرآن الكريم ووسائلهم وأساليبهم الخبيثة والماكرة التي يستخدمونها في ذلك، والتي تتسم باللامنهجية والانحراف المنهجي الذي ينعكس في موقفهم المعيب والمتناقض، من خلال آرائهم في القرآن وتفسيره، حيث عرضت المؤلفة لأمثلة من تلك التفاسير العلمانية لدى كل من د.محمد شحرور ومحمد سعيد العشماوي ود.نصر حامد أبوزيد ومحمد أركون، ومحمد عابد الجابري... وغيرهم، من خلال مؤلفاتهم وكتاباتهم المنشورة.

خصوم الإسلام

في البداية تشير المؤلفة في مقدمة كتابها إلى أن الصراع بين الإسلام وخصومه يعتبر معركة أشد خطورة وأبعد أثراً، لما قد يؤدي إليه من خطر يهدد المجتمعات الإسلامية برمتها، وذلك بسبب الاختلافات والمناطحات الفكرية الدائرة رحاها بين المثقفين، إضافة إلى الجدال المضلل والتلبيس المستمر من قبل وسائل الإعلام والصحافة وما تثيره من آراء وأفكار مشوهة تسمم النفوس والأجواء في تلك المجتمعات العربية والإسلامية، والتي تهدد البناء العقدي وتؤثر على عقل الإنسان المسلم غير المتسلح بالثقافة الإسلامية الحصينة التي تحول بينه وبين الوقوع في مزالق الحيرة والتشكك في أمر دينه- معاذ الله!!

موقف الإسلام من العلمانية

توضح المؤلفة أن جميع العلماء من أهل العلم الشرعي والتخصص فيه، ومن أهل الاعتقاد السليم والبعد عن البدع الاعتقادية والعلمية، قد أجمعوا على رفض العلمانية لمناقضتها للإسلام، وتدلل على ذلك بأن من هؤلاء العلمانيين من «اجترأ على ربه وقال: إن القوانين الوضعية خير من الشريعة الإسلامية، لأن الأولى تمثل الحضارة والمدنية، والثانية تمثل البداوة والرجعية»!.

وتشير في ذلك إلى ما تسميه بـ «التيار الحديث» الذي يتمثل في مرحلة الدولة القومية في جميع الدول العربية والإسلامية، والذي يتسم بسيطرة الفكر النفعي على مختلف جوانب الحياة وأن أصحاب هذا الأسلوب من العلمانيين يدعون الإسلام ويتباكون على حال المسلمين.. حيث إن المجال الديني (الإسلامي) من أهم المجالات التي جُندً له كثير من المفكرين، من أمثال: د.حسن حنفي، د.نصر حامد أبوزيد، المحامي خليل عبدالكريم، المستشار محمد سعيد العشماوي، محمد شحرور، د.محمد أركون، ود.محمد عابد الجابري وغيرهم.

أما عن هدف هؤلاء العلمانيين من الخوض في تفسير القرآن الكريم فيتمثل في أمرين تعرض لهما المؤلفة في الفصل الثاني من كتابها، وذلك من خلال الترويج للعلمانية، وادعاؤهم بتجديد علم التفسير، وهو هدف مزعوم، حيث يسعى هؤلاء العلمانيون إلى تحقيق خمسة أمور في منهجهم الدعوي لمذهبهم الفكري، تتمثل في الآتي:

١- نزع القداسة عن النص القرآني، عن طريق الدعوة إلى النقد الحر، أو بالأحرى «نقد النص» كما عند د.نصر أبوزيد.

٢- هدم مبدأ المرجعية لنصوص القرآن الكريم، كما عند د.فؤاد زكريا، د.حسن حنفي.

٣- إبطال (أو رفض) الرجوع إلى كتب التفسير التراثية والتشكيك في الثقة بها.

٤- العمل على تحلل المجتمع من عُرى الدين (الإسلام).

٥- نشر الإباحية ومحاولة صبغ المجتمع الإسلامي بالصبغة الغربية المادية (ص١١٠ - ١١٩من الكتاب).

وتخلص المؤلفة من عرضها لمقولات هؤلاء العلمانيين (المفكرين) إلى القول بأن «المطلع على هذه الأقوال يرى بوضوح أن العلمانيين يريدون تجديد أصول الدين (الإسلام) وأُسسه بدءاً من عقائده وأحكامه، وأن هذا يتم عن طريق نفي المفاهيم القرآنية التي أطلقوا عليها لقب التاريخية ووقف العمل بالنص (أي بالقرآن) وإعادة بناء الأصول أي أصول الفقه والتشريع الإسلامي الصالح لكل زمان ومكان...وهذه الأقوال تثبت أن ما يريدونه ليس تجديداً، بل هو نسف للشريعة والدين الإسلامي وتفريغهما من

أصولهما (القرآن الكريم والسنة النبوية).

تفنيد دعوى التجديد العلماني

تخصص المؤلفة الفصل الثالث في الباب الأول من كتابها لـ «إبطال دعوى التجديد في علم التفسير عند العلمانيين» من خلال أربعة مباحث هي: الرد على دعوى العلمانيين في تجديد التفسير، والرد على دعواهم في تطوير علم التفسير، واستحالة قبول تفسير دلالات القرآن الكريم لأي معنى من معاني التغيير، فقول الله تعالى وقول رسوله (هما الحق الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل.. فاستحالة التغيير والتبديل يوصف بها القرآن الكريم من باب أولى، مصداقاً لقوله ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...﴾ (المائدة: ٣)

وكذلك تُفنِّد المؤلفة شبهات العلمانيين حول جواز تغيير معاني ودلالات القرآن الكريم، حيث يدعي العلمانيون أن معاني ألفاظ القرآن الكريم لا يشترط لفهمها معرفة المعاني والدلالات المعهودة لدى العرب وقت التنزيل، وإنما يجب لأهل كل عصر فهم دلالات تلك الألفاظ حسب ما استحدثوه من معان جديدة لهذه الألفاظ، والذي تولى كبر هذا الأمر د.نصر أبوزيد ومن ورائه خليل عبدالكريم، وترى المؤلفة أن ما يدعو إليه د.نصر يدخل تحت مسمى «الانحراف الدلالي» (ص١٦٩-١٧٠ من الكتاب)

علم التفسير ومفهومه

بعد ذلك تنتقل المؤلفة في الباب الثاني من كتابها لتستعرض «شبهات العلمانيين حول القرآن الكريم وتفسيره» من خلال أربعة فصول أخرى، حيث تتناول فيها تلك الشبهات والرد عليها، ومن ذلك شبهاتهم حول علم التفسير ومفهومه وقواعده، وشبهاتهم حول علاقة علم التفسير بغيره من العلوم، وأخيرا- وليس آخرا- شبهات العلمانيين حول شروط المفسر وآدابه، وفي هذا الصدد نجد المؤلفة قد تصدت للرد على شبهات ثلاث أثارها هؤلاء العلمانيون حول مصدر القرآن الكريم، وهي أن القرآن الكريم من صياغة الواقع، وأن القرآن الكريم ليس من كلام الله تعالى، وأن آيات الأحكام ليست من كلام الله تعالى.

كما تناولت المؤلفة في الفصل الثاني من هذا الباب شبهات العلمانيين حول علم التفسير ومفهومه وقواعده والرد عليها، من خلال أربعة مباحث تكشف عن الزعم بأن المفسر ينشئ معنى النص بدعوى أن النصوص قوالب فارغة من المعاني!

وكذلك استحالة الوصول- في نظرهم- إلى مراد الله من النصوص القطعية الدلالة، وأيضاً زعمهم بأن التفسير يحوِّل النص من الإلهية إلى البشرية، وأخيراً خلو علم التفسير من القواعد والضوابط والأصول.

وتوضح المؤلفة أنه نظراً لحالة الأمية الدينية التي يعيشها المسلمون، فقد حمل العلمانيون على علم التفسير، حيث يصفونه بأنه خواطر نفسية وأهواء شخصية ونظرات خاصة للمفسرين تتلون بالصبغة الدينية لأجل المصالح، وصار الوصول إلى مراد الله أمراً مستحيلاً- بزعمهم- لأن كلام الله تعالى- كما يدعون- لا معنى له (!!).

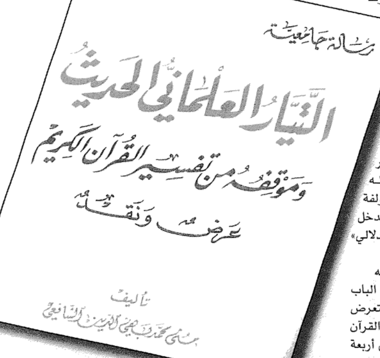
التبعية للغرب

تخلص المؤلفة من هذا العرض والسرد والتفنيد لآراء العلمانيين إلى القول بأن العلمانيين لم ينكروا مصدر العقائد الإسلامية كنوع من الفلسفة أو السفسطائية، ولكن أنكروها لهدف هو المناداة بتطبيق العقائد التي أفرزتها الظروف السياسية والاجتماعية الحالية على القرآن وهي: الماركسية أو المادية أو اللادينية...الخ من فلسفات الإلحاد، كما طبق السابقون العقائد الأسطورية التي أفرزتها الظروف السياسية والاجتماعية على القرآن الكريم.

وتخلص المؤلفة من ذلك كله إلى القول بأنه «بعد التسليم الجدلي والافتراضي للعلمانيين بأنهم استحدثوا مناهج، فإن هذه المناهج المزعومة تتسم بأوجه قصور عديدة، منها: القصور في تحصيل الأدوات اللازمة للخوض في التفسير، القصور في وضع ضوابط للمنهج المزعوم.

أهم النتائج

- استحالة الجمع أو التقريب بين العلمانية والإسلام، لأن العلمانية مضادة للأديان عموماً وللإسلام خصوصاً.
- أطروحات العلمانيين حول تفسير القرآن الكريم لا ترقى أبدا لتكون منهجاً علمياً متكاملا بديلاً عما وضعه المتقدمون في مجال تفسير القرآن، بل هي لا تزيد عن كونها مجرد وجهات نظر متفرقة تفتقر لكثير من الأدلة والضوابط العلمية لتبنيها أو الاعتماد عليها أو الإيمان بها في نهاية المطاف.
- العلمانيون ليسوا أهلاً لمستوى الارتقاء لتفسير كتاب الله «حتى لو جمعوا في جعبتهم أعلى الدرجات العلمية الأكاديمية، لافتقارهم لشروط المفسر ومؤهلاته العلمية والشرعية والفقهية والأصولية واللغوية والعقدية كذلك.



المئذنة .. فن إسلامي خالص

جاد الله فرحات

تنوعت الفنون والعمارة الإسلامية تنوعاً كثيراً، ولعل أهم الفنون المعمارية هي المساجد بما تحويه من مآذن وأروقة ومحاريب وصحون... الخ، وتعتبر المئذنة من الفنون الإسلامية الأصيلة التي تنوعت تنوعاً شديداً، وقد تفنن الفنان والمهندس المسلم في فن المآذن حتى ظهرت آلاف بل عشرات الألوف من المآذن، وكلها تدل على أن هذا الفن فن إسلامي خالص ليس مقتبساً ولا منقولاً من حضارات سابقة.

فإذا كنت في أي مكان من العالم الإسلامي فلا بد أن تظهر أمامك أحدى المآذن الإسلامية. فالمئذنة علامة على وجود المسجد والمسجد هو مركز الخلية الإسلامية أو المجاورة السكنية الإسلامية.

والمئذنة فن إسلامي خالص، وهناك بعض المستشرقين والباحثين - سواء عن جهل أو قصد - يحاولون دائماً إلحاق العمارة والفنون الإسلامية بأصول غير إسلامية. فنرى الأستاذ كريسول وهو من هو في العمارة الإسلامية. إذ هو صاحب فكرة إنشاء كلية للآثار في مصر وكان أستاذاً للعمارة الإسلامية في الجامعة المصرية وهو الذي ناقش رسالة الدكتوراة لأستاذنا الدكتور كمال الدين سامح عام ١٩٤٧ ينسب المئذنة في إصرار إلى أحد أصلين: أبراج المعابد الرومانية أو كنائس سورية والأردن.

وهذا الكلام مع جزيل احترامنا للعالم الجليل ولمن سار على نهجه من أساتذة العمارة مرفوض جملة وتفصيلاً للأدلة التالية:

١- نقول إن الحاجة أم الأختراع والابتكار - والوظيفة تملي إرداتها وتفرض نفسها، فإن أصل المئذنة مأخوذ من الأذان وهو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة يحصل به الدعاء إلى الجماعة وإظهار شعائر الإسلام، وهو واجب أو مندوب. قال القرطبي وغيره: الأذان - على قلة ألفاظه - مشتمل على مسائل العقيدة، لأنه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمن وجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد ونفي الشريك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة. لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول ثم دعا إلى الفلاح، وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيداً.

أهم الحكم التي تتجلى في الأذان تتلخص فيما يلي:

١- الإعلام بدخول وقت الصلاة، وهو المقصود الأعظم من الأذان.

٢- نشر لذكر الله تعالى وإعلان بالتوحيد وتعظيم الله.

٣- إظهار شعار الإسلام في كل بلدة أو مصر.

٤- نداء لحضور الجماعة ومكان الصلاة.

٥- هو العلامة الدالة المفرقة بين دار الإسلام ودار الكفر، فقد كان النبي ﷺ إذا غزا، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار.

٦- اشتماله على فوائد جليلة أخرى تطرد الشيطان. واستجابة الدعاء عنده وغيرها.

وهذا معناه أن الأذان لابد أن يكون من مكان مرتفع يراه الجميع وأن يكون وسط المجاورة السكنية (Center) وقد ورد ذكر المنارة في صحيح مسلم في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفعه حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا ... إلى أن قال: ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكية». فقد ورد ذكر المنارة وهي المئذنة والصومعة وكلها ألفاظ مترادفة للمكان الذي يؤذن منه.

وقصة الأذان معروفة في كتب الحديث والسير، فمن ذلك ما رواه الإمام البخاري ومسلم «كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات وليس ينادي بها أحد فتكلموا يوماً في ذلك فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرنا مثل قرن اليهود، فقال عمر بن الخطاب، لولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة، قال رسول الله ﷺ يا بلال قم فناد بالصلاة».

وقد أخرج أبوداود بسند صحيح «اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس، فقيل انصب راية عند حضور وقت الصلاة فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا فلم يعجبه الحديث». وذكروا البوق وذكروا الناقوس، فانصرف عبدالله بن زيد رضي الله عنه وهو مهتم فأري الآذان فغدا على رسول الله وكان عمر قد رآه من قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً ثم أخبر النبي ﷺ فقال ما منعك أن تخبرنا قال سبقني عبدالله بن زيد فاستحييت، فقال ﷺ يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبدالله بن زيد فأفعله» واستحب العلماء أن يكون الآذان في مكان مرتفع وبصوت عال وبتؤدة وتمهل (فتح الباري ٢/٦٦).

وذكر السمهودي في كتابه «وفاء الوفا»: أن بلالاً الحبشي رضي الله عنه

كان يصعد على أسطوان في دار عبدالله بن عمر في قبلة مسجد المدينة، ويؤذن وهو واقف فوقها، وقيل إنه كان يرقى على أقتاب في بيت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وزوج الرسول ﷺ، ثم تطورت فكرة ذلك المكان المرتفع وصارت بشكل صومعة يصعد المؤذن إلى شرفتها من سلم يدور في جوفها، وكان عمر بن عبدالعزيز عامل الوليد بن عبدالملك أول من أدخل بناء المئذنة في جامع المدينة. وإن من أقدم المآذن في شمال إفريقية صومعة جامع القيروان في تونس، وقد بنى هذا الجامع عقبه بن نافع سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ثم أقام هشام بن عبدالملك مكان مئذنتها القديمة المئذنة الحالية في سنة ١٠٥هـ، فأصبحت هذه المئذنة نموذجاً لمآذن مساجد المغرب العربي والأندلس. أما في العراق وبلاد فارس فقد أخذت المآذن شكلاً اسطوانياً وأحيانا ملوياً كما في سامراء، ثم صار للمآذن أشكال متنوعة في الهند وما وراء النهر، كما ظهرت مآذن بأشكال مختلفة في جوامع القاهرة تتدرج من قاعدة مربعة يعلوها قسم مثمن ثم تنتهي برأس أو رأسين أحيانا عليهما مبخرة. وقد بلغت المآذن من النحافة والجمال أقصى ما يمكن في المآذن التركية في أسطنبول وغيرها من المدن.

٢- والقول بأن أصل المئذنة أبراج المعابد أو الكنائس مردود عليه بأن المئذنة ينبغي أن يكون لها سلم يصعد عليه المؤذن وشرفة يرفع منها الأذان وهذا شرط في جميع المآذن وليس ذلك بلازم في برج الأجراس بل يكفي دق الأجراس عن طريق حبل أو سلسلة، ولا يلزم صعود أحد إلى ذروتها أو الإطلال من شرفتها فكل منارة تصلح لأن تكون برجاً للأجراس وليس كل برج يصلح لأن يكون مئذنة، فحينما استولى الأسبان على مئذنة جامع إشبلية قاموا بتحويلها الى برج أجراس ولكن حينما استولى المسلمون على أيا صوفيا في أسطنبول بتركيا كان لابد من عمل أربع مآذن لأنه لا يوجد شيء في الكنيسة يصلح كمئذنة.

فالمئذنة كانت لحاجة وظيفية وهي الإعلام بوقت الصلاة وتقتضي مكاناً مرتفعاً.

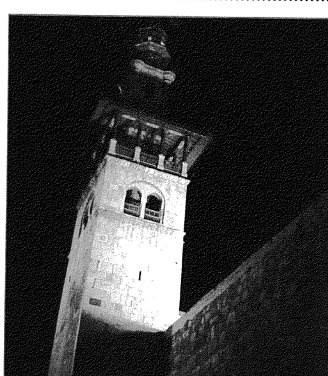
٣- كذلك فإن للمئذنة وظيفة اخرى وهي التأكد من دخول وقت الفجر الصادق بالنسبة لأذان الفجر، فإن هناك فجرين فجر كاذب وفجر صادق فكان على المؤذن أن يصعد إلى مكان مرتفع ليتمكن من رؤية الفجر الصادق حتى يؤذن للناس وليمسك الناس عن الطعام والشراب خاصة في شهر رمضان.

٤- ما أسفرت عنه الحفريات في دومة: الجندل، من وجود مئذنة ذات طوابق أربعة بمسجد عمر بن الخطاب.

مئذنة مسجد عمر بالجوف

يقع جنوب شرق البلدة القديمة، وتحيط به المنازل من الجهة الشمالية والغربية، بينما تقع قلعة مارد على بعد ١٥٠ م من جهته الجنوبية.

والمئذنة ذات تصميم فريد، وتقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد، وتبرز من جدار القبلة، وهي عبارة عن كتلة معمارية مقامة على دعامتين مستطيلتي القطاع، ويعلوها كابولى يتكون من قطع حجرية ضخمة ويحمل ثماني قطع حجرية ضخمة أيضا كأعتاب. وصعود المئذنة يتم بواسطة درج خارجي مقام على قطع خشبية ضخمة، يصل بالداخل إليها باب قليل الارتفاع



في ضلعها الشمالي الشرقي. ويبدأ بعده السلم الداخلي للمئذنة الذي قوامه قلبات متعامدة مقامة على قطع من جذور النخيل الضخمة. ويمكن تمييز ستة مستويات للمئذنة من الخارج. ويوجد بكل من المستوى الثاني والثالث والرابع والخامس أربع فتحات مستطيلة الشكل يعلو كلا منها حجران موزعة على أضلاع المئذنة الأربعة للإضاءة والتهوية، ولوصول صوت المؤذن للصلاة إلى الناس.

والواقع أن بساطة التصميم العام للمسجد تذكرنا بطابع البساطة الذي ساد معظم المساجد الإسلامية الأولى بالبصرة والكوفة. كما أن السلم الخارجي للمئذنة، يذكرنا بملوية سامراء بالعراق وبمئذنة مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة.

ونحن هنا نستعرض لأجمل المآذن الإسلامية عبر العصور والأمكنة لنثبت أنه فن إسلامي خالص ونقول لمن يدعون أنها مشتقة من طراز أبراج الكنائس هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟

٥- هذا التنوع الشديد في المآذن من مآذن طينية إلى مآذن مغطاة بالذهب الخالص وفي كل الحالات فإنها لا تخرج عن كونها فناً إسلامياً خالصاً.

ومن أشهر المآذن في التاريخ:

١- مآذن الحرمين الشريفين.
٢- مآذن القاهرة.
٣- مآذن الشام.
٤- مآذن العراق.
٥- مآذن المغرب.
٦- مآذن الهند.
٧- مآذن سمرقند وبخارى وطشقند.
٨- مآذن حضرموت واليمن.
٩- مآذن إفريقيا (المآذن الطينية).
١٠- مآذن أوروبا.
١١- مآذن دول الخليج.
١٢- المآذن الحديثة.



التوريث المباح

عبادة السيد نوح

nooh22@hotmail.com

تعيش الأمة الإسلامية قيادة وشعباً حالة من التخبط الدعوي غير المبرر نتيجة الكثير من المعطيات والأسباب المادية والروحية، فالتطرق لمثل هذه القضايا ليس من باب جلد الذات أو ذبحها وإنما تسليط الضوء على ظواهر تنخر في جسد الروح المشتعلة التي تلهب قلوب الغافلين التائهين عن طريق السعادة الحقيقية في الدنيا قبل الآخرة.

ولعل هذا التخبط متوقع في ظل أوضاع أمتنا على مختلف مجالات الحياة، وبالتالي فليست الحياة الدعوية بمعزل عن هذه المتغيرات التي يعايشها الدعاة في كل يوم وليلة صباحاً ومساءً.

وتتجلى آثار الخلل الدعوي في فقدان الدعاة لملكة توريث الدعوة للتلاميذ وطلبة العلم والعمل لأسباب شخصية بحتة متمثلة في الأنانية أو عدم القدرة على التعليم والتربية باعتباره غير متعلم ومتربي بالدرجة الكافية التي تسمح له بتوريث التجارب والمهارات والخبرات.

فالأنا أو الأنانية تظهر بوضوح لدى الكثيرين ممن يتبوأون المناصب القيادية لحاجة في نفوسهم ناتجة عن خلل تربوي في المنظومة الدعوية المباركة، فقد يكون مر بتجربة سلبية مع من سبقه من الدعاة، وقد يكون تلاميذه أقرانه في العمل، وقد يكون متشبثا بالمناصب ويسعى للحفاظ عليها بحجب خبراته وتجاربه عن الآخرين لكي لا يكون في آخر عمره فرداً عادياً وكأن القيادي سيكون على رؤوس الخلائق في الفردوس الأعلى ولا يعلم أن صبيا في الدعوة مخلصا قد يفوقه مكانة يوم القيامة.

إن استفحال مثل هذه الظواهر القاتلة مؤشر سلبي على مستقبل الدعوة في عصر الفتن الحياتية، فنحن مرضى بالحساسية في مجتمعنا المريض بالأمراض الفتاكة، ولكن مرضنا قد تحدث له مضاعفات إذا لم نعالج انفسنا جيداً قبل أن نساعد المجتمع في علاج أمراضه الخطيرة.

لذا ينبغي الأخذ في الاعتبار أن توريث الدعوة أحد أهم صفات الأخ المسلم وقد يكون أهمها على الإطلاق لما يمثله من غرس القيم والمبادئ والأخلاق والتجارب العملية في النفوس بشكل واقعي ومؤثر.

والاختصاصيون والتربويون والمعنيون مطالبون بالسعي الحثيث لإيجاد وسائل عملية وعلمية تساعد على بذر هذا الخلق القويم في نفوس الدعاة والعاملين مع التأكيد على أن إخراج القياديين الربانيين متوقف على هذا العامل بشكل واضح.

ويتمثل هذا الخلق في العمل على احتواء الدعاة، وبث الثقة في النفس من خلال تصديرهم للمجالس والمنابر، ووضع المتعلم في موضع المعلم ليزداد شعوراً بأنه قد يصبح في يوم من الأيام مثل استاذه او افضل، وهذا ما يفرح الجميع.

أخيراً نقل الخبرات والتجارب بين أجيال الدعاة يتطلب الصدق في إخلاص العمل كله لله، والتقوى الإيمانية، والنفس المطمئنة، لأن الهوى إذا تحكم في أعمالنا خسرنا الدنيا قبل الآخرة، وصرنا أشباه دعاة ندعو الناس ونحن أحق أن نصلح ذواتنا قبل مطالبة الآخرين بالتغيير، والله ولي التوفيق.

لفتة

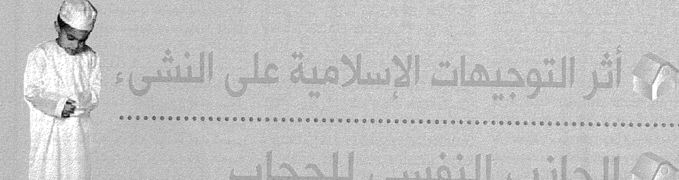
■ أشكر الأستاذ طارق الفقيه من اليمن على تفاعله مع مقال «الصراع الدعوي» وتقديمه بعض الاضافات الجوهرية التي استدعت ان اسطر هذا المقال.

■ نعزي أمتنا الإسلامية بفقدان عالمين جليلين هما د. حسان حتحوت الطبيب العامل والشيخ محمد سالم ولد عدود خال الشيخ المشهور محمد الحسن ولد الددو.. سائلين الله أن يرحمهما وأن يجعلنا ممن يتبعون آثارهما وتجاربهما في حياتنا الدنيا للوصول الى جنة عرضها السماوات والأرض.

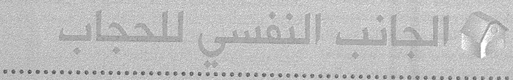
■ انفلونزا الخنازير وباء دنيوي قلب الحياة رأساً على عقب.. ونحن عندنا انفلونزا المعاصي وباء روحاني ولم تعلن حالة الطوارئ في البلاد.. فلماذا التمييز يا أهل القرار؟!

■ د. طارق السويدان أتحفنا باصدار جديد «اليهود.. الموسوعة المصورة» عن دار عالم الفكر.. الكتاب يستحق القراءة.

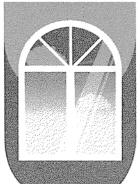
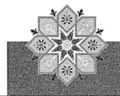
أسرتي



- أثر التوجيهات الإسلامية على النشىء
- الجانب النفسي للحجاب
- الإيموز.. صرخة على حال الشباب






أثر التوجيهات الإسلامية على تربية النشء وتعليمه



د. بوجمعة جمي

العقلاء الراغبون في إصلاح شأن النشء، يلحون على البحث عن أسباب انحرافه، ومعاناته من الاضطراب النفسي والاحباط، على الرغم من انتشار التعليم وتقدم وسائل تحصيله، حيث ان علماء التربية وعلماء النفس اهتموا بإحداث نظريات بيداغوجية وابيستيمولوجية، يستعان بها في عملية التعليم والتعلم والتربية النفسية لا الروحية، كما ان معظم الآباء اصبح الهمّ الذي يؤرقهم هو تعليم ابنائهم، بقصد تأهيلهم لإحراز مكانة لهم داخل مجتمعهم، وليظفروا بمنصب في عملهم، على المستوى المادي، وتحقيق مكانة اجتماعية محترمة على المستوى المعنوي.

لكن الكثير يصاب بخيبة الأمل والذهول عندما يشاهد ما آلت إليه اوضاع النشء المسلم خاصة، من انحراف سلوكي، واضطراب نفسي، وانزلاق نحو سراب تبنيه له المخدرات والملاهي، وتقليد سلوكيات النشء الغربي الغارق في لجة الانحرافات والعبث القاتلين لوقته وشخصيته، المخربين لعقله، بسبب انتشار مغريات جذابة وخطيرة، تقتحم عليه مكان وجوده، تفننت الادمغة في ابداع وسائل تبليغها اليه بهدف الربح التجاري، او تخريب القيم الاخلاقية والدينية في نفسه، او تحقيق رغبات سيئة ونزوات شيطانية لبعض الادمغة المريضة نفسيا، والقادرة على الاختراع.

واهداف التربية الإسلامية ليست دنيوية محضة كما هو الشأن عند اليونان والرومان والفرس، أو دينية محضة كما كانت عند اليهود، وإنما تقوم على الإيمان والعمل، أو العقيدة والسلوك.

إن التربية الإسلامية تتبع مراحل تربية النشء، فتهيئ للجنين ابوين تفرض فيهما أن يكونا مؤمنين صالحين، بحيث يتم البدء من اختيار الرجل الصالح الراغب في الزواج لزوجة صالحة، يقول النبي ﷺ «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه، فزوجوه» (سنن ابن ماجه)، ويقول ﷺ «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (صحيح البخاري)، أي استغنت يداك فعلى الرغم من كونها تنكح للأغراض الثلاث، إلا ان الدين الإسلامي هو المقصود بالذات، بدليل ورود «فاظفر بذات الدين» وهذا الاختيار له دلالته على مستوى تربية النشء، حيث يعول على أخلاق الوالدين وسلوكهما في الوسط الذي يتربى فيه الطفل، الذي يتأثر بكل ما يجري داخل البيت منذ ولادته، كما ثبت علميا، فإذا كان الوسط تمارس فيه شعائر الدين الإسلامي، وتطغى الاخلاق الفاضلة على المعاملات فيه، فإن التنشئة ستكون سليمة وطيبة، لهذا قال النبي ﷺ «من يلي من هذه البنات شيئا، فأحسن اليهن، كن له سترا من النار» (رواه البخاري) والهدف من هذا الاهتمام والاستيصاء بالنساء خيرا هو أن تصبح البنت أم المستقبل المؤهلة لتربية النشء، بحيث تتوافر فيها شروط المرأة الحاضنة لتربي المحضون تربية سوية تمكن الطفل من التعامل مع الغير تعاملا توجهه الاخلاق الإسلامية من احترام الغير والاستحياء من الله ومن الناس، لأن فقدان هذه المرتكزات داخل الوسط الاسري، وحرمان الطفل من التعود على تمثلها والعمل بها يسبب له الفشل في التعامل مع الآخرين، ومن ثم يبدأ الانحراف والانزلاق نحو ما يعود بالشر على النشء وعلى مجتمعه.

ان تعويد الطفل على الاستماع للقرآن الكريم في البيت وتلاوته، يحقق اهدافا تربوية وتعليمية، يقول عنها أحد الباحثين «وابناؤنا في مختلف اعمارهم هم احوج ما يكونون الى تربية دينية وثقافية لغوية تعين على فهم القرآن وتدبر معانيه، والوقوف على مبانيه اللغوية، والعمل بما جاء فيها، بما يرضي الله ورسوله، ولعل الفتيان وبراعم الايمان عندما يقبلون على قراءة القرآن وسماعه من أفواه المشايخ، يخرجون بجملة من الفوائد والمنافع التي تعود عليهم بالخير العميم»، فبالاضافة الى الاهداف التربوية التي تحققها قراءة القرآن الكريم وفهم معانيه، فانها تساعد على تطويع اعضاء النطق على تحديد المخارج الصوتية التي تتناسب مع هذا الصوت او ذاك، كما تزيد من الرصيد اللغوي، وقد اثبتت احدى ادوات البحوث الميدانية لدى كثير من التربويين «أن الفتيان ممن كانوا يقرأون القرآن على شيوخهم، هم الاصح ألسنة والأصوب نطقا، والاقدر على قراءة مختلف النصوص التي تعرض عليهم بطلاقة ويسر ممن لم ينهلوا شيئا من لغة القرآن في صغرهم، ولم يتربوا عليها التربية الصحيحة» (١).

وفي هذا الاطار التربوي فرض الإسلام طاعة الوالدين، والبر بهما، لأن عقوقهما يعمق سوء التفاهم بينهما وبين ابنائهما الذين يجنحون الى الانحراف، فاذا توفي الوالد مثلا فإنهم ينتقمون من الاسرة، فيعمدون الى تبديد ثروته إن تركها، فينزلقون الى ما هو أسوأ، ويقول النبي ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع» (سنن أبي داود)، فلا ينبغي أن يفهم من الضرب هنا أنه ضرب عنيف، وانما هو اسلوب تربوي تقويمي لين، لا يسبب ألما شديدا للطفل، ولا يثير في نفسه الغضب والكراهية، كما ان التربية الإسلامية راعت الغريزة الجنسية عند الطفل، على الرغم من

عدم بلوغه سن الرشد، لذلك امرت بالتفريق بين الأطفال في المضاجع، وهو علاج مهم يوقف جماح الغريزة الجنسية التي تهيج فتسبب وقائع خطيرة، كما ان النبي ﷺ يقول «علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف» (المدخل الى السنن الكبرى للبيهقي) فالتربية الإسلامية إذن تراعي مشاعر الطفل وردود أفعاله النفسية، لذلك اختارت الأسلوب التوجيهي الذي يوفق بين الصرامة المعتدلة والليونة، كما أنها تغرس في نفسه الشعور بالعزة والكرامة المستمدتين من قوله تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (المنافقون: ٨).

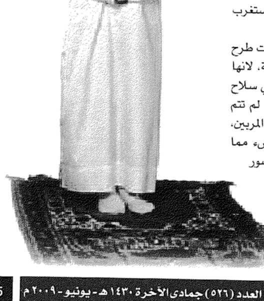
وقد قرن الإسلام بين التربية السليمة والعلم، وبين العلم والعمل، لأن التربية المجردة من العلم النافع، الخالية من الأخلاق الفاضلة، تلقي بالنشء في مستنقع الانحراف والمهالك، يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ، لم يضروك الا بشيء، قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف» (سنن الترمذي - الجامع الصحيح)، إن أول ما يغرس في قلب النشء وعقله هو الإيمان بالله عز وجل وبرسوله الكريم محمد ﷺ، وبما أمر ان نؤمن به، وهو القاعدة الصحيحة الصلبة التي تبنى عليها التربية والتعليم، فشعور النشء بمراقبة الله عز وجل له في كل وقت وحين، والتوكل عليه، ويقينه بأن النفع والضرر من الله تعالى وحده، يبعث في نفسه المؤمنة العزيمة القوية، والهمة العالية، اللتين يعول عليهما في تكوين انسان صالح نافع لنفسه ولأمته وللإنسانية، تلك العزيمة والهمة اللتان يسعى عدو المسلمين الى قتلهما في ناشئتنا، بل في رجالنا، موظفا الشهوات والمغريات التي احبطت عزائمهم، فأصبحوا مستهلكين عاجزين عن الابداع والابتكار، يقول علماء التربية: إن التربية والتعليم عملية متكاملة، لذلك يتأكد أهمية دور الآباء والأمهات والمدرسين، وكذا دور وسائل الإعلام في التأثير في العملية التربوية والتعليمية التي يستهدف بها النشء، ذلك ان التربية تعنى باعداد الفرد اعدادا يؤهله للانتفاع بمواهبه وميوله بعد ان توجه توجيها سليما يسعى للخير والصلاح، فيحيا في مجتمعه حياة طبيعية توفر له الاطمئنان، والقدرة على التعامل معه بحكمة وتعقل، وهذا الاعداد يشمل التربية الدينية والخلقية، والاجتماعية، والوجدانية والجمالية، وهذه التربية تقرن دائما بالتعليم، الذي يعتبر جانبا من جوانب هذه التربية، التي هي أهم من التعليم الذي يهتم بتلقي المعلومات والأفكار والآراء بالاصغاء والتلقي، وفي التربية البحث والاطلاع، مع الاعتماد على النفس، والتفكير في الصعوبات والوسائل التي تساعد على تجاوزها، فالطفل - كما يقول احد الباحثين- يعمل في التربية ويصغي ويتلقى في التعليم، ليكتسب المعرفة والمهارة، فالمدرس يطلب منه ان يكون مربيا لا معلما، الا ان التربية الإسلامية لا تكتفي بتنشئة الطفل على معرفة ما هو حرام وما هو حلال، وما هو طيب وما هو خبيث، ولكنها تعمل على اطلاع النشء على سبب الحرمة وسبب الخبث، لترسخ في ذهنه الاضرار والاخطار الناجمة عنهما، وهو ما يسمى بالتربية السلبية، لأن الاكتفاء باطلاعهم علي ما هو محرم وخبيث دون بسط القول فيما يجر لمرتكبه من أخطار واضرار جسمية وعقلية وروحية، تسقطه في المهالك دنيا واخرى لا يؤتي اكله، بل احيانا يدفعهم الفضول الى اتيان ذلك المحرم والخبيث لمعرفة سبب التحذير من الإقدام عليه، لكن اذا اطلعه المربي على اضراره ومخاطره وعواقبه الوخيمة، فإنه، ان كان عاقلا سويا، سيستغرب إلقاء المقدم عليه نفسَه في التهلكة.

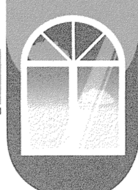
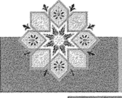
لكن عصر العولمة والانترنت والفضائيات طرح عقبة كأداء امام هذه الاطراف المربية، لانها وسائل تغري النشء للتعامل معها، وهي سلاح ذو حدين، يسبب انحراف الناشئة اذا لم تتم مراقبته التي تصعب على الآباء وبقية المربين، فاذا لم تحصن التربية الروحية النشء مما تقدمه هذه المصادر المسخرة لنشر صور خليعة وافكار هدامة، تساهم في هدم ما بنته التربية الإسلامية، فإن مراقبة المربين لن تجدي نفعا، وهذا ماثل للعيان، اذ نرى الناشئة الإسلامية كغيرها من الناشئة غير الإسلامية منساقة وراء ما يبثه عالم الانترنت والفضائيات من سموم على مستوى الفكر، وعلى مستوى الاخلاق، فكأن الغرب تضايق من الأخلاق الفاضلة التي بنيت عليها التربية الإسلامية المتكاملة مع التعلم، فحاربها بهذه الاسلحة الخطيرة التي يتعذر ان يحيل المربون بينها وبين النشء، كما يصعب عليهم أن يوجهوا ابناءهم الى الاستفادة من العلم النافع الذي اختلط بما هو ضار ومدمر للأخلاق والمروءة.

إذن فلابد أن تربى أجيالنا على التأثر بالتوجيهات الإسلامية في المجال التربوي والتعليمي، مع تهييئ وسط سليم تتعاون فيه السلطة مع الأسرة والمعلمين المربين، وكل من له قدرة على التأثير في عقل الطفل ونفسيته، كي تسود فيه روح الإسلام وتعاليمه.

الهوامش

١- الوعي الإسلامي، العدد: ٥٠٥ سبتمبر ٢٠٠٧ ص. ٨٩. د. رفيق حسن الحليمي.




العانس

بريهان فارس عيسى

اعتاد في بعض الليالي أن يذهب إلى بقالة جارته «روند» المرأة العانس التي بلغت الخمسين من عمرها. يجلس داخل المحل وهو يستمتع بالناس يدخلون ويشترون الأشياء .. أطفال، نساء، شبان، شيوخ، مراهقات، عمال، مهندسون، محامون، أطباء... كلهم يدخلون ويشترون حاجات مختلفة وهو يتأمل هذا المنظر وكأنه في مسرح. فتمضي ساعتان دون أن يدري بهما وروند بين حين وحين تقدم له كأسا من الشاي، أو زجاجة مياه معدنية، أو فنجانا من القهوة.

ثم قبل أن تغلق في وقت متأخر تشكره على الزيارة، وتعيد ما تقوله في كل مرة: كيف أن العمل في هذا المحل جعلها تخسر كل عمرها.

تتحدر الدموع من عينيها وتتشج بنبرات ثقيلة على مسمعه: المرأة التي لا رجل لها، لا أحد لها حتى لو ملكت مال قارون.

ثم تتنهد مستأنفة قولها: صحيح أنني حققت حلمي بشراء هذا المحل، وصرت غنية، ولكن أشعر بأن ماخسرته لن تعوضه أموال العالم، لقد تحول هذا المحل إلى عبء ثقيل على كاهلي، لا أعرف كيف أتخلص منه، علي أن أنهض كل يوم في السادسة صباحا حتى أبيع القشدة واللبن والحليب الذي يصل صباحا، أبقى في هذا المحل حتى الثانية ظهرا، ثم أذهب إلى البيت الذي لا أحد فيه غيري، أتناول وجبة غداء سريعة، وقبل أن أنتهي يطرق علي الناس الباب حتى أبيعهم بعض الحاجات، هؤلاء يجدون محلات أخرى مفتوحة، ولكنهم عادة يكونون من الزبائن الذين يشترون بالدين إلى نهاية الشهر، أعود إلى المحل وأبقى إلى الحادية عشرة ليلا، ثم أذهب إلى البيت منهكة، أتعشى وأغفو حتى السادسة صباحا ليبدأ يوم مكرر آخر لاجديد فيه، لم يبق أمامي من هدف في هذه الحياة سوى جمع المال، ويا له من هدف سخيف، أعترف لك يا جاري بأنه في بعض الأوقات جردني حتى من إنسانيتي، فكنت أغش بعض الناس، وأكذب عليهم من أجل المزيد من الربح، هل تظن بأنني أعيش؟! أنا أعيش ولكن ليس لي أي علاقة بالحياة.

ذات يوم حدثته بعمق وهي تغالب الدموع في عينيها :

أترى ذاك الباب الأبيض؟

قال وهو يلتفت إليه: نعم أراه.

لعلك لا تعرف، إنه بيت جارنا نوح، صاحب منشرة أخشاب.

- أظنني أرى شخصا يدخل هذا البيت، وسبق له أن ألقى علي السلام، وإن لم تخني الذاكرة فقد رأيته يشتري أغراضا من هذا المحل، وأيضا هناك امرأة يبدو أنها حديثة العهد بالزواج، أراها أحيانا جوار الباب وألقي عليها السلام.

- قصتي مع هذا الباب عمرها خمس سنوات من الدموع، منذ تزوج نوح وحتى هذا اليوم، بعد عودتهما من شهر العسل يأتي صبي كل صباح بدراجة هوائية، يوقفها على الرصيف المحاذي لهذا الباب ويمد يديه إلى ذاك الزر المضيء ليرن الجرس، ويحمل من مقود الدراجة ومن مقعدها الخلفي أكياسا أرسلها معه معلمه، تفتح جارتنا الباب وتتناول الأكياس، ثم ما تلبث أن تغلق الباب ثانية دون أن تنظر إلى أي ركن من الشارع.

كل صباح يجلدني هذا المنظر وتسيل معه دموع من عيني حتى لو كان المحل غاصا بالزبائن، وعندئذ أتخيل كيف أنها تناولت الأكياس وعادت إلى دفء بيتها، ثم عند الظهيرة يعود زوجها من محله فيتناول الطعام ويمضي قيلولته معها، وأراه يعود إلى المنشرة ويبقى حتى التاسعة مساء، فيأتي إلى محلي يأخذ ما يشاء ويمضي برفقة زوجته حتى الصباح ليظهر ذاك الصبي من جديد أمام عيني.

الجانب النفسي للحجاب

إيمان القدوسي

لكل فعل إنساني ظاهر وباطن، يبدو الظاهر في السلوك الخارجي أما الباطن فهو الجانب النفسي، وبالنسبة للحجاب فإن الجانب الظاهر فيه شديد البساطة والوضوح، ملابس فضفاضة وغطاء للرأس، والالتزام به لا شك أمر محمود وقرار سهل، أما الجانب النفسي فيحتاج مجاهدة وتربية ويعطي بعدا إيمانيا وعمقا إنسانيا للحجاب.

حكمة الحجاب هي أن تخرج المرأة للحياة كإنسانة وليس كأنثى، وبالتالي فإن الإصرار على ارتداء الملابس ذات الألوان اللافتة اللامعة الضيقة واستخدام أدوات الزينة ووسائلها المتعددة هو فعل يتنافى تماماً مع الغرض من ارتداء الحجاب، ويدل على تناقض داخلي يحتاج حلا.

إذا تجاوزنا الشكل فإن سلوك المحجبة يكون أكثر أهمية في الدلالة على اطمئنان قلبها وفهمها لدورها كمسلمة، كثيراً ما تلفت أنظارنا فتاة محجبة تقف في وسط زميلاتها وتكون هي الأعلى صوتا والأكثر صخباً ومزاحاً وحركة، هل تريد أن تقول إنها رغم حجابها فإنها فتاة عصرية متفتحة؟ أم تريد أن تنفي عن نفسها تهمة الانغلاق والتزمت؟ أم تتصور أنها فعلت ما عليها وهي حرة بعد ذلك في سلوكها؟

أعتقد أن الفتاة التي يتسم سلوكها بالطيش والنزق مع تمسكها بالهدى الظاهر للحجاب هي في الحقيقة تريد أن تمسك بالعصا من منتصفها، فهي محجبة مع المحجبات ومهرجة مع المهرجات، تسعى لنيل حب الزميلات ورضا الناس عنها، وتظن أن من يضحك في وجهها قد اكتسبته وليا حميماً، وهي للأسف تعطي انطباعا سيئا جدا عن نفسها وتخسر الطرفين إذ لا يمكن أن يعتبرها أحدهما نموذجا.

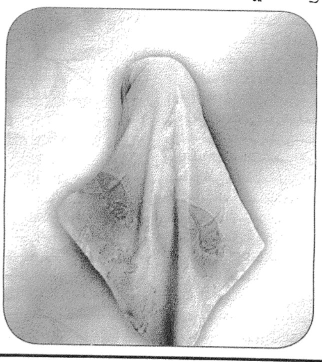
قد تكون الرغبة في لفت أنظار الشباب والخوف المرضي من العنوسة هي السبب في خفة بعض الفتيات والمبالغة في المرح والتساهل مع الغير، للأسف ستخسر هنا أيضاً، لأن سلوكها يدل على فقدان الثقة بالنفس ويدل على عدم تمتعها بشخصية قوية مستقلة، والأهم أنه سلوك لا يبعث على الاحترام.

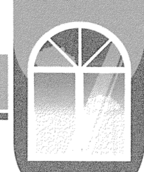
فتاتي العزيزة لا تشغلي إلا بأمرين، الأول هو الإجابة على السؤال الأرقى في الحياة (لماذا أحيا؟) لا نحيا لنتزوج أو نتجمل أو نعجب الآخرين، ولكن لنرضي ربنا ونتبع أمره ونهيه ونتوكل عليه تماما، وبالتالي سنلتزم بالهدي الظاهر والباطن للحجاب ونمارس الحياة كإماء لله سبحانه وتعالى لا نبغي إلا رضاه.

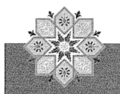
أما الأمر الثاني الذي يجب أن يشغلك فهو كيف يمكنك الارتقاء بنفسك وتنمية شخصيتك ومحاولة العثور على أجوبة لأسئلة الحياة؟

حين تفعلين سيستقر اليقين بداخلك وتمتلأ نفسك ثراء وخصوبة وتزداد شخصيتك قوة وجاذبية واحتراماً، ووقتها سيحبك الناس ويلتفون حولك وسيتمناك الشباب الصالح زوجة وشريكة للحياة وأما للأبناء، لأنك جديرة بالثقة وناجحة وباعثة على الاطمئنان، وسينعكس جمال نفسك وسكينة روحك على صفحة وجهك فلا تحتاجين مساحيق الزينة ولا وسائل التجميل الخارجي.

الحجاب في معناه الحقيقي، امرأة مسلمة راقية السلوك مطمئنة النفس تعرف هدفها وطريقها وتسعى جاهدة في الحياة لكل ما فيه خير ونفع لنفسها وبيتها ومجتمعها وهي تزين ذلك كله بحجابها وسترها لأنوثتها التي تحتفظ بها لزوجها فقط، إنها منظومة من العفاف والعطاء والتقوى ولوحة متكاملة لأفضل صورة ممكنة للمرأة، والحجاب هو إطار الصورة الذي يبرزها ويحافظ عليها.







الإيموز.. صرخة على حال الشباب

محمد فتحي النادي

كثيرة هي تلك الدعوات التي تموج بها فضاءات ساحاتنا العربية والإسلامية من أقصاها إلى أقصاها، وكل دعوة لها داعية وأتباع ووسائل تتخذها لنشر تلك الدعوة، وتلك الدعوات منها ما هو حق وقليل ما هم، والكثرة الكاثرة دعوات لم تتخذ كتاب الله نبراسا، ولا سنة النبي ﷺ هاديًا ودليلاً، وإنما هي أهواء وأمزجة.

ومن الدعوات التي أطلت برأسها في عالمنا العربي دعوة تسمى «الإيموز EMO» وهي دعوة اجتماعية تستهدف تغيير الأعراف والتقاليد السائدة في المجتمعات، والتمرد عليها، وإحلال أمور غريبة وشاذة مكانها.

وكلمة إيمو أو إيموز(Emo) اختصار للكلمة الإنجليزية (Emotion) والتي تعني: الانفعال أو الإحساس أو العواطف، وقد قالت إحدى الفتيات المنضمات لهذه الدعوة: الناس كلها (إيموز)، لكن البعض يخجل من الكشف عن هذا، والبعض الآخر لا يعترف أمام الناس بذلك، وأضافت: «إيموز» جاءت من كلمة «إيموشنال» (أي: إحساس)، وكل الناس في الدنيا عندها إحساس، لكنه يزداد في فريقنا.

وقد ظهرت هذه الدعوة في الثلث الأخير من القرن العشرين في كل من أمريكا والمملكة المتحدة كتيار موسيقي في موسيقى «الهارد روك» فكانوا عبارة عن مجموعات من المراهقين يتجولون في الشوارع ليلاً بملابسهم القاتمة وهيئتهم اللافتة، ويعمل أغلبهم في العزف بالجيتار والدرامز بالملاهي الليلية كوسيلة لجني المال، ويتهم البعض أفراد الإيموز بممارسة الشذوذ الجنسي والطقوس الغريبة الشاذة من خلال التلفظ ببعض العبارات والألفاظ التي لا معنى لها في حالة التقائهم بعضهم ببعض، وأخذت في التطور حتى أصبحت في العقد الأول من الألفية الجديدة أسلوب حيا (Life style)

وبدأت هذه الظاهرة في التواجد والنمو في العالم العربي منذ مطالع الألفية الجديدة، ولكنها بدأت في الاستفحال، لأن أصحاب هذه الدعوة أخذوا يعلنون عن أنفسهم عن طريق الشبكة العنكبوتية في المنتديات والفيس بوك، وكذا عن طريق الظهور بمظهرهم الغريب الشاذ في المجتمعات التي يعيشون فيها على هيئة مجموعات، ويكثر وجودهم في الأسواق الكبيرة (المولات)، حتى وصل بهم الأمر إلى إغراق شوارع بعض المناطق بعاصمة عربية كبرى بشعارات لهم، وكانت عبارة عن رسومات باللونين الأسود والأخضر لرجل بلا رأس يمسك في يده مكنسة، وكان الدافع لذلك كما صرح عدد من شباب الإيموز اعتراضهم على ملاحقتهم أمنيًا، ووفقا لما ذكره شباب الإيموز على عدد من المنتديات أن عددهم بلغ تسعة آلاف شاب في دولة عربية كبرى.

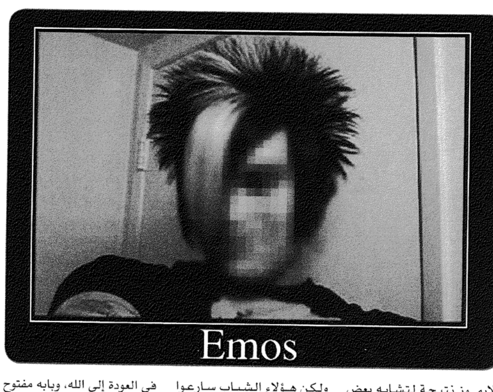
<u>وتنتشر هذه الدعوة في صفوف المراهقين</u>، بل هي مقصورة عليهم، فلا يجوز لغيرهم الانضمام إليها، فهي ليست دعوة مفتوحة للجميع، فهي تشترط على من ينضم إليها أن يكون ما بين الثانية عشرة والعشرين، ومن يتعدى هذه المرحلة يخرج من الإيموز حتى لو كان عضوًا معهم في السابق، ومرحلة المراهقة التي يركز عليها دعاة الإيموز هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، وتتسم بأنها فترة تقلب المزاج وكثرة العناد والتمرد على الآخرين لإظهار التميز والتفرد في شخصيتهم.

ومن ينضم للإيموز عادة ما يكون قد مر بتجربة قاسية- على حد تعبيرهم- في حياته جعلته مجروحًا، وحاول من كتب عن صفات الإيموز النفسية أن يؤكد على أمور نفسية رأوها هي القاسم المشترك بينهم جميعًا فقالوا: تتسم شخصية الإيموز بالحزن والتشاؤم والصمت والميل إلى الخجل، بالإضافة إلى الحساسية العالية في التعامل مع الآخرين؛ فهم لا يألفون إلا أقرانهم من نفس الجماعة؛ فمعهم فقط يجد شاب الإيموز



نفسه ويشعر أن هناك من يتفق ويتفاهم معه، ويكتب البعض منهم أشعارًا وخواطر متشائمة أو حزينة.

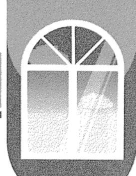
وأول ما يلفت نظر المجتمع لهؤلاء هو المظهر الغريب الشاذ الذي يجمع بين الجنسين، فلا فرق بين ذكر وأنثى، بل يصعب التفريق بين الإيمو الفتاة والإيمو الصبي، فكلهم Emo-kids ولا يفرقون بين الجنسين، وهم يتميزون كذلك باللونين الأسود والزهري، وتخطيط أسود حول العيون لتظهر كبيرة، والشعر الأسود الذي ينساب على العين فلا تكاد تراها، ومن الخلف غالبًا ما يُثبّت في الهواء، وقد يحتوي على خصلات زهرية.

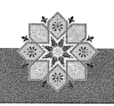


أما لباسهم فهو الجينز الضيّق، والقميص الضيّق الذي يحمل علامة الإيمو، أو أحد شعارات فرق الروك-إيمو، وغالبا ما ترسم عليها أشكال مخيفة لا معنى لها، وجماجم بشرية أحيانًا، وقلوب متكسرة، أو صور لمصاصي الدماء (الدراكولا)، وتحوم الشكوك حول شباب الإيمـوز نتيجة لتشابه بعض مظاهرهم مع مظاهر عبدة الشيطان الذين ظهروا في بعض البلاد العربية في تسعينيات القرن الماضي، وما يصاحب حفلاتهم من رقص هستيري وموسيقى صاخبة واقتراف للجنس بصورة مقززة، ولكن هؤلاء الشباب سارعوا لنفي هذين الاتهامين، فقالت إحدى منتسبات الإيموز «أنا فتاة مسلمة ولم أتخل عن ديني، وكذلك باقي شباب الإيموز لم يتخل أحد عن دينه، بل نمارس العبادات والشعائر الدينية بشكل عادي مثلنا مثل غيرنا، ونحن لسنا كعبدة الشيطان» واطّرد هذا النفي على ألسنة العديد من المنتسبين للإيموز فقالت فتاة أخرى «الإيموز في (...) لم يتخلوا عن دينهم، ولم يمارسوا أي طقوس شاذة، نحن فقط شباب لنا أسلوب وطريقة في الحياة، نعبر بها عن مدى الحزن والاكتئاب الذي نعاني منه» ولكن يبقى وقوعهم في دائرة الشُبَه والاتهامات.



وأخيرًا نقول لهؤلاء الشباب: احذروا الفتن فالمظاهر خداعة، وما نشدتم فيه العلاج ما هو إلا عين الداء، والعلاج الناجع هو في العودة إلى الله، وبابه مفتوح لا يغلق في وجه عباده، ولنحذر مواطن الشبهات، ولنتذكر قول رسول الله ﷺ «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، على كتفي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع يدعو يقول: يأيها الناس، اسلكوا الصراط جميعًا ولا تعوجوا، وداع يدعو على الصراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والستور حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، والداعي الذي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم» (أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي).





الأصدقاء بين قلق الآباء وعناد الأبناء

صلاح محمد أبوزيد

بينما يصرخ الآباء متهمين أصدقاء الابن أو صديقات الابنة بأنهم جرفوا الابن أو جرفن الابنة الى طريق الفساد والغواية، فإن الأبناء على صعيد آخر يتشبثون عنادا بأصدقائهم رافضين أي تدخل أو وصاية من جانب الآباء في اختياراتهم، وبالطبع يزداد التوتر بين الطرفين ويعتقد الآباء أنهم فقدوا سيطرتهم على أبنائهم فيزدادون قلقاً وخوفاً من تأثير الأصدقاء على حياة أبنائهم وسلوكياتهم.

يشكو السيد عبدالغفار وهو أب لفتى مراهق عمره ١٦ سنة من أصدقاء ابنه الذين يعتقد بأنهم علموا ابنه التدخين وربما أشياء أخرى سيئة لم تصل إلى علمه بعد، مما حدابه إلى منعه عن أصدقاء السوء هؤلاء، ولكنه فوجئ أن ابنه لم يقطع علاقته بأصدقائه نهائيا وأنه لا يزال يلتقي بهم.

ويعترف حسين وهو موظف وأب لفتاة وفتى في مرحلة المراهقة بأن أصدقاء ابنه مجموعة من الفاشلين الذين أفسدهم تدليل أسرهم لهم، وأن ابنه اكتسب كثيراً من العادات السيئة خلال احتكاكه بهم وأحياناً يشعر بأنه فقد السيطرة على ابنه الذي أصبح لا يطيع كثيراً من أوامره وإرشاداته.

أسرتي مقابل أصدقائي

وعلى الجانب الآخر يشكو الأبناء من أن الآباء غالباً ما يعترضون على أصدقائهم ولا يحترمون اختياراتهم، فيقول طارق طالب بالمرحلة الثانوية: أنا لا أستطيع الاستغناء عن أصدقائي لدرجة أنني أحيانا أشعر بأنه من الممكن أن أستغني عن أسرتي مقابل أصدقائي، ولـلأسف فإن أبي غالباً ما يطالبني بالابتعاد عن اصدقائي من دون أن يعرفهم أو يعرف هل هم صالحون أو طالحون، فأبي يعتقد ان مجرد ارتباطي بأصدقاء سيجعل مني شخصاً فاسداً.

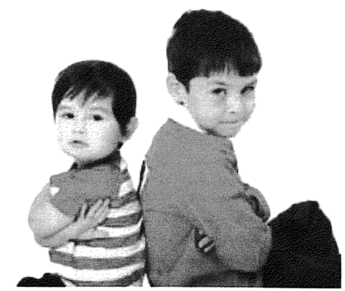
وتقول مها وهي طالبة جامعية أيضا: أنا وأمي نعيش في عالمين مختلفين فهي حين تسمع إحدى صديقاتي تضحك بصوت مرتفع تطلب مني أن أقطع علاقتي بها لأن سلوكها غير محترم، وإذا رأت إحدى صديقاتي ترتدي ملابس لا ترضي عنها تطلب مني أن أقطع علاقتي بها أيضا، ولو أنني أطلعت أمي دائما على صديقاتي لما بقيت لي صديقة واحدة.

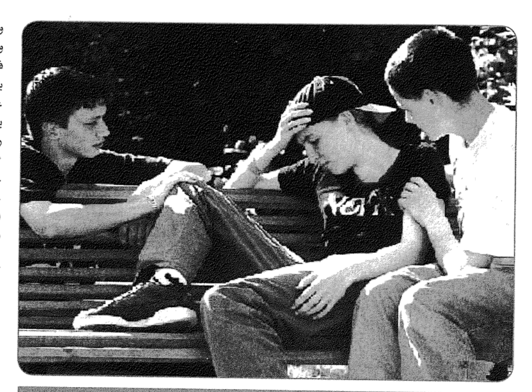
النار في الهشيم

تقول د.هبة سعدالدين أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة: الصداقة حاجة طبيعية للإنسان لا يستغني عنها في أي مرحلة من مراحل حياته، وما يقلق الآباء- وهم غالباً على حق في هذا القلق- أن الأبناء في مرحلة الطفولة أو الشباب المبكر يتأثرون بشدة بسلوكيات أصدقائهم، فالصديق قد يدفع صديقه الى طريق التدخين أو تعاطي المخدرات أو غير ذلك من طرق الفساد حتى دون أن يطلب منه مباشرة ان يفعل ذلك، فالصديق يحاول ان يقلد اصدقاءه ولو على سبيل التجربة ليبدأ بذلك أولى خطواته على طريق الفساد، والفتاة تتأثر بصديقاتها تأثراً بالغاً سواء من حيث الملبس أو العادات أو محاولة تقليد زميلاتها في اقامة العلاقات مع الشبان بدافع التقليد أو الغيرة أو التجربة- كما تفعل الصديقات- وهنا يصبح الخطر كبيراً، والعادات السيئة تسري في تجمعات الفتيات كما تسري النار في الهشيم خصوصا مع ضعف الرقابة الأسرية أو ضعف الوازع الديني، ولكننا مع كل ذلك لا ننصح الآباء بفرض الرقابة اللصيقة الخانقة على أبنائهم وبناتهم لأن ذلك يولد مزيدا من التوتر والقلق بين الطرفين، بل ننصح الأسرة بطريق الحوار والتفاهم مع الأبناء والاقتراب منهم والتعرف على همومهم وأفكارهم.

رفاق السوء

أما الدكتورة السباعي الاستاذ بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية تقول: في مرحلة المراهقة يبدأ الأبناء في محاولة الاستقلال بأفكارهم وسلوكياتهم وتكوين الأصدقاء والعلاقات المختلفة خارج نطاق الأسرة، وغالباً ما يجنح سلوك





العادات السيئة تسري في تجمعات الفتيان كالنار في الهشيم خصوصا مع قلة الرقابة الأسرية وضعف الوازع الديني

الأبناء إلى السلبية والتحدي للكبار والمدرسين واتخاذ بعض المواقف المعادية والعنيفة بمواجهة المجتمع، وهنا يظهر دور التربية التي تلقاها المراهق في طفولته وما غرسه الأبوان من قيم دينية واجتماعية في طفولته حيث يلعب الوازع الديني دوراً كبيراً في استقرار المراهق، ويجب على الأبوين أن يتفهما تلك المرحلة العمرية بكل ما تحمله من تغيرات فسيولوجية ونفسية وألا يجعلا البيت ساحة للتحدي والصراع ومحاولة فرض السيطرة على الأبناء أو عزلهم عن أصدقائهم لأن ذلك سيؤدي لمزيد من التوتر والاضطراب ومزيد من الرفض لنصائح وتوجيهات الآباء.

وتواصل د.نادية كلامها قائلة: بالطبع هناك مبالغة يغذيها قلق الآباء على مستقبل أبنائهم فأحياناً يكون الأصدقاء من الطيبين ويؤثرون تأثيراً حسناً على الأبناء وأحياناً يكونون من رفاق السوء الذين يؤثرون تأثيراً سلبياً على الابناء فيكتسبون منهم السوكيات السيئة كالتدخين والكذب وغيرها من العادات المنحرفة، وكثيراً ما لا تجدي نصائح الآباء لأبنائهم بالابتعاد عن رفاق السوء لأن المراهق قد يتمسك بأصدقائه بل ويضعهم في كفة مقابل أسرته، ورغم أننا لا ننصح الآباء بالقسوة أو العنف مع أبنائهم ليبعدوهم عن أصدقائهم، فإن عليهم أن يلاحظوا سلوكيات أبنائهم في دقة ويتقربوا إلى هؤلاء الأصدقاء، فإذا ما لاحظت الأسرة على أحد الأصدقاء أو إحدى الصديقات سلوكيات غير مقبولة أو غير لائقة فينبغي التدخل فوراً بالتوجيه والحوار والمناقشة والإقناع ليبعدوا أبناءهم وبناتهم عن مثل هؤلاء الأصدقاء.

عناية خاصة

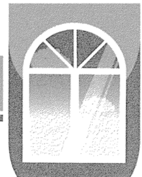
وعن الصداقة في ظل الإسلام يقول د.عبدالمنعم أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة القاهرة: عني الإسلام بالصداقة عناية خاصة لما لها من تأثير بالغ على حياة الفرد وعلى حياة الجماعة في آن واحد، فإذا كانت هذه العلاقة قائمة على البر والتقوى والخير يباركها الله تعالى، وإن كانت غير ذلك فإن القرآن الكريم يحذر منها أشد التحذير، ويقول ربنا عز وجل في كتابه الكريم ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ (الزخرف:٦٧-٦٨).

ويقول النبي ﷺ في الحديث الشريف «مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه». (رواه أبوداود).

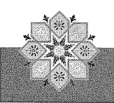
وقد أمرنا النبي ﷺ بالدقة الشديدة في اختيار الصاحب حيث قال ﷺ «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (حسنه الألباني).

ويقول ﷺ «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي» (رواه أبوداود).

فالصديق إما قرين خير يعين على الحق وأداء الواجب وحفظ الحقوق، فهذا يجب أن نستمسك به، وإما قرين سوء يحرض على الشر ويزين طريق الغواية فيجرف صاحبه الى مزالق التهلكة والفساد وهذا يجب ان نتجنبه ونتجنب الاحتكاك به، ولذا كان لزاماً على المسلم أن ينتقي اخوانه وأن يطمئن إلى صلاحهم، وعلى كثرة الأحاديث الشريفة الواردة في أمر الصداقة والصديق فإنها كلها تعلي من شأن الصداقة والصحبة القائمة على التقوى والمحبة الخالصة التي لا تشوبها شوائب المصلحة أو المنافع الرخيصة.







القوامة والذمة المالية للمرأة

لينة أحمد جلبط

وردت صيغة «القوامة» في القرآن في ثلاثة مواضع، حيث ورد اللفظ في قوله تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم...﴾ (النساء:٣٤)، وقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله...﴾ (النساء:١٣٥)، وقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط...﴾ (المائدة:٨).

فالقوامة إحدى صفات المؤمنين رجالا ونساء وترتبط بالشهادة على الناس، وتعني القيام على أمر هذا الدين وفق الشرع، والالتزام بالعدل والقسط وهي صفة من صفات الله - سبحانه- التي يجوز أن يتخلق بها عباده إذ إنه «القيوم» وإذا كانت القوامة على مستوى الأمة هي سمة عامة فإنها مسؤولية تكليفية على الرجل تجاه زوجه، وقد حدد الإسلام طبيعة سلطة الرجل في الأسرة إذ جعل مفتاحها كلمة «قوام» أي القائم على شؤون الأسرة، وتقتضي القسط في شؤون من أوكل إليه أمرهم، وذلك بخلاف ما إذا كان التعبير عنها بكلمة سلطة أو نحوها، فليست القوامة كما يشاع عنها من أنها أمر ونهي وزجر وتأديب وممارسة للسلطة الذكورية على المرأة كما يدعي بعض جهال أمتنا، إنما هي أن يأخذ الرجل على عاتقه توفير حاجات المرأة المادية والمعنوية، وان يوفر لها الحماية والرعاية ويسوس الأسرة بالعدل، فإذا كانت المرأة مطالبة بأن تنفق في البيت مثل ما ينفق الرجل فهل يقبل ذلك الرجل ان يتخلى عن نصف القوامة للمرأة؟

فالنساء في الغرب يغبطن النساء المسلمات على ما أنعم الله به عليهن، لأنهن لا يتحملن مسؤولية الانفاق على أنفسهن، بعكس المرأة في الغرب فإنها مسؤولة عن كل شيء في حياتها، ولا تجد سوى الطريق المحرم ملجأ لها بعد أن تفقد دفء الأسرة وقوامة الرجل، وهذا الدفء يشمل: الحب والاحتواء وكل المعاني والمشاعر التي تحقق السعادة لدى جميع أفراد الأسرة، فمواثيق حقوق المرأة في أوروبا تنبثق من الواقع المعيش فيها، فالمرأة هناك مضطهدة، ومضطرة إلى أن تنفق على نفسها وعلى زوجها -إن وجد- فهما يتقاسمان المال ويتقاتلان من أجله، وهم يعدون هذا مساواة، ويدخلون به الى بلادنا لضرب الإسلام ومبادئه، ويحققون بذلك ما عجزوا عن تحقيقه بطرق أخرى، فهم يرون أن إرث المرأة الذي يعادل نصف ارث الرجل يخالف مبدأ المساواة بين إنسانية الرجل وانسانية المرأة إلا أن الله عندما أوجب للمرأة نصف ميراث الرجل فسبب ذلك أنه أوجب عليه الانفاق في أمور لم يوجبها على المرأة وهو الانفاق على الزوجة والأسرة.

والمرأة في التشريع الإسلامي مكفولة النفقة، تجلس في بيتها، وعلى زوجها أن ينفق عليها ولو كانت ميسورة ولا يحق له التصرف بمالها إلا ما تعطيه إياه عن طيب نفس منها، ومن هذا يتضح أن الذمة المالية للمرأة مستقلة عن الذمة المالية للرجل، ولا يحق للزوج المساس بتلك الذمة أو دمجها مع ذمته، ولا سلطان للرجل على معاملاتها، فمالها لها ومال الرجل له، وعليه عبء الانفاق على زوجه وأسرته، وهذه روعة التشريع الإسلامي الذي يعزز المرأة، ويجعل لها حق التصرف في مالها بدون اذن زوجها، ولكن الأولى والأفضل أن تشاور زوجها في ذلك تطييبا لخاطره ومحافظة منها على العشرة الزوجية، فيجب ألا ننسى الفضل في هذه العلاقة كما في قوله تعالى ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ (البقرة:٢٣٧).

لذا فقد أصدر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي فتوى عن اختلافات الزوج والزوجة الموظفة، وعن انفصال الذمة المالية بين الزوجين، تتيح للمرأة حق التملك والتصرف.

وبرغم أننا نعتنق الإسلام دينا ونؤمن به شريعة ومنهج حياة لنا، فإننا للأسف- لا نطبقه في واقع حياتنا، ومن هنا يأتي الخلل، وإذا كانت هناك مشكلة للمرأة تعاني منها فهي بسبب هذا الخلل ونتيجة له، فنجد أن أكثر حالات الطلاق تكون بسبب الخلاف المالي، لذا يجب تناول هذا الموضوع مراراً وتكراراً، وفي حال كانت المرأة تعمل أو كان لها موردها المالي الخاص، فإنفاقها يجب أن يكون برضاها، وخير الانفاق هو إنفاق الزوجة على زوجها، وهذا من باب التراضي بين الزوجين، ودفعها الى مزيد من الترابط شرط ان يكون ذلك عن طيب نفس منها، ولا ننسى أن ذلك كان موقف السيدة خديجة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ بعد بعثته حيث يقول «وواستني بمالها...» (السلسلة الضعيفة)، وعموماً فان المرأة التي تشعر بالأمان في ظل زوجها لن تتأخر بوضع مالها فيما يحتاجه أي فرد من أفراد الأسرة، ولكن الخوف يتصاعد يومياً لدى امرأة لا تشعر بهذا الأمان حينما يقصر الزوج في التزاماته، بل على العكس تشعر بطمع زوجها بمالها ورغبته بوضع يده عليه دون ان تعرف ما هي نواياه وخططه المستقبلية، وهنا تكون الكارثة حيث يعمل كل من الزوجين لمصلحته الخاصة، دون وضع المصلحة العامة للأسرة في الاعتبار، أو أن يعطي الزوج لنفسه الحق بألا تتصرف في مالها خارج أسرتها.

قصة أحمد وأخواته البنات

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الكتروني suad119@hotmail.com

دخل ذلك الشاب الوسيم عليّ باندفاع، يلبس جينزا أزرق وقميصا أسود، يضع على رأسه مادة تسمى بالجل لترتيب الشعر وهي موضة العصر الحالي، فارع الطول ذو جسم معضل ومنسق، ألقى التحية علي وجلس على المقعد المقابل لي في غرفة الاستشارة وقال أنت الدكتورة سعاد؟ فهززت رأسي إيجابا مع ابتسامة تدل على القبول بالرغم من وجود استفهامات تدور في رأسي على اندفاعه وطريقة جلوسه، ولكن نحن الاستشاريين يجب أن نظهر لطالبي الاستشارة الثبات الانفعالي بكل الأحوال حتى نضفي جوا من الأمان والاطمئنان، فرحبت به وقلت: تفضل يا أحمد، بعد أن اطلعت على اسمه المدون أمامي في الملف، فقال: أتعرفيني يا دكتورة؟ فقلت: لا، ولكن اسمك مدون لدي، وأنت الآن ضيفي فعلى المضيف أن يكرم ضيفه بالقول والفعل، فماذا تريد أن تشرب؟ فقال: لا شيء، لا وقت لدي يا دكتورة، إن في قلبي كلاما كثيرا وأخاف أن يسرقنا الوقت دون أن أكمل فدعيني أسرد لك قصتي.

لزمات في حديثه، فقال: أنا إنسان فاشل كثير السقوط أعيش في أسرة مفككة، أبي ينحدر من أسرة متحررة تطبق قشور الدين، وأمي سيدة فاضلة من أسرة متدينة حاولت جاهدة أن تربينا على الطاعة، ولكن تدخل أبي كان يحول أحيانا بين ما تقول وبين ما نريد، كنت صبيا صغيرا طائشا حديثي مع أسرتي دائما ينتهي بصراخ وانفعال أخرج بعدها من البيت لساعات ثم أعود والكل نيام، إلى أن أصبحت في سن السابعة عشرة، وذات يوم كنت ذاهبا للمسجد بعد مشادة بيني وبين أمي كالعادة فاحترت إلى أين اذهب فقررت الذهاب لارتاح في المسجد وإذ بالمؤذن يقيم الصلاة فصليت جماعة وجلست قليلا وإذ بالشيخ يحمد الله ويثني عليه وبدأ درسه عن الحجاب والستر والعفة ودور الرجل في بيته بأن يأمر بناته أو أخواته بالحجاب، كما تطرق إلى الوضع الراهن وبما تفعله الفتيات غير المحجبات وكيف يثرن الفتن مما يؤثر سلبا على المجتمع والشباب والأسرة والسمعة، هنا التفت أنا نحو الشيخ وبدأت أركز على أسلوبه وطريقة طرحه وشعرت بأنه يتحدث عن أحوال أخواتي البنات اللاتي يذهبن للأسواق دون استئذان بسبب التدليل في التربية التي أولاها لهن والدي وبسبب ضعف شخصية أمي، كما أنهن لا يلبسن إلا الملابس الفاضحة وهن غير محجبات، هنا شعرت بالغيرة والضيق، فقررت أن أتدارك الأمر سريعا خوفا من الفضيحة والعار الذي قد يحل علينا ونحن غير مدركين لما تفعله البنات.

فقلت له: فماذا فعلت يا أحمد؟ فقال ذهبت مسرعا للبيت لأضع قوانين صارمة، وشروطا للخروج، وأسلوبا جديدا في اللبس، وفرضت عليهن لبس الحجاب، هذا ما كانت أمي تطلبه منهن ولكن بأسلوب غالبا ينتهي برفع أصواتهن عليها لأنهن مسنودات من والدي المتحرر الذي يعتبر أن الحجاب رجعي وتخلف، سكت قليلا ونكس رأسه ثم رفعه وعينه مليئة بالدموع فقال: يا دكتورة تصوري بأنني كنت وقتها شابا صغيرا ومندفعا وأخذتني الحمية والحماس وكلام الشيخ يرن في رأسي، فبدأ الصراخ والمشادات الكلامية التي انتهت بضربي لإحدى أخواتي الخمس وكانت سنها حينذاك ١٥ سنة، وقد تدخل أبي بالموضوع بعدما سمع الصراخ فجاء مسرعا ليقول، اخرج من بيتي، لا أريد أن أراك... أتسمع؟ وحاول دفعي بقوة من الباب وأنا أحاول أن اشرح له الموقف ولكن دون فائدة، البنات يصرخن وأمي تحاول أن تدافع عني لكن دون جدوى.

خرجت من البيت وأنا اركض لا اعلم إلى أين ولكنني جريت مسرعا إلى أن وصلت بيت جدي (والد أمي) ووقفت عند بابهم طويلا مترددا هل اطرق الباب.. دخلت في حديقة بيت جدي وانتظرت إلى أن فتح جدي الباب ليذهب لصلاة العشاء فدخلت خلسة، أتتني جدتي فقالت: من؟ أحمد، ها يا ابني «شلونك» «وشجابيك» بمعنى كيف حالك وكيف حال والدتك وما الذي أتى بك في هذا الوقت، فقلت كنت مارا من هنا مع أحد أصدقائي، ودخلت الحمام سريعا خوفا من أن ترى وجهي، توضأت وأنا أبكي وكانت صورة أخواتي أمام عيني وهن بذلك اللباس غير المحتشم، وأتذكر كلام الشيخ عن العار والفضيحة، فتدمع عيني وأزداد قهرا وأضرب قبضة يدي بالحائط قهرا وضيقا.

فعاد يقول: طلبت من جدتي أن ترتب لي غرفة الضيوف لأنني أريد أن أقضي الليلة في منزلهم، وعند ذهابي إلى الفراش جاء جدي رحمه الله (نعم لقد توفى ذلك الرجل العظيم) وتركني في هذه الدنيا أشعر بالوحدة، إنني افتقده يا دكتورة. من خلال حواره علمت بأن جده رجل متدين وحكيم ولقد توفى منذ أسابيع، فقلت: جدي حبيبي، أنا وحيد ليس لي أحد غيرك فأربت على كتفي قائلا: اهدأ يا بني وان شاء الله كل شيء سيصلح، سردت له ما حدث بالتفصيل وسألته هل أنا على حق يا جدي؟ أليس الله غاضبا علينا لأننا لم نفعل شيئا لستر عوراتنا؟ (يقصد أخواته البنات) رد جدي بهدوء وقال لي جملة واحدة: الله يهديهن يا ابني، ادعو لهن بالهداية وأرجوك أن تذهب لأبيك وتعتذر منه غدا عما بدر منك فشهقت وقلت لا، لا استطيع، ولكن أسلوب جدي المقنع وطيبته جعلتني اقتنع ووافقت.

عند الصباح ذهبت أجر همي وحزني خلفي مثقلا بهما ودخلت البيت فوجدت أبي يقرأ الجريدة، نظر لي نظرة استهزاء وقال: هذا أنت لماذا عدت؟ كلماته كانت كالصاعقة بالنسبة لي، لا أعلم كيف سأعتذر منه، فقلت له: أبي، أنا آسف أرجوك سامحني فرد علي بنبرة غضب لن أسامحك إلا عندما تعتذر من أختك التي ضربتها وان تعدني بألا تتدخل بموضوع لبس أخواتك أو خروجهن، فانا المسؤول.

الأطفال وإعلانات التلفزيون


د.محيي الدين عبدالحليم

تشير الدراسات العلمية إلى أن التلفزيون أصبح هو المربي الرئيسي لأطفالنا بعيداً عن الأسرة والمدرسة ودور العبادة بما يقدمه من برامج وفقرات لأطفالنا، وقد كشفت البحوث العلمية أن مشاهدة التلفزيون هي ثاني أهم نشاطات الطفل بعد النوم، وقد أكدت البيانات الإحصائية أنه حين يصل الطفل للمرحلة الثانوية يكون قد قضى 22 ألف ساعة من وقته أمام الشاشة مقابل 11 ألف ساعة يقضيها في غرف الدراسة، وتشكل الرسوم المتحركة 88% مما يشاهده الأطفال، 65% من هذه المواد مدبلجة ومستوردة وخالية من وجود شخصية عربية كرتونية واحدة.

وقد أفادت الدراسة التي أجراها د.جلال حسن أن الرسوم المتحركة التي تقدمها برامج الأطفال هي المسؤولة عن إقرار العديد من الظواهر السلبية في المجتمع العربي مثل العنف والعدوان والتأخر الدراسي وانتشار الألفاظ السوقية مما أثر على فهمهم وتفكيرهم وسلوكياتهم السلبية، وذلك في ظل تراجع مستوى التعليم في المدارس مما يلقي اللوم على التلفزيون في إضعاف مستوى التحصيل لدى الطفل لأنه يستولى على معظم وقته، بالاضافة إلى ضعف الانتاج العربي لرسوم الأطفال مما أتاح الفرصة أمام الكرتون المستورد لنقل قيم ومعارف وأفكار ومفاهيم غريبة عن واقع الطفل بالاضافة لاعتماد الكارتون الأجنبي على شخصيات وهمية تقوم على القوة الجسدية والاحتياجات البيولوجية.

وهكذا نرى أن برامج الأطفال في القنوات الفضائية ترسخ قيماً مغلفة بألوان ورسوم تؤثر على عقلية الطفل مثل العدوانية والخيانة والظلم والكذب والأنانية والتفكير الخرافي، ويقوم كثير من القائمين على انتاج برامج الأطفال بتوظيف عناصر الصوت والصورة بشكل سلبي يؤكد على مناظر ومشاهد عدوانية باستخدام اللقطات المكبرة والزوايا الخاصة وحركات الكاميرا والمؤثرات السمعية والبصرية الأخرى، ومن ثم فان أغلب مشاهد العنف المقدمة في هذه البرامج تستخدم وسائل غير مشروعة، وهو عنف بصري وصوتي وحركي وجسدي موجه من الصغير إلى الصغير.

وهذا يعني أننا في حاجة إلى عمل إعلامي عربي عبر القنوات الفضائية لرصد وتحليل ما يقدم للطفل ويؤثر على عقليته، واعتماد منهج للتربية الإعلامية في روضات الأطفال ودور الحضانة والمدارس والنوادي يقوم على تزويد الأطفال بالقيم الأخلاقية التي يجب أن ترسخها برامج الأطفال في عقولهم، واستثمار الرسوم المتحركة كشكل فني محبب وليس فقط لمجرد الترفيه، بحيث تتحول الشخصية الكارتونية إلى صديق يتفق ويرشد ويوجه كما يرفه من خلال إنتاج عري متماسك وبناء.

وتحتل الإعلانات في التلفزيون العربي مساحة كبيرة على خريطة البرامج، وتزداد هذه المساحة بصورة مطردة كلما دارت عجلة الخصخصة وازدادت نسبتها، فلم يعد يقتصر دور الإعلان التلفزيوني على الترويج للسلع والمنتجات ولكنه أصبح يروج للأفكار والمعتقدات والقيم السلبية حتى أصبحت هذه الأفكار والمعتقدات تنافس البرامج الثقافية والدينية والسياسية في تكوين شخصية الصبية والشباب والفئات التي لم تنل حظها من الثقافة والتعليم لاسيما أن اعلانات التلفزيون يتم تقديمها بصورة مبهرة تستخدم فيها كل عناصر الجذب والاستمالة لتشد المشاهد إلى مضمونها.

ويتضاعف حجم التأثير في مراحل الطفولة الأولى بسبب تعرض هؤلاء الأطفال إلى سيل لا ينقطع من مشاهد العنف والجنس والجريمة، وهذه المشاهد تترك بصماتها البارزة على سلوك أبناء العرب والمسلمين، مما يدفعهم إلى التصرفات العدوانية بفعل غريزة التقليد والمحاكاة لاسيما أن كثيراً من البرامج والفقرات الاعلانية تروج لسلع ومنتجات وأفكار أجنبية مما جعل هؤلاء الأطفال يتم حصارهم بمجموعة من قنوات البث والبرامج التي تتنافى مع معطيات الفكر والثقافة الإسلامية.

وفي الحقيقة ان الطفل العربي والمسلم قد تخلف عن أطفال عصره بسبب التسلط على فكره وسحق ارادته لاسيما أن كثيراً من العناصر الجاهلة تسيطر على وسائل الاعلام، وتشير الدراسات العلمية إلى أن أجهزة الإعلام تلقي بظلالها على الطفل المعاصر، حتى إنه من الصعب عليه أن يفلت من أسارها، فهي تحيط به إحاطة السوار بالمعصم، وتحاصره من مختلف الجهات، وبمختلف اللغات ليلاً

ونهاراً وتحاول أن ترسم له طريقا جديداً لحياته وأسلوبا معاصراً لنشاطه وعلاقاته.

ويكشف الواقع المعاصر أن برامج الأطفال في وسائل الإعلام بالبلاد العربية والإسلامية تفتقر إلى التخطيط العلمي والكوادر المبدعة مما أدى إلى الاعتماد بشكل مكثف على برامج الأطفال الأجنبية التي تحمل من المفاهيم والمعاني ما يؤثر بالسلب على عقل الطفل ووجدانه، وقد تهدم فيما تكون هذه الدول قد أنفقت الكثير لغرسها في كيانه، وقد نجم عن ذلك غياب استراتيجية علمية سليمة لإعلام وإعلان الطفل، بل اننا نلاحظ أن هذه الأجهزة كثيراً ما تتخبط في تناولها لهذا الموضوع دون أن تصل إلى رؤية فلسفية تستند إليها، وترسم لها الطريق الصحيح.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخداع البصري الإعلاني يدهم الأطفال بصورة مخيفة تجعلهم في غير مأمن على أخلاقهم أو سلوكهم أو صحتهم، حيث يؤدي هذا الزخم الاعلاني الى ابتزاز أموالهم وأوقاتهم وأذواقهم، ويوقعهم في أخطاء شديدة ويؤثر بالسلب على أخلاقهم مستخدماً في ذلك كل أسلحة الاستفزاز الاستهلاكي، والأمثلة على ذلك كثيرة بصورة تجعلنا أمام جيل إعلاني من الأطفال يرددون الإعلانات في المنازل والمدارس والشوارع كالببغاوات، وقد تحول هؤلاء الأطفال إلى سلعة، وكأن المنافسة بين الشركات المعلنة لم تعد تتوقف على التهام الأسواق فحسب بل تعداه الى اغتيال الطفولة، كما أن الإعلان يستخدم المرأة بصورة مبتذلة مليئة بانفلات من الأطر والقيم الأخلاقية للمجتمع العربي من خلال محاولات الاقناع عن طريق تقديم معلومات كاذبة وتصرفات مستهجنة تسيء بصورة شديدة إلى الذوق العام، وتفتقر إلى الحد الأدنى من الاحترام والالتزام، وقد تزايدت مخصصات الإعلان بصورة تلفت الانتباه حيث وصل إنفاق كبرى الشركات الأميركية على الاعلان ما يربو على مائة مليار دولار، كما أن حجم الانفاق الاعلاني للشركات العالمية بالمنطقة العربية يزيد على ٣٠٠ مليون دولار.

وقد أشارت احدى الدراسات التي تم اجراؤها بجامعة القاهرة حول أخلاقيات الإعلان عن

برامجنا تفتقر إلى التخطيط العلمي والكوادر المبدعة .. ما شأنه الاعتماد على البرامج الغربية

وجود أشكال عدة للتجاوزات الأخلاقية التلفزيونية بحق الأطفال تشمل العديد من القيم السلبية المؤثرة مثل الشراهة والتبذير والتفاخر والمباهاة والعنف والعدوانية وانتشار الملابس غير اللائقة، وتعليم السرقة والابتزاز، اضافة إلى العديد من مظاهر الإثارة الجنسية في مرحلة الطفولة المتأخرة، إلى جانب التجاوز في استخدام اللغة العربية بصورة مغلوطة من خلال استخدام ألفاظ غربية وسوقية تقوم بتشويه الأبنية اللغوية نحويا وصوتيا، وقد كشفت الدراسة الى أن ٩٣٪ من الاعلانات في التلفزيون العربي تستخدم النساء، بينما النسبة في الولايات المتحدة بلغت ٣٧ ٪ فقط، وأن ٧٣٪ من هذه الإعلانات يتم تقديمها من خلال حركات جسد المرأة، والأداء التمثيلي الخاطئ وابراز علاقات غير عادية للأطفال مثل تقديم الرشوة لتحقيق غرض تسويقي معين، أو الفوز عن طريق المقامرة، أو السرقة للحصول على سلعة معينة، وقد أفرزت هذه الإعلانات نتائج سلبية أكدتها البحوث والدراسات العلمية، وانخرطت بعض الفتيات في أعمال الدعارة رغم أن أعمارهم تتراوح بين ١٢ إلى ١٦ عاماً، وهنا يصبح من الأهمية بمكان إعادة النظر في إعلانات التلفزيون من حيث الشكل والمضمون، فالأطفال هم أمل الأمة، وإذا انهارت هذه الثروة فلن نجد مستقبلاً من يحمي هذه الأمة.

وترتفع معدلات مشاهدة الإعلانات التي يتم عرضها قبل وأثناء تقديم المسلسلات وغيرها من الأعمال الدرامية، وقد كشفت لنا العديد من الدراسات أن هذه المسلسلات تتضمن مواقف تمجد الكذب والحقد، وتزين الفساد والشخصيات الشريرة والخيانات الزوجية والخداع والعنف والأنانية والغرور، وعدم احترام الكبير، وكذلك القسوة والوشاية والنميمة والتفرقة العنصرية وغير ذلك من المواقف التي تعكس الأخلاق «الميكافلية»، وأبرز مثال لذلك مسلسل «ميكي ماوس» الذي يبين في الظاهر المواجهة بين الجسد الضخم والجسد الضعيف، ثم ينتصر صاحب الجسد الضعيف، والمعنى الكامن وراء هذا المسلسل هو ان الغلبة تكون للدهاء والمكر والخداع والتآمر.

وهذا يعني أن معظم البرامج التي يتم بثها للأطفال العرب سواء البرامج المدبلجة أو المبثوثة بلغتها الأجنبية والتي تحاصر أطفالنا صباحاً ومساءً تهدد ثقافتنا الأصيلة المتوارثة من أجيال بعيدة مما يوجب علينا أن نحترس وندقق فيما يبث للصغار من برامج، ثم ان علينا أن نبدع ونبتكر برامج تلفزيونية خاصة لأطفالنا، وعلينا أن نعمل عقولنا، ونعد برامج ترسخ الهوية العربية الإسلامية، وتنمي حب الوطن والانتماء له، وتمحو أنماط التفكير الخرافي، وتواجه الأفكار الوافدة والقيم التي تتناقض مع ثقافة مجتمعنا ذلك أنه في ظل النظام العالمي الحالي برزت مسلسلات التلفزيون، وظهرت برامج الاطفال التي تبث من القنوات الفضائية الاجنبية، ولكن شتان بين التربية الأسرية والمدرسية، وما تبثه برامج التلفزيون والقنوات الفضائية، فالأسرة والمدرسة تعملان على دمج ثقافة المجتمع الأصيلة في شخصية الطفل كما تعملان على المحافظة على التراث الاجتماعي والثقافي، وثمة تواصل بين المدرسة والأسرة، أما إعلانات ومسلسلات التلفزيون فهدفها يختلف عن أهداف المؤسسات التربوية.

وتؤكد الشواهد العملية أن طفل اليوم – على غير العادة– يتعرض للعديد من وسائل الإعلام، يأتي التلفزيون في مقدمتها لاسيما بعد القفزة الهائلة التي حدثت في تكنولوجيا الاتصال، وأتت بالعديد من القنوات التي أخذت من الصبية والأطفال معظم أوقات فراغهم، والأطفال يندفعون نحن التلفزيون لاعتماده على الصورة والصوت والحركة، لذلك كان لابد أن نبدع ونبتكر في برامجنا التلفزيونية المحلية الخاصة بأطفالنا، كما لابد أن نعمل على كتابة واخراج مواد تجذب الصغار وترسخ الهوية العربية والعقيدة الإسلامية السمحة، وتنمي حب الوطن والانتماء العربي والإسلامي، وترسخ دور المدرسة والبيت والمؤسسات الثقافية والاجتماعية والاعلامية حماية الأطفال من الثقافات الوافدة، وترسخ الدور الايجابي لهذه المؤسسات.

أبوجهل .. الشخصية والنموذج

د.نبيل فولي

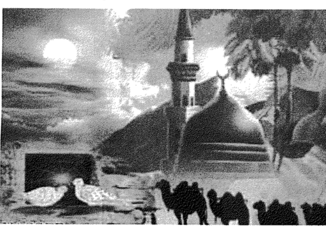
مثّلت شخصية عمرو بن هشام، أبي جهل، وما انتهت إليه حياته، انكسار أعنف النماذج الجاهلية أمام الإسلام، فقد عاش الرجل مع الإسلام نوعا غريبا من التكذيب، فكان يعرف صدق ما جاء به النبي ﷺ ولكنه استكثر على نفسه أن يتبعه، ساقه إلى ذلك كبر الجاهلية المتجذر في نفسه، ووضعُه نفسَه في مقام مَن لا يجوز أن يكون تابعا لأحد، ويبقى متبوعًا سيدًا على الدوام. وقد سمى القرآن هذا الكبر «جحودًا»، وهو أن يعرف الإنسان الحق، ويأبى الاعتراف به واتباعه. فقد روى الحاكم بإسناد صححه، أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئتَ به، فأنزل الله تعالى ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (الأنعام:٣٣). وفي رواية لابن أبي حاتم، قال أبو جهل: والله إني لأعلم أنه لنبيٌّ، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعا؟! وتلا أبو زيد (الراوي) الآية السابقة.

وشبيه بهذا ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم!

لقد كان أبو جهل معجبا بالقرآن، ويراه من طبقة أرفع -بصورة مدهشة- من أفصح كلامهم، على الرغم من أنه بلُغتهم ولسانهم، ويستعمل ألفاظهم نفسها، لكنَّ أبا جهل أبى أن يصرح برأيه في القرآن لأحد جهرًا، فكشفته أعماله وكلماته الخافتة، إذ خرج ليلة مستخفيا من قريش ليستمع إلى النبي ﷺ في داره وهو يقرأ القرآن، فجلس يستمع من الليل حتى أدركه الصبح، وتسلل عائدا إلى داره، فجمعته الطريق برجلين من قريش (أبو سفيان، والأخنس بن شريق) فعلا مثلما فعل من الاستماع للقرآن سرًا، فتعاهد الثلاثة على ألا يعودوا إلى الاستماع إلى القرآن، لكنهم رجعوا في الليلة الثانية، وجمعتهم الطريق، فتعاهدوا ثانية، وفعلوا مثل ذلك في الثالثة، وتلاوموا من جديد، وعزموا على عدم العودة، وراح الأخنس يسأل أبا جهل عن رأيه فيما سمع، فقال أبو جهل: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعَموا فأطعمنا، وحمَلوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رِهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه!

لقد كان سؤال الأخنس بن شريق عن القرآن، فغيّر أبو جهل الحديث إلى التنافس المحتدم منذ الجاهلية بين بني مخزوم وبني عبد مناف، فالقضية التي كانت تشغله هي قضية الشرف والمكانة، وأما القرآن فلا يستطيع أن يقول فيه شيئا يتنقصه به.

والذي لقَّب عمرو بن هشام بـ «أبي جهل» هو رسول الله ﷺ كما يروي ابن حجر، ويرجع ذلك أساسا -فيما يبدو- إلى مواقفه الغريبة في مواجهة الإسلام، واتباعه أعنفَ سبل الجاهلية في تلك المواجهة، وليس إلى ضربه أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- بعنف شديد يوم الهجرة كما هو شائع؛ فهذا الحادث متأخر جدًا.



ومن صفات أبي جهل الجسدية القليلة التي عثرنا عليها، أنه كان خفيف الجسم، سريع الحركة، حاد الصوت، واضح الكلمات، قوي النظر، قويَّ ملامح الوجه، شديدَها.

يقول عنه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «كان رجلا خفيفا، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر».

وقد كان أبو جهل مقاربا لرسول الله ﷺ في السن والميلاد، فيروي ابن هشام في السيرة أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتماس أبي جهل في القتلى يوم بدر، وعرّفه لهم بأثر جرح في ركبته، أصابه عندما دفعه رسول الله ﷺ وهما غلامان، فوقع على ركبتيه، وأصيب بجرح ترك أثرا.

إن المحرك الأساسي لعداوة أبي جهل لرسول الله ﷺ ودعوته هو ميراث التنافس الجاهلي المقيت، والكبر المستكنُّ في نفس هذه الشخصية الغريبة، وقد كان يرى حوله كثيرًا من رجال قريش يطيلون قاماتهم بأعمال مجيدة يقومون بها، فكان ينافسهم ويجري معهم في هذا المضمار، حتى ذُكر كأحد رجال

قريش المعروفين بإطعام الطعام وإكرام الحجيج، وبرز كواحد من شجعان قومه، حتى بلغت به شجاعته درجة التهور الذي أهلكه يوم بدر.

وحين بُعث النبي ﷺ كانت المفاجأة، فهذا الرجل (الصادق الأمين) لم يكن ينافس قومه في هذا النوع من الشرف الذي يتصارعون عليه، فإذا به يخرج عليهم اليوم بما يجعل الكل-إن أطاعوه- أتباعًا له، ويبرز في مجال لا سبيل لأحد منهم إليه، و هذه النبوة نفسها قلبت حب أبي لهب لابن أخيه محمد ﷺ إلى عداوة شديدة.

إن مشكلة أبي جهل، هي أنه كان باحثًا باستمرار عن مجد شخصي، وكان يرى نفسه مؤهَّلا لنيل هذا المجد بمواهبه وشرف آبائه، ويسيل لعابه دائما عند الحديث عن هذا الهدف، فحين اجتمع وفد من سادة قريش، وقدّمهم أبو طالب لرسول الله ﷺ قائلا: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ «يا عمُّ، كلمة واحدة يعطونيها، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم»، فقال أبو جهل: نعم، وأبيك، وعشر كلمات، قال: تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه». فصفقوا بأيديهم اندهاشا وإنكارًا.

العداوة الأقسى

أبو جهل من بين زعماء المشركين في مكة، لم يلن في مواجهة الإسلام إطلاقًا، واختار دائما أقسى الآراء والمواقف لمواجهة الدين الجديد، وهذه بعض الشواهد:

- أبو جهل هو الوحيد الذي قام بمحاولة فردية وبدون تحريض من أحد لقتل النبي ﷺ في فترة الدعوة المكية، فاحتمل بيديه حجرًا ثقيلاً، وواعد الملأ من قريش أن يخلصهم من الرسول، وأقبل على النبي ﷺ وهو ساجد بين الركن اليماني والحجر الأسود، والكعبةُ بينه وبين الشام، ليحطم رأسه، وملأ قريش يراقبون الموقف، وينتظرون النتيجة، ففوجئوا بأبي جهل يرجع إليهم متغير اللون، يملأ الرعبُ قلبَه، قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجرَ من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟! قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه، عرض لي دونه فحل من الإبل، لا، والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قَصَرته (أصل العنق)، ولا أنيابه لفحل قط، فهمَّ بي أن يأكلني.

- تزعّم حصار المسلمين القاسي في شعب أبي طالب، وحين رق قلب أناس من قريش وسعَوا لرفع الحصار، وقف هو في وجوههم، ولم تأخذه بالمسلمين -وفيهم النساء والأطفال- رحمةٌ ولا شفقة، لولا أن الرأي الآخر انتصر، ورُفع الحصار.

- أبو جهل صاحب أسوأ رأي للقضاء على دعوة النبي ﷺ عند الهجرة، حيث قال «أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدًا نسيبا وسيطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارمًا، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجلٍ واحد ...» وهو الرأي الذي حاول المشركون تنفيذه، لكن الله حال بينهم وبين ذلك.

- ضحّى بمروءة الرجل التي كان الجاهليون يحرصون عليها، غيظا من الإسلام ورسوله، فضرب أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- بعنف وقسوة، حين أتى دار أبي بكر يوم الهجرة، فوجد رسول الله ﷺ وصاحبه قد خرجا مهاجرين، بل إنه نال خزيًا أكبر حين تعدى على سمية بنت خياط -رضي الله عنها- في أول الإسلام، فجعل «يطعن بحربته في قبلها حتى قتلها».

- لم تتوقف حربه للإسلام على إيذاء من أسلم، بل تعدته إلى صد من يريد الإيمان عن دين الله تعالى، ففي صحيح البخاري أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله.

- وأما إيذاء أبي جهل لمن آمن فحدِّث ولا حرج، ويكفي أنه خدع أخاه لأمه عياش بن أبي ربيعة حين هاجر إلى المدينة مسلما، حتى رده إلى مكة زاعما أن أمه قد هجرت الدنيا لأجل هجرته. ولما رجع عياش معه فتنه عن دينه، حتى أدركته رحمة الله وهاجر.

لم يكن سقوط أبي جهل سقوطًا لشخص بقدر ما كان سقوطا لنموذج. فكثيرون استعملوا ويستعملون مثل منطقه في معاداة الإسلام، والسعي نحو تدميره، فالحق الذي يبدو في نظرهم أنه سيضعهم في رتبة متأخرة لابد من إنكاره، بل محاربته، لأن تركه حرًا يحمل خطرًا شديدا عليهم.. هكذا تصوروا.

إننا نجد في كل زمن «آباء جهل» كثيرين، منبثين في مشرق ومغرب، يتوارثون المهمة بعضهم من بعض، وخطرهم يأتي من أنهم لا يعادون الإسلام بأشخاصهم وحدهم، بل يتجاوزون ذلك إلى نشر ثقافة العداوة للإسلام، بتزوير حقائق الإسلام، وإثارة النعرات الجاهلية، وحشد القوى المادية والمعنوية في مواجهة الإسلام، وتشجيع من فتر عن عداوته للإسلام كي يستمر في عداوته.. وهكذا!

وهكذا يبدو المعادون للإسلام من نوعية أبي جهل حوائط صد للخير عن قومهم وأهلهم، ولكن الإسلام، إن أحسن أهله فهمه وتمثله في حياتهم، لم تضره عداوة أبي جهل ولا آباء جهل الكثيرين، مهما بلغ مكرهم.

هناك الكثير من « آباء جهل » في المشرق والمغرب مهمتهم تنحصر في نشر ثقافة العداوة والكراهية للإسلام وإثارة النعرات الجاهلية

المراجع

- البداية والنهاية لابن كثير.
- تاريخ الطبري.
- تفسير القرطبي.
- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- سيرة ابن هشام.
- معجم البلدان لياقوت الحموي.

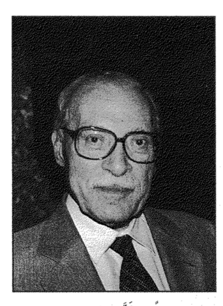
الطبيب والشاعر والمفكر د. حسان حتحوت في حوار صريح مع «الوعي الإسلامي» قبيل وفاته:

لابد من إحياء «الفكرة» في وقت «السكرة»

محمود خليل

الحوار مع الداعية الكبير د. حسان حتحوت له خصوصيته، نظرا لما يمتاز به الرجل من تجربة واسعة ورؤية عميقة ثاقبة، واستشراف جيد للمستقبل.

ولتعدد القضايا التي تطرح نفسها في هذا الاشتباك الحضاري بيننا وبين الآخرين، كان لـ «الوعي الإسلامي» معه هذا اللقاء - قبيل وفاته- في كاليفورنيا الأميركية باعتباره شاهدا عريقا على مسيرة الحركة الإسلامية المعاصرة وداعية متفرغا في الولايات المتحدة الأميركية كرئيس للمركز الإسلامي هناك.



■ **لماذا جاء اختياركم للاستقرار في المجتمع الأميركي، ليكون خاتمة المطاف لرحلة العمر الخصيبة؟**

- عشت نحو نصف حياتي في مصر، وكانت آخر وظائفي بها أستاذا للنساء والتوليد بكلية الطب جامعة اسيوط، ثم حدث ما دفعني دفعا الى الخروج من مصر، والاستجابة لدعوة حكومة الكويت للانتقال اليها، وعشت بها من عام ١٩٦٦م الى عام ١٩٨٨م، حيث ساهمت في انشاء كلية الطب بها، وكنت الاستاذ المؤسس لقسم التوليد وأمراض النساء، وكان معي الإسلام في كل مراحل حياتي، لأن الذي يحمل الإسلام يستطيع أن يعيش به وأن يتخلق به في كل مجال.

■ **من خلال أسفاركم العلمية والدعوية العديدة، نحب أن نقرأ معكم الصورة المعاصرة للدعوة الإسلامية داخل أميركا مع إلقاء الضوء على الصورة المستقبلية؟**

- لاحظت من خلال أسفاري العلمية والدعوية - خاصة أميركا - أن معرفة القوم بالاسلام معرفة مغلوطة جداً، وصورتهم عنه شوهاء، فأخذت أقلب الفكر لماذا لا أخصص شريحة من عمري، أقف فيها جهدي على تعليم الناس ما هو الإسلام؟ فاستقلت من عملي بالكويت، وودعوني مشكورين، بالكلام الطيب عن القلب الطيب، وذهبت الى أميركا عام ١٩٨٨م وكان في ذهني أنني محتاج الى تعليم غير المسلمين، ما هو الإسلام؟ فإذا بي أيضا أكتشف أن المسلمين ليسوا أقل حاجة الى تعلم الإسلام من غير المسلمين.

رحلتي مع القرآن

■ **ارتباط الداعية بكتاب الله تعالى كشرعة وشريعة وتشريع، كيف تنظرون اليه في ظل إشكاليات العمل الدعوي مع المجتمع الغربي بثوابته ومتغيراته الهائلة؟**

- رحلتي مع القرآن رحلة عمر، وقد توثقت صلتي به منذ طفولتي الباكرة والناس حيال القرآن درجات ومستويات، فهو رسالة وخطاب، أوصلها جبريل عليه السلام الى محمد ﷺ، ثم أوصلها محمد ﷺ الى العالمين، ومن ثم فهو رسالة وردت الى كل مسلم، لا بد أن يفهم محتواها ومغزاها، وإلا انتفت اهليته للمخاطبة.

وتخيل انك قد جاءتك رسالة من مرسل، ثم لم تعرف ماذا يريد أن يقول لك، ولله المثل الأعلى، وكوننا بليون ونصف بليون مسلم، لا يعني أن نصيبي من القرآن يمثل واحدا على بليون ونصف، إنما هو رسالة خاصة الى كل مسلم، فضلاً عن أنَّ تلاوته عبادة، واستماعه عبادة، وتدبره من أرقى العبادات، واذا كان الكثير من المسلمين مازالوا محجوبين عن هذا حتى الآن، فإننا في المجتمعات الغربية، نبسط معهم قضايا القرآن، من حيث الفهم والتدبر ثم المطالبة بالعمل، بعد بسط القضايا على طاولة البحث العقلي والعلمي الحر، ومن عجائب هذا الكتاب أنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، فنحن لا نعرض عليهم القرآن بقدر ما نعرضهم على القرآن، لأنه الميزان الوحيد المعصوم والباقي لتصحيح المسيرة الانسانية الى يوم القيامة، والنبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب سيظل الكتاب الذي أنزله الله عليه هو ميزان الحق الى قيام الساعة وتلك معجزة المعجزات، مهما بلغت الحضارات المعاصرة من زهو وزخرف، فسوف تظل منحنية ساجدة أمام القرآن.

■ **ومن وراء تكريس وترسيخ هذه الصورة الشوهاء عن الإسلام والمسلمين في أذهان الغرب؟**

- هذه الصورة التي تشكو، وأشكو، ويشكو

كل منصف عاقل منها، وراءها ولا شك «الإعلام الصهيوني» الخبيث، وهو إعلام عنصري بغيض، ولكنه يعمل باستراتيجية عالمية منظمة، تخدمه مؤسسات المال ودوائر السياسة والفنون، ولكن من الإنصاف أيضا أن نقول أننا شركاء أصلا في هذه الصورة الشائهة، لأننا نسهم بأنفسنا في رسم جزء كبير منها، وإن لم نسهم في رسمها بالكامل، ولأن قراءة الموقف بصورة متزنة لا بد أن تستدعينا الى أن نقرأ ما عندنا أولا، ولأن اليهود ليسوا من النجاح المطلق في كل شيء، فهم بذواتهم مكروهون في كل مكان يعيشون فيه، سيما أميركا والأوساط الغربية.

ولعله ليس ببعيد عنا ما قرأناه على لسان «جاك شيراك» حين كان عمدة باريس من قبل، حيث قال بالحرف الواحد: إننا جميعا كسياسيين لا نحب اليهود، غير أننا لا نجرؤ على قول ذلك، خوفا من نفوذهم السياسي والاعلامي، وقد نشرت الـ «واشنطون تايمز» موضوعات مطولة من الشكوى المرة بإدارة «كلينتون» من تزايد النفوذ اليهودي وبيان اخطاره وأضراره على المجتمع الأميركي، كذلك فإن سويسرا والنمسا تئنان من الابتزاز اليهودي الزائف باسم «المحارق النازية» التي نفخ اليهود فيها من ريح إعلامهم السموم.. كل ذلك يجعلنا نؤمن أن تصحيح الصورة ليس من الاستحالة في شيء.

فلسطين بين العروبة والإسلام

■ **يأخذنا هذا الى شهادتكم الواجبة، لقراءة الواقع اليهودي في فلسطين، باعتباركم أحد المجاهدين الأوائل في فلسطين عام ١٩٤٨، وأمامكم الصورة بين الأمس واليوم.**

- عندما ذهبت الى فلسطين عام ١٩٤٨، كنت ذاهبا بمشاعر وعواطف المجاهدين، ولكن في يوم من الأيام، جاءتنا رسالة ونحن بمدينة «الرملة»: إذا سلمتم أمناكم على حياتكم، وإذا لم تسلموا فعلنا بكم كما فعلنا في «دير ياسين».

ورفضنا الإنذار، وبدأ الهجوم اليهودي، وكان هناك حصار حول «اللد» و«الرملة»، ولأول مرة أوضع في التجربة، حيث كنت طبيبا حديث التخرج بمستشفى الرملة، وجرح عدد من اليهود وحملوا الى المستشفى كأسرى، وجاء الناس ليقتلوهم، فوقفت على سلم المستشفى وقلت: على جثتي!! أنا مسلم! وفي شأن الأسرى يقول الإسلام كذا وكذا، وكانت هذه تجربة عملية وضعتني امام اختياراتي، ولعل مثل هذه التجربة بعينها هي التي ادخلت «رجاء جارودي» في الإسلام.

كانت هذه مقدمة، لقراءة الصورة الحزبية الموجعة. خمسون عاماً من عمرنا ضاعت، ويا ليتها ما بدأت، وكانت آمالنا أمامنا وكان في الوسع ألا تقوم «إسرائيل»، لو ظلت ثورة فلسطين من الداخل، وسواعد المجاهدين من مصر وسوريا والأردن والعراق ولبنان، وبدلا من ارسال الجيوش المهزومة قبل إرسالها، ثم انهزمت امام العصابات الصهيونية، ثم خانت بسحب سلاح المجاهدين المسلمين واعتقالهم، لو لم يحدث هذا، لقضي الأمر.

قرأت حديثا في كتاب لكارتر اسمه «Keeping the face» يقول فيه: عندما توليت الرئاسة وأنا متدين، فكرت في إحلال السلام في بلد المسيح، ثم أرسلت مندوبي الى الجهتين، إسرائيل والبلاد العربية، فاذا كل البلاد العربية تقول: اتحاد فيدرالي «نعم»، دولة فلسطينية مستقلة «لا»!!

قال كارتر ذلك، ولم يتصد أحد لتكذيبه على الإطلاق.

«الفكرة» و«السكرة»

الآن في أميركا وإسرائيل، يديرهما رأس مال يهودي واحد، وهو أغلب رأس المال الأميركي، وقد زادت سطوته في محاولاته الآن لشراء مقدرات بلادنا.

ولكن قضية «صراع الحضارات» ووراءها هنتنجتون، قد ماتت وقبرت، والكل هنا بأميركا يسفهها علميا وعمليا، و«العولمة» هي كلمة مستعارة «للأمركة».

والعولمة مهما كانت سطوتها، لن تذوب الشعوب التي تحتفظ بمقدسات وتحميها عقائد. ولن يقر لاسرائيل قرار أبدا، سواء بفرضها بالشرق أوسطية أو بالعولمة، طالما بيننا من يقول لا، ويثبت عليها مهما كانت العواقب.

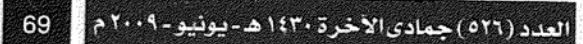
لابد من إحياء «الفكرة» في وقت «السكرة»، وأنا أعتقد أن القضية لا تقاس بمقياس العقود من الزمان، ولكن على مدى زمني اطول، إن أمتنا ستشهد بعثا جديدا، وان الحضارة الغربية ستتقن تشخيص الجراثيم الكامنة في جسدها، ولن تجد علاجها الا في منظومة القيم الإسلامية.

■ **هل ترى أن المسلمين مؤهلون لميراث حضاري ما في عصرنا هذا؟!**

- للأسف، المسلمون الآن لا يمثلون حضارتهم، ولا يقدمون صورة مشرفة لدينهم، وقرآننا ينادينا ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران: ١١٠)، فإن هذه الخيرية على مستوى العالم وعلى مستوى الدول، يا للقرآن من كتاب لو كان معه رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ولكننا لا نحب القفز على القطار من أية «محطة»!

محطات مضيئة في حياة د.حسان حتحوت

- فقدت الأمة الإسلامية الطبيب الإنسان د.حسان حتحوت بعد صراع طويل مع المرض، مساء السبت ٢٠٠٩/٤/٢٥م عن عمر يناهز ٨٤ عاما، وذلك بولاية كاليفورنيا الأميركية.
- كان - يرحمه الله- نموذجاً للداعية صاحب الفكر الراقي والأدب الجم والخلق الرفيع والجرأة في الحق والتضحية في سبيل الله، ولا يفوتنا ذكر موقفه الرائع في تركه للعمل بدولة الكويت وذهابه للدعوة في أميركا، حيث قدم الفقيد العزيز النموذج والقدوة سلوكاً وعملاً بين أفراد المجتمع الأميركي، مما دفع الى التغيير التدريجي في تعامل الأميركيين مع المسلمين.
- ولد الفقيد في مدينة شبين الكوم بمحافظة المنوفية بمصر، وذلك في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤م، وقد نشأ في بيت تحركه المشاعر الوطنية.
- استقر د.حسان في الكويت قرابة عشرين سنة، طبيباً ومدرساً، ورئيس قسم أمراض النساء والولادة بكلية الطب بها.
- نجح الفقيد في عقد تحالفات مع تنظيمات اجتماعية مختلفة، ونجح أيضاً د.حسان ورفاقه في حمل الإدارة الأميركية على الاعتذار في وسائل الإعلام المختلفة عن إهانة وجهت للمسلمين والإسلام باعتبارهم «إرهابيين» وبصورة خاصة اعتذارا لمسلمي أميركا.
- كان ثمرة من ثمرات هذا الجهد المبارك أن قام التحالف الإسلامي بإقامة شعائر صلاة العيد (عيد الفطر لعام ١٩٩٩م) في حديقة البيت الأبيض الأميركي بحضور زوجة الرئيس الأميركي كلينتون وابنته، حيث تدرس الابنة الدين الإسلامي.



تطبيق الشريعة

في أوائل السبعينيات، وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م، أخذت الدعوة إلى العودة لمناهج الإسلام في الحياة والعمل والسلوك تسلك طرقا مباشرة، بوصفها المنقذ من الهزيمة من ناحية، والأمل في بناء مجتمعات إسلامية تقوم على العدل والتفوق والانطلاق إلى مشاركة العالم في بناء الحضارة الإنسانية من ناحية أخرى، وقد لقيت الدعوة- وما زالت- استجابة طيبة في أرجاء البلاد الإسلامية كافة على مستوى الشعوب والحكومات. وكان من مظاهر هذه الاستجابة استعادة بعض الدساتير لمادة الشريعة الإسلامية بوصفها أساس التشريع ودين الدولة الرسمي، وكانت هناك بدايات النظام المصرفي الإسلامي للابتعاد عن التعاملات الربوية. ثم كان ارتداء الحجاب من جانب عدد لا بأس به من النساء، مع محاولات تغيير السلوك الاجتماعي بما يتفق مع روح الإسلام بظهور موائد الرحمن والتكافل الاجتماعي وتيسير العلاج للفقراء في مستوصفات شعبية تلحق بالمساجد، ومساعدة الطلاب بدروس التقوية المجانية في المساجد أيضا، والإعلان عن تلقى الزكوات في لجان يشكلها متطوعون، وإقامة الصلوات في المصالح الحكومية والشركات والمؤسسات، وصار مألوفا الاستماع إلى الأذان في مواقيته أينما كان الإنسان، ولعله كان من الجديد آنئذ أن يُبث الأذان من أجهزة الدعاية المرئية والمسموعة، حتى تلك القنوات والمحطات التي تبدو موجهة لغير المسلمين، كانت تعلن بإشارة ما عن حلول موعد الصلاة، كما كانت هناك مؤتمرات حول تقنين الشريعة، أو إخضاع القوانين الوضعية للشريعة الإسلامية، وتنقيتها من المواد التي تتعارض معها.

وفى حرب رمضان ١٣٩٣هـ - أكتوبر ١٩٧٣م سطع التعبير عن الروح الإسلامية في أثناء القتال الذي أنهى الأثر الحارق لهزيمة ١٩٦٧م، وتحرك الجنود بوحي الإيمان، وبدلاً من الهتاف الذي كانوا يتدربون عليه في أثناء الهجوم بإخراج صيحة (هه!)، صارت الصيحة «الله أكبر» قوية وعاصفة وقاهرة وتلقائية.

كان تطبيق الشريعة، أو الدعوة إليه، وسيلة من وسائل «استعادة الهوّية»، فقد عاش العرب والمسلمون مرحلة صعبة منذ ألغيت الخلافة الإسلامية وانهارت دولتهم الكبرى التي كانت تربطهم برباط ما، على الأقل من الناحية الشكلية، وصاروا نهباً لأفكار ونظريات قومية ومحلية تعزف على أوتار العصبية والإقليمية والطائفية والعرقية والمذهبية، ويغذيها المستعمرون والطامعون، فتحقق الانقسام والتمزّق والتشرذم وسقطت فلسطين فريسة بأيدي الصهاينة الغزاة، وامتلأت أرجاء العالم العربي والإسلامي بالانقلابات العسكرية والفكرية والاقتصادية، وكان الضحية الأولى في كل ذلك هو الإسلام الذي كان- وربما ما زال- يشار إليه بالرجعية والجمود والتخلف، من جانب النخب الثقافية التي تشكلت على أعين الغزاة، ووجدت الرعاية والاهتمام من جانبهم، وصعد أفرادها إلى سدّة التوجيه وصناعة الأفكار!



جاء تطبيق الشريعة، أو الدعوة إليه، ليحدث صدْعاً في البناء الفكري السائد في الساحة العربية والإسلامية، ويخاطب الروح المسروقة من جانب وسائل الدعاية التي يقودها - ولما يزل - نخب متغرّبة متشبعة بتصوّرات غربية معادية لكل ما هو إسلامي وإنساني في غالب الأحيان!



د.حلمي محمد القاعود

بيد أن النخب الثقافية المتغربة لم تستسلم، وراحت تواجه الصدع الذي أصابها بوسائل شتى وتستعين في ذلك بالتحالف مع الغزاة السابقين أو الحاليين أو الطامعين في ثروات العرب والمسلمين من أصحاب الفلسفات المادية والاستعمارية التي أزعجها التوجه نحو الشريعة الإسلامية فكراً وتطبيقاً.

وكانت بداية المقاومة لتطبيق الشريعة في التركيز على جانب «الحدود» وهى العقوبات التي تنزل بالمجرمين أو المخالفين للنظام الاجتماعي الإسلامي، ورأى هؤلاء أن إعدام القاتل وجلد الزاني وقطع يد السارق وتعزير المنحرف... يتنافى مع الإنسانية، ويعدّ وحشية غير



مقبولة. وأذكر أن كاتباً شهيراً، كان يملأ نحو صفحة أسبوعيا في جريدة كبرى شهيرة وصف الدعوة إلى تطبيق الشريعة بأنها دعوة إلى حكم الساطور وهو السكين العريضة التي يستخدمها الجزارون (القصابون) في تقطيع الذبيحة، وخاصة الأجزاء الصلبة مثل العظام التي يصعب تقطيعها بالسكين العادية!

وللأسف، فإن بعض الدعاة أعطى الفرصة للنخب الثقافية المعادية بتركيزه أيضا على مسألة «الحدود» مما ألقى في روع الناس أن تطبيق الشريعة الإسلامية يعني قطع الرقاب والأيدي والأرجل! ولو تأمل القوم في مفهوم تطبيق الشريعة لعلموا أن مسألة الحدود لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من الشريعة (أقل من ٥ في المائة)، ولا تطبق إلا على المجرمين والمنحرفين، وهم أقلية قليلة بطبيعة الحال، وعقابهم يحفظ بقية المجتمع من التعرض للفساد وضياع الحقوق، وإهدار الدماء بغير حق.

الشريعة حياة كاملة في العبادات والمعاملات والتربية والأحوال الشخصية والعلاقات الاجتماعية والدولية والسلوك الإنساني والعمل الإنتاجي فضلا عن العقيدة والتوحيد أو الإيمان في جانبيه الروحي والعملي.

الشريعة حياة كاملة في العبادات والمعاملات والتربية والأحوال الشخصية والعلاقات الاجتماعية والدولية

لقد أخذت الدول الاستعمارية من تطبيق الشريعة أو الدعوة إليها ذريعة لإشعال نيران الفتن والانقسامات داخل الأوطان والشعوب الإسلامية، وذلك بإثارة الطوائف غير المسلمة للتمرد على الأغلبية المسلمة، واتخذ هذا التمرد أشكالاً مسلحة أو عنيفة، فضلاً عن النفخ فيه إعلامياً وثقافياً عبر وسائل الإعلام الغربية واسعة الانتشار، مع قلب الحقائق وتشويه المفاهيم الإسلامية والتركيز على المناطق الشائكة والقضايا الخلافية وصب المزيد من الزيت على النار، وهو ما نرى آثاره اليوم في أكثر من بلد عربي وإسلامي حتى راجت مقولة لدى كثير من المسلمين فحواها أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو سبب مصائب المسلمين ومشكلاتهم، لدرجة أن بعض الجهات صارت لا تذكر الإسلام ولا تشير إليه في بياناتها أو خطاباتها إلا مقروناً بما هو غير طيب، وغير مفيد! ولعل العقود الأربعة التي مضت تؤكد على النقاط الآتية:

- أن الشعوب الإسلامية لا ترضى بغير الإسلام بديلاً مهما كانت المقاومة لتطبيق الشريعة ضارية ووحشية وصاخبة.
- أن مفهوم تطبيق الشريعة يجب ألا يقتصر على الدعوة إلى تطبيق الحدود، فهذه مسألة جزئية يجب تجاوزها إلى المفهوم الكلى الشامل بتطبيق المفاهيم الإسلامية في التربية والتعليم والثقافة والعلاقات والسلوك والاقتصاد والتجارة والعمل والإنتاج...الخ.
- تطبيق الشريعة يبدأ من القاعدة قبل القمة.. صحيح أن السلطة تستطيع أن تقوم بدور كبير في هذا السياق ولكنه يظل دوراً سطحياً، ما لم تكن القاعدة مهيأة له، مستعدة لتنفيذه وحمايته والدفاع عنه، وتلك مهمة الدعاة وأصحاب الرأي والفكر وقادة الثقافة الإسلامية.
- ينبغي أن يظل مفهوماً أن خصوم الإسلام لن يتسامحوا مع الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية،أو التصوّر الإسلامي عموماً، لأنه يعنى أن يستقل المسلمون بأنفسهم، ويستغنوا عن غيرهم، ويحافظوا على ميراثهم الحضاري وثرواتهم الاقتصادية مما يفرض التنبه لأساليب الخصوم في المقاومة والتحريض والتشويه وتفويت الفرصة عليهم.
- هناك تجارب ناجحة في بعض الدول الإسلامية حيث يتحرك الدعاة مع الشعوب وفق سياسة النفس الطويل وفرض نجاحهم على الآخرين، مما يوجب الاستفادة من هذه التجارب وتطويعها وفقا لظروف كل بلد.

والله من وراء القصد.

العلامة ولد عدود في ذمة الله



فقدت الأمة الإسلامية يوم الأربعاء 2009/4/29 العالم الموريتاني البارز الشيخ محمد سالم محمد علي عدود عن عمر ناهز الثمانين عاماً، كان كله عطاء وعلماً وعملا... ويعتبر الشيخ محمد سالم المولود عام ١٩٢٩م من أبرز العلماء الموريتانيين حيث عرف بموسوعيته الفقهية واللغوية.

وينحدر الشيخ من أسرة علمية مشهورة ببلاد شنقيط تعرف بـ «آل عدود»، وقد درس العلامة على والده العالم الجليل محمد علي عدود العلوم اللغوية والشرعية الى ان أصبح أستاذا في محظرة العائلة، بعدها انخرط في مهنة التدريس في المعهد النظامي في «أبي تلميت» ثم ابتعث العلامة في أوائل الستينات إلى تونس ضمن مجموعة من القضاة الشرعيين للتدريب، وتخرج بشهادة اللصانص عام ١٩٦٥م، التحق بسلك القضاة وتدرج في سلمه حتى عين على رأس المحكمة العليا عام ١٩٨٨ بعدها عين وزيراً للثقافة حتى سنة ١٩٩١م

عمل العلامة استاذا في جامعة نواكشوط والمعهد العالي وترأس المجلس الإسلامي الأعلى الموريتاني، وقد كان عضوا في منظمات اسلامية عدة مثل رابطة العالم الإسلامي ومجمع بحوث الحضارة الإسلامية والمجمع الفقهي، والمجلس الأعلى للأزهر والأكاديمية المغربية... الخ

شارك الفقيد في الكثير من المؤتمرات والندوات ممثلا لبلاده وقد زار الكويت للمشاركة في مؤتمر الأئمة والخطباء عام ٢٠٠٤ وعقد ندوات عدة ومحاضرات، له العديد من المؤلفات في شتى العلوم، منها نظم في العقيدة الاسلامية على طريقة السلف- نظم مختصر خليل في الفقه المالكي- نظم مصطلحات تبصرة الأحكام لابن فرحون- نظم العمدة لابن قدامة الحنبلي- له ديوان شعر ضخم لم يطبع بعد.

أسرة التحرير آلمها المصاب الجلل سائلين الله أن يرحمه ويعفو عنه إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد قال الشيخ قصيدة في الكويت

إن الذين عتهم الصحراء
عرب عتهم قبلها صنعاء
منها ابن بَيَّ خطيبها وفقيهها
فلشهد الخطباء والفقهاء
والأهدلون لهم أسانيد الهدى
ولهم هنا الإنشاد والإنشاء
فنشاء ما شاؤوا ونمضي تحت ما
كتبوا وحسبك من رضى إمضاء
ونقول للبلد المضيف لحشدنا
ما قاله من قبلنا الخطباء
فهو الأمين على حضارتنا كم
هو للتراث النثرة الحصداء
صرح وثغر للرباط محصن
تندق فيه الصعدة السمراء

وبهذه الفاجعة الأليمة ولتناسب الحدث مع ما تجود به قرائح أولي الألسن يكون مسك الختام بهذه الرثائية للعلامة أبومئة محمد سعيد وهي بعنوان:

(تضعضع ركن الدين)

تضعضع ركن الدين وانهد قائمه

فقد مات راعيه الأمين وعالمه

فعاش بنوه في حداد ومأتم

فقد طمست أعلامه ومعالمه

تولى عن الدنيا محمد سالم

إلى جنة الفردوس فالله راحمه

فها كل عين تسكب الدمع عنْدما

وكل فؤاد دائب الحزن دائمه

به الحق يسمو في علو ورفعة

وما باطل إلا وتترى هزائمه

فمشرعة للذب عنه رماحه

ومسلولة للذب عنه صوارمه

أحق لنا حقا وأبطل باطلا

وأنصف مظلوماً يجور مخاصمه

وإن ندّ واستعصى من العلم شارد

فما في البرايا من نظير يزاحمه

وإن بحثوا فقه الهدى فهو مالك

أزمة الاستنباط فيه وخاتمه

وإن خاض في يوم من العلم لجة

فمستخرج در العلوم وناظمه

ففي كل علم كان صدراً مبرزاً

على رأسه تيجانه وعمائمه

فكان لنا الطرف المضمر عندما

تنوب من الهول الكبير عظائمه

فكم قام في جوف الدجا متهجداً

شكوراً إذا ما نام بالليل نائمه

فيدهشنا من ذاك ما هو ظاهر

ولم يدر إلا الله ما هو كاتمه

وكم حمد الجيران طول جواره

وكم ثم حيزت للفقير غنائمه

وكم فاز أبناء السبيل بنيله

وإن أقبل المعتر يلقاه حاتمه

فلو كان يفدى فالنفوس فداؤه

ومبذولة من كل مال كرائمه

ولكنها الأقدار تجري بسنة

وما أحد ريب المنون يسالمه

فيا رب فاجعل جنة الخلد نزله

يفوز برحمى لا تزال تلازمه

وما مات من أبقى كراما وسادة

تجمع فيهم علمه ومكارمه

فوفقهم يا رب واحب جميعهم

من العز والتمكين ما هو رائمه

وصلى على المختار أفضل مرسل

صلاة مع التسليم من هو عاصمه



دعوة إلى ترك الجفاء

عمر سالم المطوع

يتعرض الكثير منا في حياته اليومية إلى بعض أجواء الحوار والنقاش الحاد التي تسبب اصابات خطيرة على: سلامة الصدر، صفاء العلاقات الأخوية، حسن الظن، حسن الخلق... وغيرها من الأخلاق الكريمة والصفات الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها الدعاة إلى الله. وكذلك نجد من يجفو ويهجر من له الفضل في هدايته وتربيته وصلاح أمره، ونجد الآخر يجفو اخوانه وأقرانه في الدعوة إلى الله الذين طالما جلس معهم فافادوه وأفادهم، واذا سألته ما هذا الجفاء؟ رد عليك قائلا: الاخوة لا يقدرون.. أمضيت سنين في الدعوة ولا أحد يبادر معي.. إلى غيرها من الردود التي قد تصدر منا ويغلب عليها في كثير من الأحيان انتصار لأنفسنا وموافقة لطبائعنا.

فمن الجميل أن يبدي الواحد منا وجهة نظره ورأيه في جلسات الحوار والمناقشة ولكن الأجمل من ذلك ان تكون له القدرة على ضبط انفعالاته في حالة النقاش، وأن يتحلى بحسن الخلق وحسن الظن باخوانه في الله، وألا يتجاوز حوارنا إلى حد الخصومة والجفاء الذي نهينا عنه شرعاً، فالألفة والتآلف والتآخي في الله من ثمار حسن الخلق، فقد قال النبي ﷺ «المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (رواه ابن حبان).

وإليك أخي الكريم واختي الكريمة بعض الوسائل التي تساعدك في التغلب على الجفاء الذي قد يصيب علاقتنا الاخوية.

المناصحة والمصارحة

مصارحة اخوانك الذين تجد جفوة بينك وبينهم بالتصرفات التي تصدر منهم وتضايقك، واحرص أن تكون المصارحة والمناصحة خالصة لوجه الله تعالى وفي اطار أدب النصيحة، وأن تكون بأسلوب لطيف وفي وقت مناسب، واعلم أن ما نقوم به من النصيحة هو الطريق الصحيح الذي يجنبنا أجواء البغض والشحناء، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» (متفق عليه) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً.

العفو.. العفو

يا ليتنا نقرأ السيرة العطرة ونرى كم لاقى النبي ﷺ من إيذاء في نفسه وأهله وأصحابه من قبل قريش، وبعد هذا يصفح عنهم وهو في قمة انتصاره، فأسأل الله أن يجملنا بأخلاق النبوة.. لما فتح النبي ﷺ مكة سنة ثمان من الهجرة قال لقريش «ما ترون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فالعفو عن الزلات والهفوات من صفات إخوان الصدق، وما أجمل ما قاله الإمام أبوحامد الغزالي رحمه الله «وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية، أو في حقك بتقصيره في الأخوة، أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقوم عوده ويجمع شمله ويعيده إلى الصلاح والورع، أما تقصيره في حقك فالأولى العفو والاحتمال، فقد قيل ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك

فتقول لقلبك: ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك»، يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

ولما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحت نفسي من هم العداوات

اختلاف الطبائع

يجب أن نعلم ان الناس أجناس وطبائع وأخلاق فتجد بعضهم طبيعته الشدة في التعامل والآخر كثير الكلام قليل العمل وغيرها من أصناف الناس التي قد نتعامل معهم، فلقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب» (سنن أبي داود) لذا يجب عليك أن تكون حذقاً فطنا تعرف التعامل معهم جميعاً وتكون محبوباً بينهم حتى تؤثر فيهم بما تحمله من خير، وإياك والمداهنة، وإن لم تصبر في تعاملك معهم فلا تقصر في حقوق الأخوة، ولا تنس طلاقة الوجه، وما أجمل ما تمثل به الشعراء في ذلك:

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم
لا يستوون كما لا يستوي الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته
وذاك ليس له طعم ولا ثمر

❖❖❖❖❖

الناس كالأرض ومنها هُمُ
فمن خشن الطبع ومن ليّن
فجندل تدمى به أرجل
وإثمد يُوضع في الأعين

التربية الإيمانية ورقي الإحساس

علينا أن نربي أنفسنا التربية الإيمانية التي تجعلنا ذوي إحساس راق نستشعر أثره في التعامل مع ما قاله الله عز وجل وما قاله النبي ﷺ، فلقد قال الله تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات:١٠) وقال الله عز وجل في الحديث القدسي «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» (رواه الترمذي) وقال النبي ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم)، وقال في الحديث الآخر «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (رواه مسلم)، والآيات والأحاديث وأقوال الصالحين في ذلك كثيرة ولكن تريد من يتلقى للتنفيذ.

الدعاء بظهر الغيب

أن ندعو لاخواننا بظهر الغيب، وندعو لهم بالتوفيق والصلاح بدوام نعمة التآخي في الله وبما نحبه لأنفسنا، ودعاؤك أخي الحبيب لأخيك بظهر الغيب يؤكد محبتك الصادقة لأخيك واعلم أن الدعاء بظهر الغيب من أسرع الدعوات إجابة قال ﷺ «أسرع الدعاء اجابة دعاء غائب لغائب» (ضعيف الأدب المفرد)

وفي الختام هي دعوة إلى ترك الجفاء والشحناء مع إخواننا وأحبابنا وما أجمل ما قاله الشافعي رحمه الله:

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة
فلا خير في خلٍ يجيء تكلفا
ولا خير في خلٍ يخون خليله
ويلقاه من بعد المودة بالجفا

من الجميل ابداء الرأي بحرية.. ولكن الأجمل ضبط الانفعالات في النقاش





انفلونزا القلوب أشد فتكا

د. يحيى إسماعيل

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ (المؤمنون: ٧٦) ما كان الله ليدع الظالم ينعم بظلمه كثيرا، أو يمهل الباغي في بغيه على الزمان بكرة وأصيلا. فما إن يظن كل ظالم أنه نجح في مغالبة الأقدار ومعاندة الحقائق حتى ينذره الله بسوء العاقبة قبل أن يستأصل ويستحصد ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب...﴾ (آل عمران: ١٧٩).

لا يكاد يمر على أهل الأرض يوم بغير نازلة آخذة، أو فاجعة في البر أو البحر حاصدة، أو كارثة لأشد منها ممهدة، وذلك من جراء ما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا، ففساد قلوب الناس وعقائدهم وأعمالهم يوقع الفساد في الأرض لا محالة، ويملؤها برا وبحرا بهذا الفساد، ويجعله مسيطرا على أقدارها، غالبا عليها، لا يتم ذلك عبثا، ولا يقع في الكون مصادفة، إنما هو من تدبير الله جل جلاله وسننه (ليذيقهم بعض الذي عملوا) من الشر والفساد، حينما يكتوون بناره، ويتألمون لما يصيبهم منه ﴿لعلهم يرجعون﴾ فيعزمون على مقاومة الفساد، ويرجعون إلى الله وإلى العمل الصالح والمنهج القويم. ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم: ٤١).

وإن في لزوم داء الصمت أمام مظاهر الفساد ومعالم الإفساد إيذان بطول أجل الانحراف في الحياة وفي الأحياء، ومنهم المظلومون، حتى يحل بالجميع العذاب الأليم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة، وتلك سنة من سننه جل جلاله الماضية في خلقه ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ (الإسراء: ١٦) فإرادة الله تعالى قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسننا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج، فتنفذ إرادة الله وتتحقق كلمته ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ (الأنعام: ١١٥) ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (الإسراء: ٧) قاعدة لا تتغير لا في الدنيا ولا في الآخرة، قاعدة تجعل من عمل الإنسان قدرا مقدورا للنتائج المترتبة عليها.

إن الله تعالى يأمر بالطاعة فيعمل المترفون بالمعصية، ويأمر بالحق فيسير المترفون في الناس بالباطل لأنهم مترفون، لا يعرفون للحق حرمة، ويأمرهم بالعدل فيمشون في الحياة بالظلم لأنهم مترفون لم يألفوا الإنكار أو يعرفوا على باطلهم الاستهجان من العامة، التي أسلمت لها قيادها، وهابوهم أن يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فحق عليهم جميعا القول فدمروا تدميرا. يقول ﷺ «إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم فقد تودع منهم» (مسند أحمد) وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها «... أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا ظهر الخبث» (سنن الترمذي) فوجود المترفين الناعمين الذين ترهلت بالدعة والفحشاء قلوبهم، وأسنت بالرفاهية نفوسهم هو في ذاته السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت العامة عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهاوية. فوجود هؤلاء في ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت في طريق الانحلال، وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا، فإن الإرادة الإلهية هنا ليست إرادة التوجيه القهري، ولكنها إرادة استقامة النتائج على وفق المقدمات..

وما أكثر صور الهلاك عند انتشار الخبث!

فمن الفيروسات المتلمظة، إلى الإيدز الماحق، والأوبئة اللاهثة. ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (العنكبوت: ٤٠).

ثم يأتي الوباء المقزز في طيه ونشره- أنفلونزا الخنازير المركبة- وكأن البشرية هانت على ربها جل جلاله الذي بارزته بكل أنواع البوائق في البر والبحر- المترفون بترفهم والجائعون بصمتهم- فسلط الله أخيرا على الجميع وأنزل بهم ما لم يكن منه جل جلاله في الظالمين المجرمين المتجبرين من قبل، أمثال فرعون

وجنوده، فلم يعذبهم بمثل ما عذب به دول حضارات القرن الواحد والعشرين ونظمه التي استباحت الحرمات بأقبح الصور، وطاردت المكارم بأقبح الوسائل، وحاصرت وأجاعت المغلوبين، وأحرقت المستضعفين، وطاردت الآمنين.

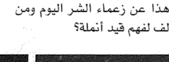
إن فرعون على جرائمه لم يبلغ في قبائحه ما بلغه أدعياء حقوق الإنسان اليوم الذين استباحوا كل محرم في المخدوعين، وانتهكوا كل مقدس من دماء وشرائع وأعراض الغافلين، لقد كان فرعون في جرائمه واضحا ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (القصص:٤) فعوقب وقومه أولا بما قاله الله فيهم ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (الأعراف: ١٣٣) ولما تمادى في بغيه عوقب بالتغريق ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ (القصص: ٤٠) لقد كان في جرائمه دون هؤلاء بكثير من رسل الديمقراطية الكاذبة، وأدعياء المدنية الخادعة الذين توسلوا للقبائح بكل جميل، وللجرائم بكل معسول من القول وزوره، فعذب ومن معه على وفق ذنبه وذنوبهم بغير هذا العذاب الذي لم يعذب الله به من قبل أحدا من العالمين (أنفلونزا الخنازير) فهذا هو قدر فراعين اليوم من الله الذي يملي للظالم بغير غفلة منه ولا نسيان، حتى إذا أخذه فإنه لن يفلته ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ (هود: ١٠٢) وصدق الله العظيم ﴿...ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾ (الرعد: ٣١).

> **سمة المجتمعات التي استبد فيها الفساد والأحكام الجائرة استرخاص الأرواح واستباحة الحرمات... وبذلك يؤذنها القدر الأعلى بالانهيار والسقوط**

إننا نرجو الجميع بعد أن نزل بالأمة أقبح نازلة (أنفلونزا الخنازير) أن يراجعوا على الحق أنفسهم، ويصححوا مع الدين مواقفهم، ومع الشعوب سياساتهم، ويراجعوا- عند الله خالقهم- سيرهم ونشاطهم، فإن أنفلونزا خنازير القلوب التي نزلت بغيرنا من قبل لهي أشد فتكا من أنفلونزا خنازير الحظائر والبيوت إن هي نزلت واستحكمت، وقد ظهرت بوادرها، واستعلنت معالمها، فساد في القوانين، وانحراف في الأخلاق، وميل في كل شأن عن الجادة، ولقد أمهلنا القدر العالي كثيرا فما سمعنا على المستويات العليا متضرعا ولا رأينا منيبا ناصحا ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا. ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ (نوح: ١٠- ١٣).

إن ويلات أنفلونزا خنازير القلوب التي يلبس أصحابها لنا لبوس الضأن وفي صدورهم قلوب الذئاب لهي والله أشد فتكا، والناس عنها غافلون، فهي المؤسسة لكل نازلة، والداعية لكل ماحقة، والمثمرة لكل نبت خبيث في الأمة، ومع هذا لانزال مشغولين بالبثرة عن الدمل، وبآثار المرض عن أسبابه، إنها- أنفلونزا خنازير القلوب- علة العلل، وهي ليست غريبة عنا، فقد عوقب بها من قبل الكثير من الملاعين المجرمين الذين حادُّوا الله ورسوله من قبل- كما يفعل الكثيرون اليوم- فصارت أفئدتهم هي أفئدة الخنازير وقلوبها ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾ (المائدة: ٦٠) وبذلك استوجبوا عقوبة الاستئصال بعد أن جعل الله منهم القردة والخنازير لأنهم أطاعوا في الناس وفي أنفسهم غير الله، فعبدوا الطاغوت الذي يعني السلطات الطاغية، والشخصيات المتجبرة، والأوضاع الجائرة التي تجاوزت كل حد في كل ميدان من ميادين الحياة، عبدوها عبادة طاعة وخضوع، وحب وتوقير، بدلا من شرع الله الذي بدلوه كفرا وأحلوا قومهم بذلك دار البوار ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ (إبراهيم: ٢٨ - ٢٩) فالإثم والعدوان طابع كل مجتمع حين يفسد، والمسارعة فيهما هو عمل هذه المجتمعات، إذ إن الإثم والعدوان في المجتمعات الهابطة الفاسدة لا يقتصران على الأقوياء وذوي النفوذ، بل إنه يرتكبهما كذلك الضعفاء الغافلون الذين ينساقون في تيار الإثم طلبا للمنفعة الرخيصة، وإيثارا للفاني على الباقي، فيعتدي بغير نكير بعضهم على بعض، ويعتدون مع غيرهم على حرمات الله التي هي في مثل تلك المجتمعات تمثل الحمى المستباح الذي لا حارس له من حاكم ولا محكوم، فيسارعون جميعا في انتهاكه والاعتداء عليه وهم آمنون من مؤاخذة الحاكم أو نكير العلماء وغيرة الفقهاء القائمين على حماية الشريعة ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ (المائدة: ٦٣).

وتلك هي سمة المجتمعات التي استبد بها الفساد بفعل القوانين الفاسدة، والأحكام الجائرة، والسياسات الماكرة، التي تسترخص فيها الأرواح، وتستباح عندها الأقدار، وتبذل لها الحرمات، وبذلك يؤذنها القدر الأعلى بالسقوط والانهيار.. أخرج ابن ماجة بسند حسن عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال «كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»، ولمسلم من حديث هشام بن حكيم بن حزام «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا» وتعذيب الناس يكون بإضاعة حقوقهم، وإهدار آدميتهم، واسترخاص أقدارهم، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتُري، وبسطوا الجور حتى افتُدي»، وهل بعُد شيء من هذا عن زعماء الشر اليوم ومن لف لفهم قيد أنملة؟



أثر الإعلام التنموي على التربية والتعليم

تكاد تكون التنمية هي الحاجة الملحة لغالبية دول العالم الاسلامي، والتي يمكن ان تحقق من خلال استراتيجية واضحة ومتكاملة تحولا كبيراً في واقع المجتمعات الاسلامية وتتجه بها نحو المزيد من التقدم العلمي والاقتصادي والثقافي.

ولقد أفرد المفكرون والناشطون في الحقل التنموي أبواباً عديدة للتنمية الاقتصادية والتربوية والسياسية وغيرها ولكن ندرة منهم من تطرق لدور الاعلام في التنمية.

عند التحدث عن أهمية ودور الاعلام ومساهمته في التنمية، فإن ذلك لا يعني انه الوسيلة الوحيدة والاداة الفريدة التي تحقق هذه التنمية، بل توجد عناصر اخرى مهمة ايضاً لانجاح العملية التنموية، فالقيادة المخلصة المنبثقة من الشعب في جو من الشورى تساعد على تحقيق التنمية، وتحقيق العدالة والاحساس بالمسؤولية المدنية والشرعية عند تولي مناصب ومواقع القرار يساهم كذلك في تحقيق التنمية، كما ان تأمين الموارد البشرية المتخصصة ورؤوس الأموال الضخمة، كل ذلك مستلزمات لا بد من تواجدها الى جانب الدور الإعلامي التنموي.

د. رامز الطنبور

> **وسائل الاعلام تحولت إلى أداة لنشر التربية والفكر الغريب بدلا من دعم العملية التنموية**

في البداية لا بد لنا من أن نتساءل: هل تستطيع وسائل الإعلام ان تواكب عملية التنمية وتطورها؟ والى أي مدى يمكن ان تصل آثارها؟ في الحقيقة ان الأمر يعود الى الجهة التي تمتلك تلك الوسائل الاعلامية وخلفياتها الفكرية والثقافية والسياسية، والكيفية التي تسير بها تلك الوسائل والهدف الذي تسعى إليه من خلال توجيهها نحو السيطرة على الجماهير والتأثير على توجهاتهم، أو العمل على تنمية مداركهم ومعارفهم وشخصيتهم في عملية جهد متواصل للتنمية المستدامة التي تحتاجها الأوطان وتسعى إليها.

والإعلام منذ القدم وحتى الآن فرض تأثيره الايجابي المتعاظم شيئاً فشيئاً فساهم في بناء العقول والنفوس، وظهرت القدرة الهائلة لدور الإعلام الايجابي على التنمية فنهضت المجتمعات وتعاظمت، وبالمقابل أثر الاعلام سلبياً ايضاً في العملية التنموية فكان الانحدار المتسارع والتقهقر المريع، كيف لا والمجالات التي يطرقها الإعلام باتت متنوعة حيث يتداخل الاعلامي بالتربوي وبالاقتصادي وبالثقافي.

وتعاظم اثر الاعلام في المجال التربوي التعليمي، ذلك ان التربية والتعليم يعتبران المكون الحقيقي المكتسب لشخصية الفرد وافكاره وممارساته وتطلعاته، وتعتبر المؤسسات التربوية الضخمة من مدارس ومعاهد وجامعات العامل الاساسي في التنمية الاقتصادية الاجتماعية كونها تتولى اعداد وتنمية العنصر البشري، وقد تأكد بما لا يدع مجالاً للشك أن تنمية المجتمعات الحديثة تحققت من وراء تأهيل الكوادر البشرية، هذا التأهيل التربوي والعلمي المطلوب ارتبط بشكل او بآخر مع دور الإعلام الذي باتت وسائله تقتحم كل البيوت وتشد إليها كل حواس الانسان، ومع تطور وسائل الاعلام واتساع رقعة انتشارها اصبحت تتدخل في عمق المؤسسات التربوية والتعليمية من خلال التعليم عن بعد واستخدام وسائل الايضاح ذات الطابع الاعلامي، والتي اصبح يعول عليها كثيراً في تنمية المستوى التربوي والتعليم للطلاب وتطوير مستوى الاداء للاساتذة، وتتميز وسائل الاعلام ويبرز اثرها في العملية التربوية في انها تتوجه الى كل اصناف واعمار الناس في محاولة دؤوبة لنشر المعرفة وكسر احتكارها والمساهمة في محو الأمية، تلك العقبة الكأداء في وجه اي مشروع تنموي، وقد نبه الاسلام الى خطورة الامية ودورها في تخلف الشعوب والأمم فحث بدوره على العلم ورفع طلب العلم الى درجة الفريضة كما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (صححه الألباني)

ووسائل الإعلام - الصحف والراديو والتلفزيون- بانتشارها الواسع والسريع اضافة الى امكانية حيازة الناس لها اضفى عليها طابعاً هاماً في عملية التربية والتعليم نظراً لالتصاقها اليومي بحياة الناس وتقاسمها لأوقاتهم، وأكثر ما يبرز في هذا المجال: التلفزيون كوسيلة تعليمية تثقيفية في البيوت ويستخدم أحياناً في المدارس فيساهم في تفتيح الأذهان وتنوير العقول من خلال البرامج التعليمية والتربوية الهادفة، ودخلت الأقمار الصناعية بقوة المضمار الاعلامي وبواسطتها أصبح يحول كم هائل من المعلومات من بلد الى آخر لكي لا يبقى العلم وبخاصة العلم الحديث حكراً على شعوب معينة.

ولكن هذه الوسائل الاعلامية، بقدر ما تحمله من إيجابيات في بناء التربية والتعليم المطلوبين لانجاح ودعم العملية التنموية، بقدر ما تحمله من مخاطر يتوجب على السلطات الراعية والجمعيات المهتمة ان تتنبه لها، ولعل اخطر ما في هذا الموضوع

ان تتحول وسائل الاعلام الى اداة لنشر التربية والفكر الأجنبي الغريب في معطياته وظروفه عن تاريخ وأصالة شعوب المنطقة، وغالباً ما يكون هذا النشر عبر إبراز مشاهير فنيين او رياضيين أو مثقفين والتركيز على مسلكيتهم وأفكارهم التي تعارض وتنافي قناعة والتزام الأمة، وهذا ما يشكل مدخلاً شيطانياً لوسائل الإعلام والذي نتج عنه في كثير من الأحيان مسلسلات وأفلام تشوه الإسلام وصورة المسلمين وتتجرأ بوقاحة على رسول الله ﷺ والرموز الاسلامية الكبرى من بعده.

ان سيطرة الدول المتقدمة على خزان المعلومات- الإخبارية والعلمية- جعلها تستغل هذا الواقع لتفرض على الدول النامية ومنها الدول الإسلامية نوعا من التبعية وقد أدى هذا الوضع الى الهيمنة على مصادر المعلومات والتحكم ببرامج التعليم الى حد كبير وتوجيهها بعيداً عن التجرد والموضوعية الى التبعية الإعلامية التي من الممكن أن تتحول الى تبعية شاملة إذا لم يتم التنبه لها والسيطرة عليها، ولكي لا نكون فريسة الإعلام المغاير يجب ان نصغي إلى هداية الإسلام وكيف نتعامل من خلالها مع هذه الحالة المستشرية وكيف نتجنب التهويل الإعلامي وذلك من خلال كيفية تلقف الخبر والتأكد من مصداقيته، وعدم البناء عليه قبل التحقق من صحة المعلومات ومصدرها، قال تعالى مخاطباً المؤمنين معلماً لهم ومدرباً ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (الحجرات:٦) وذلك حفاظا على وحدة وتلاحم المجتمع، وكي لا تجد الشائعات الآذان المنصتة



لها، باعتبارها أداة من أدوات التدمير الاجتماعي، وما أكثر انتشار الشائعات والأخبار الكاذبة التي تهدم المجتمع وتعطل تنميته، لتشغل الناس وتثير الضغينة فيما بينه، ولتنال من رموزهم الوطنية والإسلامية على وجه الخصوص، وقد أرشدنا الإسلام إلى كيفية التعامل مع تلك الإشاعات وخاصة عندما تطال صفنا الداخلي حيث قال الغزالي: التمس لأخيك سبعين عذراً فإن لم تجد فالعيب فيك، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملا» فالإسلام يدعو ويتبنى الإعلام الايجابي الذي يبين الحقائق ويستنهض الهمم ويربي المواطن على ثقافة الإيمان بالله ووحدة الأمة والانتصار للمظلوم والأخذ على يد الظالم، وعلى العزة والتحرر والاقبال على العلم.

ونتساءل في ظل هذا الواقع أين يكمن دور الاعلام في تفعيل التنمية التربوية والتعليمية؟ إن ذلك مرتبط إلى حد كبير بسياسات ولاة الأمور والدولة على رأس القائمة والتي عليها وضع الخطط الاعلامية المتوازنة مع الخطط التربوية التعليمية ضمن برنامج تنموي شامل، مستفيدة من حث الإسلام على العلم والتعلم وربطه بالعبادة والخيرية، فمن الاسلام يجب أن تتشكل منظومتنا التعليمية وسياساتنا الإعلامية لكي نكون منسجمين مع أنفسنا، والإسلام وفقا لمبادئه وتوجهاته اهتم بكل أشكال العلوم المفيدة للإنسان في الدارين الدنيا والآخرة، ومن العقوق أن نحصر دوره بالعلوم الدينية البحتة رغم أهميتها، بل يتعدى ذلك إلى سائر العلوم الحياتية والاجتماعية والإنسانية، وعلى هذا المنوال سارت الحضارة الإسلامية عبر التاريخ والجغرافيا.

والإعلام يقدر على تقديم الدعم التربوي والتعليمي الايجابي من خلال رصد قنوات تعليمية من خلال التلفزيون والانترنت، وهذا ما بدأت به بعض الدول العربية والذي أخرج العلم من دائرة الحاجة المادية- العلم للأغنياء فقط!- الى العلم للجميع، وتلك خطوة تنموية جبارة في سبيل إيجاد مجتمع متعلم مثقف يعرف قيمة الحياة ويقدرها ويحافظ عليها على أحسن وجه لأنها هبة من الله تعالى لا يجوز العبث بها والتعاطي معها باستهتار.

لكننا في العالم الإسلامي غالباً ما نعاني من الواقع المتدني في مستوى التعليم والإعلام مما يوجب على المسؤولين الاعلاميين أن يبذلوا جهوداً مضاعفة لاستنهاض الوضع التربوي والتعليمي من خلال دورهم ومسؤولياتهم في بث العلم والثقافة، ومن جهة اخرى فإن نظم التربية والتعليم لا بد من تطويرها بشكل مستمر من حيث المضمون والأسلوب لتواكب علوم العصر الحديثة وفق رؤية إسلامية تفيض خيراً على المجتمع، ووفق تقنيات حديثة تتيح للطلبة أن يستفيدوا من مستجدات التكنولوجيا ووسائل التعليم كافة كأدوات لحسن توصيل الفكرة والمعلومة.

فالتكامل بين القطاعين الإعلامي والتربوي يفرض نفسه أمراً واقعاً، فبمقدار ما يكون الإعلام داعماً للعملية التربوية بمقدار ما تتسارع العملية التنموية، وهذا ما ينسجم مع النظرة الإسلامية للتنمية ذات الطابع الشمولي التكاملي المتوازن التي تنظر للإنسان كروح وجسد ولحياته كدنيا وآخرة.

ومهما قيل في الإعلام وعنه إلا أنه يبقى سلاحاً ماضياً فتاكاً، يقتحم البيوت ويتلاعب بالنفوس، تنموياً إلى أعلى درجة وهداماً بأقصى ما يمكن، وتبقى الحكمة كل الحكمة في أن يتولى هذا السلاح أصحاب الرؤية الإنسانية والعقل الناضج والقلب الصالح، ليفيض خيراً وبركات على سائر القطاعات، ولينمي معرفة الأجيال، وليتلاحم مع مقومات البناء التعليمية والتربوية.

مشروع «روافد» ورهانات الريادة والإبداع

د. محمد إقبال عروي

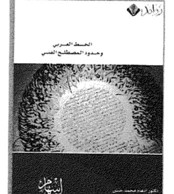
اعتادت المؤسسات الثقافية والعلمية أن تجعل لنفسها وسائل للتواصل مع الجمهور الداخلي والخارجي، وقد تتخذ تلك الوسائل صورة منشورات أو جرائد أو مجلات أو كتبا دورية أو شهرية أو قنوات فضائية. وبخصوص المؤسسات المعنية بالتوجيه الديني والثقافي، وخاصة مؤسسات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فقد بادرت العديد منها إلى اتخاذ وسائل للتواصل مع الجمهور، وفي مقدمتها المجلة، ثم الإصدارات الدورية، وإذا اقتصرنا على هذه الوسيلة الأخيرة، فتكفي الإشارة إلى «كتاب الأمة» الصادر عن رئاسة المحاكم الشرعية التابعة لوزارة الأوقاف بدولة قطر، وكتاب «دعوة الحق» الصادر عن الإدارة العامة للثقافة والنشر برابطة العالم الإسلامي، وكتاب «دعوة الحق» الصادر عن مجلة «دعوة الحق» التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، وغيرها.

وفي الآونة الأخيرة، أسست إدارة الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت مشروعا متكاملا، تمثل في إصدار شهري يحمل اسم «روافد» وهو مشروع متكامل يعنى بتنمية الشأن الفكري والثقافي والأدبي وفق رؤية ورسالة محددتين.

ويأتي هذا المشروع استجابة لقيم العمل التي اتخذتها الوزارة أساسا لأدائها التوجيهي والثقافي وعملها التربوي والمجتمعي العام، مما هو مدون في خطتها الاستراتيجية الخمسية العامة(٢٠٠٦-٢٠١١م)، وفي مقدمتها قيمتا الريادة والإبداع، بما يمثلان من معاني أخذ المبادرة، واعتماد مقاييس الجودة في الإنجاز، وانتهاج أساليب وطرق مبتكرة ومتميزة، مع السعي إلى تبني الأفكار الجديدة المتطورة، والاحتكام إلى الفعالية باعتبارها شرطا في تحقيق الغايات والأهداف المؤسسية للوزارة.

وتتمثل رؤية مشروع «روافد» في إثراء المحيط الفكري والثقافي والأدبي بإصدارات شهرية في ميادين الفكر الإسلامي والأدب والفنون والمراجعات التراثية بأسلوب إبداعي يتصف بالعمق وفق الرؤية الوسطية التي تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.

أما رسالته، فإنه يتغيا نشر الفكر والثقافة والأدب بهدف تصحيح الرؤى والمفاهيم وتنمية المواهب ورعايتها، ومواكبة التطورات الهائلة في الفكر الإنساني مواكبة فاحصة، وتحقيق الريادة والتجديد في ميادين الفكر والثقافة والأدب.





ومجالات إصدارات «روافد» تتوزع إلى ثلاثة حقول:

١- الإصدار الشهري في الفكر الإسلامي: تحت اسم «آفاق»، وهو إصدار يتناول بالتحليل والنقد مختلف القضايا الفكرية والإشكالات الحضارية في الحياة المعاصرة وفي ساحة الفكر الإسلامي والعالمي المعاصر من خلال الرؤية الوسطية، كما يهتم بترجمة أعمال المنصفين للإسلام والحضارة الإسلامية من أعلام الفكر الغربي وغيرهم.

٢- الإصدار الشهري في الأدب والفنون: تحت اسم «إسهام»، وهو إصدار في ميدان الشعر والقصة والمسرح والرواية والدراسة الأدبية والنقدية والفنون الإسلامية مثل فن الخط والزخرفة والعمارة الإسلامية.

٣- الإصدار الشهري تحت اسم «مراجعات»، ويختص بالنظر في العديد من القضايا التراثية في الفكر والأدب من خلال رؤية منهجية تجديدية.

حصيلة متنامية

وقد تم إصدار تسعة عشر مؤلفا تنوعت مضامينها الفكرية والأدبية والتراثية، وتناولت قضايا في الشهود الحضاري.

المدارج الخمسة لتغيير النفس

حتى يغير الإنسان الآخرين، فلابد أن يبدأ بنفسه فيغيرها، ليكون صادقاً في زعمه، مؤثراً في دعواه، ولذلك يقول الله تعالى ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ (الأنفال: ٥٣).

من هذا المنطلق فإنني أقترح خمس خطوات رئيسية يمكن للمرء بها تغيير نفسه، وقد أسميتها «المدارج الخمسة»، وذلك لأنها خطوات متدرجة، يتدرج بها الإنسان في سيره لتغيير نفسه، وهذه المدارج أو الخطوات كالتالي:

١ - كن جاداً وقوم نفسك:

ذلك لأن أي تغيير لا يكون صاحبه جاداً فيه فهو تغيير هش لا قيمة له، وهذه الجدية ينبغي أن يتبعها تقويم لواقع النفس وذلك من عدة جوانب، لعل من أهمها:

أ - قدرات الفرد ومهاراته.

ب - رغبات الفرد وميوله وهواياته.

ج - الإمكانات المتاحة للفرد (مادياً ومعنوياً).

د - نقاط القوة ونقاط الضعف.

هـ - الفرص المتاحة والمخاطر المتوقعة.

يُروى أن ابن حزم الأندلسي الفقيه الظاهري اجتمع يومًا مع أبي الوليد الباجي الفقيه المالكي، وجرت بينهما مناظرة سنة ٤٤٠هـ، فلما انقضت المناظرة قال أبو الوليد الباجي لابن حزم: تعذرني فإن أكثر مطالعاتي كانت على سُرُج الحراس.. إن أبا الوليد الباجي كان فقيرًا لا يجد مالاً، لا يجد مصباحًا في بيته، فاعتذر لابن حزم لأن قراءته ومذاكرته وطلبه للعلم كان على مصابيح الحراس الذين يمشون في الليل بمشاعل لحماية البلاد من اللصوص، فكان هو يسير وراءهم يقرأ في الكتاب، ويذاكر على ضوء مصابيح الحراس.

٢ - تأمل المستقبل:

بعد تقويم واقع الذات، لا بد له بعد ذلك أن ينظر إلى الأمام، وأن يحدد ماذا يود أن يكون في المستقبل، ولذا فإن عليه القيام بالأمرين التاليين:

أ - تحديد الرؤية، فالرؤية هي الحلم بالمستقبل أو الصورة التي يرسمها الإنسان لنفسه وما يود أن يكون عليه بعد سنوات عديدة، ولتكن عشر سنوات مثلا.

ب - تشكيل الرسالة، فالرسالة هي عبارة أو أكثر تعبر عن غاية الفرد، وماهيته، والمجال الذي يود التميز فيه، والخدمة التي يرغب في تقديمها، والجمهور الذي سيتعامل معه.

٣ - خطط لنفسك:

بعد أن تتضح الرؤية ويتم تشكيل الرسالة، ويعرف الإنسان غايته وما يود الوصول إليه في المستقبل، فإنه يبدأ بالتخطيط للوصول إلى غايته تلك وتحقيق آماله وطموحاته.. إن العقلاء والفطناء وأهل الخبرة والناجحين في الحياة لطالما أكدوا على أهمية تحديد الأهداف في صناعة المستقبل، وأن الفشل في التخطيط هو في الحقيقة تخطيط للفشل، وأنه من غير المقبول أن يسير الإنسان في هذه الحياة دون غاية أو من غير هدى أو على غير بصيرة.

والذي يمشي في الحياة قدمًا لا يخطط لنفسه ولا يحدد اتجاهه أو يوجه بوصلة حياته، فسوف يتيه في دنياه، وتتشعب به المسالك، ويطول به الطريق، وربما يراوح في مكانه دون أن يشعر، وقد ينتهي بما بدأ به، وهنا ينبغي تحديد التالي:

أ - الأهداف المرحلية قصيرة المدى.

ب - الوسائل الموصلة إلى هذه الأهداف.

ج - الأنشطة مع برمجتها زمنياً.

د - السياسات الحافظة والضابطة للأهداف والبرامج.



د. علي الحمادي

٤ - ابدأ التغيير متوكلاً على الله:

إذ إن آفة كثير من الناس أنهم يترددون كثيراً في تنفيذ ما يخططونه لأنفسهم، لذا ينبغي أن يعزم الإنسان على بدء تنفيذ الخطة، وأن يتوكل على الله ولا يتردد، كما قال الله تعالى ﴿...فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ (آل عمران: ١٥٩). وينبغي كذلك أن يهيئ المغيِّر لنفسه ويوفر كل ما تستلزمه الخطة من إمكانات بشرية أو مادية أو معنوية.

٥ - قوِّم وعالج واستمر:

حيث إن واقع التنفيذ قد لا يتطابق مع الخطط المرسومة، لذلك ينبغي أن يراقب الإنسان أداءه، ويُقوِّم واقعه بعد بدء التنفيذ، ثم يتعرف على الفجوة بين الواقع الحالي والأمل المنشود.

وبعد كل ذلك فإن على المُغيِّر لنفسه أن يُصلح كل اعوجاج، وأن يعالج كل انحراف، مع الاستمرار ومواصلة السير حتى يتم التغيير المنشود.

وقبل هذا وذاك ينبغي للإنسان أن يكثر الدعاء والاستعانة بالله تعالى ليرزقه التوفيق والسداد، ولييسر له طريق التغيير، فالموفَّق من وفقه الله، والخاسر من خذله الله.

قال بعض العُبّاد: إنه لتكون لي حاجة إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح عليّ من مناجاته ومعرفته والتذلل له والتملق بين يديه ما أحب معه أن يؤخر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال. (مدارج السالكين: ٢/٢٢٩).

● رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

مالاوي .. الشعب الحبيس

عبده دسوقي

في جنوب شرق إفريقيا حيث الطبيعة الساحرة تقع كثير من البلدان التي ينتشر فيها الإسلام، ولا يعرفها كثير من المسلمين أو يعرفونها لكن دون الاهتمام بها، ومن هذه البلاد دولة مالاوي التي يشكل فيها المسلمون ما يقرب من ٤٠ في المائة لكنهم يتعرضون للهجمات التبشيرية كل حين.

وتعد مالاوي جمهورية موحدة، عاصمتها ليلونجوى، وأهم المدن بلانتاير المدينة التجارية، ومساحة الدولة ١١٨,٥٠٠ كلم٢ وهي من الدول الحبيسة التي لا تطل على بحار أو محيطات، ويحدها شرقا وجنوبا وجنوب غرب دولة موزبيق، ومن الغرب دولة زامبيا، ومن الشمال الشرقي تنزانيا.

وتتميز مالاوي بالمناخ المعتدل بوجه عام، وفصل الصيف هو فصل هطول الأمطار الغزيرة ويمتد من أكتوبر حتى إبريل، أما فصل الشتاء فيمتد خلال الفترة من مايو حتى سبتمبر ويتميز بالبرودة والجفاف.

يبلغ عدد سكانها ما يقرب من ١٢ مليون نسمة، واللغة المتداولة في البلاد هي الإنجليزية والشيشيفا وهما اللغتان الرسميتان، وتنتشر فيها ديانات مختلفة منها الإسلام والمسيحية ويبلغ عدد المسلمين ما يقرب من ٤٠ في المائة، والمسيحيون ٥٥ في المائة، ويشكل الوثنيون ما يقرب من ٤,٨ في المائة، والـ ٠,٢ في المائة بهائيون وهندوسيون.

ودولة مالاوي دولة حبيسة وبالتالي فإن تكاليف شحن البضائع إليها مرتفعة مما يجعل أسعار السلع فيها مرتفعة، فهي تعتمد على موانئ دار السلام وبيرة، وتتميز السوق المحلية فيها بوجه عام بالمحدودية وانخفاض القوة الشرائية للمواطن المالاوي، فهي دولة زراعية توجد بها صناعات محلية محدودة جداً.

ويمكن وصف الطرق الداخلية التي تصل بين المدن الرئيسية بأنها جيدة وآمنة بشكل عام إلا أن هذا لا يمنع من أن هناك حوادث سرقة من حين لآخر.

والقرب الجغرافي من جنوب إفريقيا يجعل منها المصدر الأساسي للسلع المستوردة من الخارج، خاصة أن نقل السلع من جنوب إفريقيا إلى مالاوي يمكن أن يتم برياً، كما أنها من أفقر عشر دول في العالم.

وتعتبر مالاوي من البلدان الأقل تقدما في العالم، حيث يعيش ما يقرب من ٥٠ في المائة من السكان تحت خط الفقر، حيث لا يملك أغلب سكان مالاوي الطاقة الكهربائية، كما أنهم يعانون سوء التغذية رغم أنها من البلدان الإفريقية القليلة التي تنتج فائضا غذائيا بشكل دوري، ويعود هذا التناقض إلى نظام إقطاعي لا يفيد إلا مالكي كبريات الأراضي الزراعية.

مالاوي تاريخيا

كانت مالاوي مستوطنة بريطانية منذ سنة ١٨٩١م وحصلت على استقلالها سنة ١٩٦٤م تحت حكم هاستينغز باندا، وكان عضوا في الكنيسة الكالفينية البروتستانتية الذي شجع نمو البروتستانتية وقاد سياسة تمييز عنصري ضد الأقلية المسلمة، وأسس نظام حزب واحد سنة ١٩٦٦م ومنع الحركات المعارضة ومارس السجن بدون محاكمة، والتعذيب لكل المعارضين السياسيين حتى علقت كل المساعدات الدولية والإنسانية الموجهة نحو مالاوي بشرط عودة الديموقراطية واحترام حقوق الإنسان، وقد ساهم هذا الإجراء في تنظيم استفتاء سنة ١٩٩٣م أعاد التعددية للسلطة السياسية وانتصرت الجبهة الديموقراطية سنة ١٩٩٤م مع قدوم باكيلي مولوزي الذي وضع حدا لإحدى أطول الديكتاتوريات في العالم، والرئيس الحالي هو بينجو وا موثاريكا.

المسلمون في مالاوي

تعتبر مالاوي من أوائل البلدان الإفريقية التي وصلها الإسلام واعتنقه كثير من أهلها جراء احتكاكهم بالتجار المسلمين القادمين من الساحل الشرقي لقارة إفريقيا، لكن بسبب الاستعمار وبعثات التنصير انقلبت الصورة بحيث أصبح المسلمون أقلية في مالاوي.

لقد دخل الإسلام إلى مالاوي وانتشر فيها، غير أن الراويات مختلفة حول زمن دخوله، فرواية تقول: إن دخول الإسلام إلى مالاوي جاء في القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك منذ عهد داود بن سليمان ١١١٨م - ١١٥٨م وهو أحد سلاطين إمبراطورية الزنج أو مملكة كلوة، حين توغلت قوافل كلوة التجارية إلى أراضي رواندا، وبروندي، وجنوب الحبشة وشرقي الكونغو ونياسالاند التي صارت مالاوي فيما بعد، غير أن هذه الرواية غير مؤكدة.

والرواية الثانية تقول: إن الإسلام دخل إلى مالاوي حوالي القرن السابع والثامن عشر من الميلاد على أيدي التجار المسلمين الذين وفدوا إليها من دولة تنزانيا، وقد لقي هؤلاء الدعاة والتجار بيئة صالحة للنمو والانتشار الأمر الذي أدى إلى تأسيس مركز التجارة في الشمال والوسط، تحت رئاسة ملوزي في الشمال في منطقة كارونجا وجومبي، وفي الوسط بمنطقة كوتا.

وهذه الرواية أقرب إلى الصواب ويعضدها القول بأن تاريخ الإسلام في مالاوي يرجع أولا إلى معرفة التاريخ الذي دخل فيه الإسلام إلى موزمبيق، ذلك

لأن القبيلة التي أدخلت الإسلام إلى مالاوي أصلها من موزمبيق وكان ذلك عام ١٨٥٠م . ١٨٧٠م وهي قبيلة الياو حيث اعتنقت هذه القبيلة الإسلام حوالي القرن الخامس عشر لما أسس تجار العرب من شرق إفريقيا مركزهم التجاري في موزمبيق عند منطقة تيتي.

وتعتبر مدينة منغوش من المدن الإسلامية الموجودة في مالاوي، غير أنها مهددة بالنشاطات التبشيرية من كل الجهات ومن كل صوب لتحويل المسلمين عن دينهم الحنيف إلى الكفر.

الجمعيات الإسلامية

توجد الآن في مالاوي جمعيات إسلامية عدة تقوم بحمل لواء الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية، ومنها جمعية مسلمي مالاوي وقد تأسست هذه الجمعية في عام ١٩٥٦م كمظلة رابطة بين المسلمين في مالاوي، فجميع الاتحادات والجمعيات المحلية الإسلامية تعمل تحت إشراف هذه الجمعية، فقد قامت الجمعية منذ تأسيسها بالعمل على نشر الإسلام وتعميق العقيدة السمحاء والثقافة الإسلامية في ربوع البلاد وتوسيعها لدى العاملين في مجال الدعوة الإسلامية، وقد قامت ببناء المساجد، والمراكز الإسلامية، ودور الأيتام في جميع أنحاء البلاد، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الجمعية من أعمال أخرى كالدورات التدريبية لإعداد المعلمين والدعاة وإقامة المؤتمرات.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الجمعية منذ الثمانينات كانت تتلقى المساعدات المالية من دولة



الكويت عن طريق لجنة مسلمي إفريقيا الكويتية المشهورة التي قامت بمجهودات فعالة وجبارة في بناء المساجد وتأسيس المراكز الإسلامية وإقامة دور الأيتام في جميع أنحاء البلاد تحت إشراف الشيخ سعد الطالب الذي كان أول مندوب للجنة مسلمي إفريقيا في البلاد، وهي اللجنة التي كان يقودها د.عبدالرحمن السميط.

ولما تم احتلال الكويت من قبل العراق توقفت المساعدات والمعونات مما كان عاملا قويا في تقليص نشاط الجمعية، فالمساجد التي شيدت، ودور الأيتام التي بنيت، والمراكز الإسلامية التي تم تأسيسها، أغلبها في حاجة إلى صيانة وإصلاح، وذلك لأن الجمعية لا تملك المصادر الحقيقية لمشاريعها الإسلامية المختلفة سوى ما تبرع به بعض التجار المسلمين من الإخوة الآسيويين، وقليل من إيرادات استثمارات العقارات التي تمتلكها الجمعية.

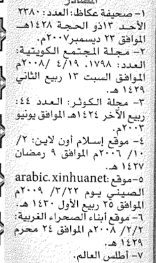
لقد تغير حال المسلمين في مالاوي خلال ٢٠ سنة وارتفعت نسبة المسلمين من ١٧ في المائة إلى أكثر من ٤٥ في المائة من مجموع السكان، وخلال هذه الفترة انتخب لأول مرة في تاريخ مالاوي رئيس جمهورية مسلم، وتخرج العشرات من أبناء المسلمين أطباء، ومهندسين، ومحاسبين، وأساتذة جامعيين وغيرهم، بينما لم يكن أي خريج مسلم من الجامعة حتى عام ١٩٨٤م.

ويواجه المسلمون هناك صعوبات في الحج إلى بيت الله الحرام بسبب أن الحكومة لا تقدم الدعم للحجاج، ومن ثم أصبح القطاع الخاص هو المسيطر على هذه الشعيرة.

التنصير في مالاوي

على الناحية الأخرى يتعرض المسلمون لضغوط التبشير حتى إن هيئة الإغاثة العالمية وجهت نداء إلى جميع المسلمين في العالم أن يتعاونوا لإنقاذ إفريقيا المسلمة من خطر التنصير، ويذكر النداء أن نسبة المسلمين في مالاوي قد انخفضت من ٧٠ في المائة إلى ٣٠ في المائة نتيجة الحملات التبشيرية، وأن مركز التبشير في داكار عاصمة السنغال وحدها يعمل به ٢٥,٠٠٠ قسيس وراهب، وأن هناك ٦٥ مليون مسلم في إفريقيا معرضون للارتداد عن الدين الإسلامي، بسبب المجاعات والأمراض، وغيبة الدعاة، وغيبة الإعلام الإسلامي.

وازدادت تلك الحملات بعد قيام لجنة مسلمي إفريقيا - جمعية العون المباشر - ببناء مركز إسلامي بتكلفة ٧٠ ألف دولار أمريكي قبل ٢٠ سنة، فجن جنون الكنيسة الكاثوليكية التي كلفت أسقف منغوشي بمقابلة البابا ليحصل منه على ٩ ملايين دولار أمريكي لتنصير المنطقة، ثم ما لبث أن توالت التبرعات للكنيسة من أوروبا وأستراليا وشمال أمريكا لدعم بناء مدارس وكنائس في المنطقة، ولا تكاد تجد قرية حتى لو كان جميع سكانها مسلمين بدون كنيسة، ومن نشاطات هذه الكنائس إعطاء آلاف المنح الدراسية لأبناء المسلمين، ليس فقط للدراسات العامة، بل ليتخرج عدد منهم من مركز الدراسات اللاهوتية بصفتهم رهباناً ينشرون المسيحية وسط أهاليهم.



المصادر

١- صحيفة عكاظ: العدد: ٢٣٨٠ الأحد ١٣ذو الحجة ١٤٢٨هـ الموافق ٢٣ ديسمبر٢٠٠٧م.

٢- مجلة المجتمع الكويتية: العدد: ١٧٩٨، ١٩/٤/ ٢٠٠٨م الموافق السبت ١٣ ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ.

٣- مجلة الكوثر: العدد ٤٤: ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق يونيو ٢٠٠٣م.

٤- موقع إسلام أون لاين: ٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م الموافق ٩ رمضان ١٤٢٧ هـ.

٥-موقع :arabic.xinhuanet الصيني يوم ٢٢/٣/ ٢٠٠٩م الموافق ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ.

٦- موقع أبناء الصحراء الغربية: ٢/٢/ ٢٠٠٨م الموافق ٢٤ محرم ١٤٢٩ هـ.

٧- أطلس العالم.

٨- موقع ويكيبيديا.

من تراث الوعي

صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

العدد 14
السنة الثانية
صفر 1386 هـ
مايو 1966م



الأسس والآثار الحضارية في نظرة الإسلام العامة

للدكتور مازن المبارك

لنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من اسس صالحة لبناء الحضارة ، ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان اثرها البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها اثرها فى تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من ابرز خصائص هذه النظرة الاسلامية انها ارست للحضارة اسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وانها نظرة واقعية تحققت فى عالم الواقع لا فى اوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

١ ــ ففي مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :

اولها : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ولا تصل الى حد الاضرار بمصلحة غيره .

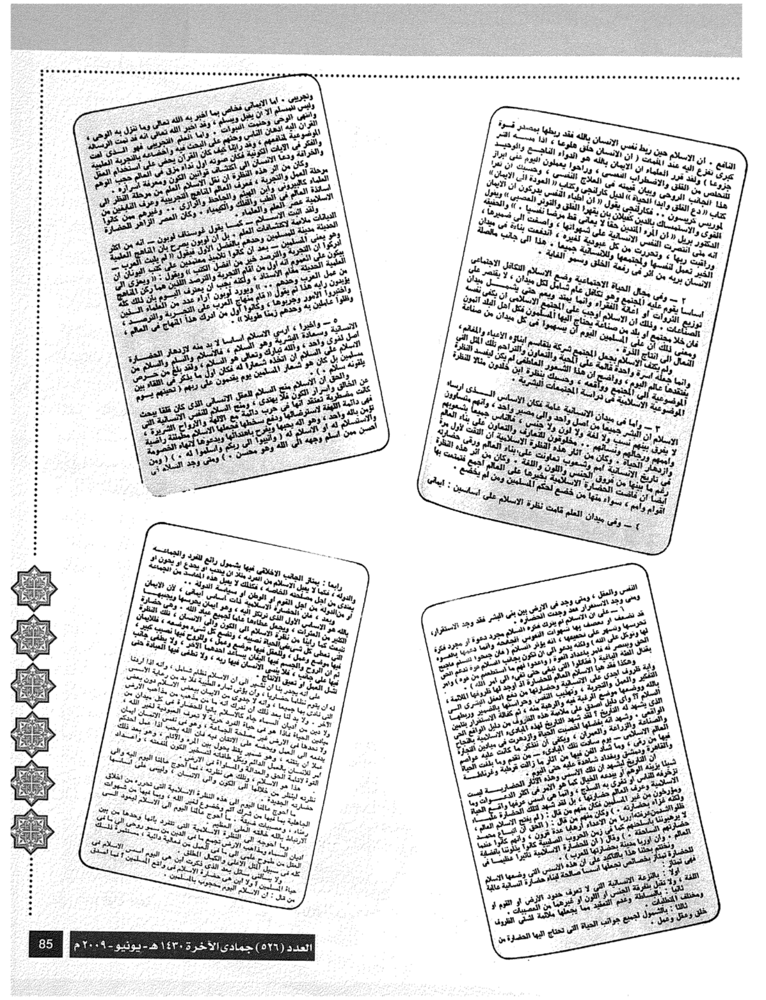
وثانيها : انها ايقظت فى نفس الانسان ضميره ، فاصبح له من نفسه حارس عليه .

وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .

اما الأساس الاول وهو ان نترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشل حركته وتقتل موهبته ولا تستطيع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من ابرز مشاكل المجتمعات البشرية التي يدور فيها اليوم صراع شديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد انه اذا اردنا ان نحفظ على الانسان انسانيته وعلى المرء مروءته فلا بد ان نتركه حرا ينطلق فى تحقيق مواهبه واستثمار كفاءاته ليتنافس الافراد في تقديم الخير لانفسهم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس في ظل الاسلام وتحت اشرافه الا تنافسا خيرا يرعى حقوق الفرد وحقوق الجماعة . ونحن نستطيع ان نطبق هذا المبدا القائم على الحرية المعتدلة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه في ميدان الفكر كما نطبقه فى ميدان الاقتصاد ، وذلك بان نترك للافراد ان يفكروا كيف يشاؤون وان يكتبوا ما يشاؤون على الا يكون فى شيء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها . ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم ثمراته الخيرة في تاريخ حضارتنا يوم طبق فلم يشل حركة الفكر بل هيأ للعالم علماء افذاذا كابن سينا والغزالى وابن رشد وغيرهم ممن قال عنهم علماء الغرب انهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال غرونباوم « ليس ثمة ميدان من ميادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيه غنى » ..

واما الأساس الثاني ، وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالاساس الاول اذ قد يجنح بعض الافراد او ينحرفون ، وتستعبدهم شهوة الكسب او شهوة الشهرة فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة كاحتكار القوت ، او يسلون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء واولئك من رادع ورقيب فكان الأساس الثاني لذلك قائما على ايجاد ذلك الرادع وتنبيه الضمير ليكون حارسا امينا او صمام امان يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا لان الله سبحانه مطلع عليه وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) . واما اذا صدىء هذا الضمير او قصر فى واجبه فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ويعيد الى المجتمع توازنه المطلوب .

واما الأساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسان ايا كان وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة فى الحياة الانسانية من اقربها انه انقذها من حياة الفوضى والقلق تلك التى كانت تعيشها ، واوجد فيها سكينة وطمانينة اتاحت لها فرصة العمل المثمر والانتاج



النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قوة كبرى تفزع اليه عند الملمات (ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا) ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء الناجع والوحيد للتخلص من القلق والاضطراب النفسي ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هذا الجانب الروحي وبيان قيمته في العلاج النفسي ، وحسبك ان تقرا كتاب « دع القلق وابدا الحياة » لديل كارنيجي وكتاب « العودة الى الايمان » لموريس كريسون .. فكارنيجي يقول « ان اطباء النفس يدركون ان الايمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بان يقهرا القلق والتوتر العصبي » ويقول الدكتور بريل « ان المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا . » والحقيقة انه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، واصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة في ميدان الخير تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هذا الى جانب ما للصلة الانسان بربه من اثر في رفعة الخلق وسمو الغاية .

٢ — وفي مجال الحياة الاجتماعية وضع الاسلام التكافل الاجتماعي اساسا يقوم عليه المجتمع وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات او اعانة الفقراء وانما يمتد ويعم حتى يشمل ميدان الصناعات . وذلك ان الاسلام اوجب على المجتمع الاسلامي ان يكفي نفسه فان خلا مجتمع او بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون فكل اهل البلد آثمون ومعنى ذلك ان على المسلمين اليوم ان يسهموا في كل ميدان من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناؤه الاعباء والمغانم ، وانما جعله اسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم تلك المثل التي يفتقدها عالم اليوم ، وواضح ان هذا الشعور العاطفي لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثالا للنظرة الموضوعية الاسلامية في دراسة المجتمعات البشرية .

٣ — واما في ميدان الانسانية عامة فكان الاساس الـذي ارساه الاسلام ان البشر جميعا من اصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا لون ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم وامهم ورجالهم ونسائهم .. مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية ان التقت لاول مرة في تاريخ الانسانية امم وشعوب تعاونت على بناء العالم ورقي حضارته رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من اثر هذه النظرة ايضا ان فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم اجمع فتمتعت بها اقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

٤ — وفي ميدان العلم قامت نظرة الاسلام على اساسين : ايماني وتجريبي . اما الايماني فخاص بما اخبر به الله تعالى وما تنزل به الوحي ، وليس للمسلم الا ان يقبل ويسلم ، وقد اخبر الله تعالى انه قد تمت الرسالة وانتهى الوحي وختمت النبوات . واما العلم التجريبي فهو الـذي لفت القران اليه اذهان الناس وحثهم على البحث فيه واخضاعه بالتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد راينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر في الايات الكونية فكان صوته اول نداء مزق في العالم حجب الوهم والخرافة ودعا الانسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة اسراره .

وكان من اثر هذه النظرة ان نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر الى مرحلة العمل والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية وعرف النابغين من العلماء كالبيروني وابن الهيثم والجاحظ والرازي .. وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم في الطب والفلك والكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضارة الاسلامية عصر العلم والعلماء .

ولقد اثبت الاسـلام — كما يقول غوستاف لوبون — انه من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم . بل ان لوبون يصرح بان المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الاول فيقول « لم يلبث العرب — وهو يعني المسلمين — بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان ان ادركوا ان التجربة والترصد خير من افضل الكتب » ويقول : « ويعزى الى بيكون على العموم انه اول من اقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الاستاذ ، ولكنه يجب ان يعترف اليـوم بان ذلك كله من عمل العرب وحدهم .. » ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الـذين يؤيدون رايه هذا ثم يقول « قام منهاج العرب على التجـربة والترصـد ، واختبروا الامور وجربوها ، وكانوا اول من ادرك هذا المنهاج في العالم ، وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا » .

٥ — واخيرا ، ارسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضـارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام ، فالاسلام والسلم والسلام من اصل لغوي واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام ، ولقد بلغ من حـرص الاسلام على السلام ان اتخذه شعارا له فكان اول ما يذكر في اللقاء بين مسلمين بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يـوم يلقونه سلام .) .

والحق ان الاسلام منح السلام للعقل الانساني الذي كان قلقا يبحث عن الخالق واسرار الكون فلا يهتدي ، ومنح السلام للنفس الانسانية التي كانت مضطربة تعتقد انها في حرب دائمة مع الالهة والارواح الشريرة ، فهي دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن بالله واحد ، وهو اله يحبها ويفرح باهتدائها ويدعوها لانهاء الخصومة والاستسلام له او الاسلام له (وانيبوا الى ربكم واسلموا له .) (ومن احسن ممن اسلم وجهه الى الله وهو محسن .) ومتى وجد السلام في النفس والعقل ، ومتى وجد في الارض بين بني البشر فقد وجد الاستقرار ، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

٦ — على ان الاسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة او مجرد فكرة قد تضعف او تعصف بها شهوات النفوس الجامحة وانما دعمها بالقوة تحرسها وتسهر على تحصينها ، انه يؤثر السلام (فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ولكنه يدعو الى ان تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق وتنصر له فامر باعداد القوة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وامر بقتال الفئة الباغية (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله) .

وهكذا فقد هيأ الاسلام العالم للحضارة اذ اوجد لها ظروفها الملائمة ، واية ظروف اجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشري الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتامين السلام ؟؟ واي دليل اصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحي الذي يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادئ الاسلامية بالنجاح الواقعي . وشهد انه بفضلها اخصبت الحياة وازدهرت في ميادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفي ان نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامي — يوم سادت تلك المبادئ — من تقدم وما بلغت الحياة فيها من رقي ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد ان تلك الاسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئا يزينه الوهم او يبدعه الخيال كما هو الامر في اكثر الدعوات وما تزخرفه للناس او تغري به السذج ، وانما هي اسس عرفها واقع الحياة الاسلامية وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال : (لم يفتح الاسلام العالم ، ولكنه غزاه بحضارته .) وكان منهم من قال : (الحق ان اتباع محمد ظلوا اشد من عرفتها اوربا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وانهم كانوا عندما لا يرهبوننا باسلحتهم كما في زمن الحروب الصليبية كانوا يذلوننا بافضلية حضارتهم الساحقة .) وقال (ان للحضارة الاسلامية تاثيرا عظيما في العالم . وان اوربا مدينة بحضارتها للعرب) .

ونختتم بحثنا هذا بالتاكيد على ان هذه الاسس التي وضعها الاسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها اسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية فهي تمتاز :

اولا : بالنزعة الانسانية التي لا تعرف حدود الارض او القوم او اللغة ، ولا تقبل بتفرقة الجنس او اللون او غيرهما من العصبيات .

ثانيا : بالبساطة وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : بالشمول لجميع جوانب الحياة التي تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : يمتاز الجانب الاخلاقي فيها بشمول رائع للفرد والجماعة والدولة ، فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا ان يكذب او يخدع او يخون او يعتدي من اجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة او من الدولة من اجل القوم او الوطن او سياسة الدولة ..

وبعد ، فان الحضارة الاسلامية ذات اساس ايماني ، لان الايمان بالله هو الاساس الاول الذي ترتكز اليه ، وهو ايمان يحرسها ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهي حضارة تنبعث كما راينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التي تعطي كل شيء في الحياة نصيبه ، وتضع كل شيء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد احدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل او تعيق الانتاج .

على انه يجدر بنا ان نشير الى ان الاسلام نظام شامل ، وانه اذا اردنا له ان يقوم نظاما حضاريا ، وان يؤتي ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الاسس التي نادى بها جميعا ، وانه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعض الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك ان ندرك انه ما من مذهب من مذاهب الارض ولا دين من اديان السماء جاء كالاسلام بانيا للحضارة في كل ميدان من ميادين الحياة فاذا هو في حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها في الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو في نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ويحضه على الاتقان فيه فان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك امر للانسان بالعمل الدائم وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة في الارض .

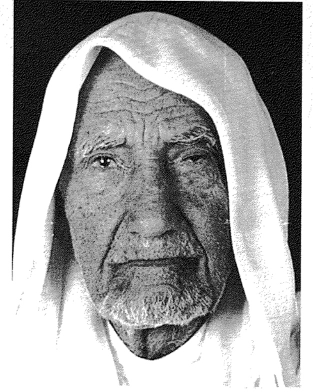
هذا هو الاسلام ، وتلك هي نظرته ، فما احوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته لينظر من خلالها الى الكون والى الانسان ، وليبني على اساسها حضارته الجديدة .

ما احوج عالمنا اليوم الى هذه النظرة الاسلامية التي تحرره من اخلاق الجاهلية بما فيها من شرك آثم وخضوع لغير الله ، وبما فيها من شهوات رعناء ، وعصبيات ضيقة . ما احوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلي العظيم .

وما احوجه الى النظرة الاسلامية التي تنفرد بانها وحدها من بين اديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما في الدين من سمو روحي الى ما في العقل من طموح علمي الى ما في العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله في سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسالني سائل بعد الذي ذكرت اين هي اليوم اسس الاسلام في حياة المسلمين ؟ ولا اين هي حضارة الاسلام في واقع المسلمين ؟ فما اصدق من قال : ان الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .

إبراهيم الجراح.. الشيخ الشاعر



لم يُعرف إبراهيم سليمان الجراح على نطاق واسع في الكويت، ولكن الناس بدأت تتساءل عنه بعد وفاته نظراً لما كتب عنه من رثاء بيّن مآثره، وأوضح إمكاناته العلمية والأدبية، وألقى الضوء على شعره الجميل.

هو شاعر أديب، له دراية باللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، وله اطلاع واسع، ومتابعة لشتى فنون التراث الإسلامي، وقد ظل يوالي هذه المتابعة حتى تقدم به العمر، وحانت وفاته، لم يتكاسل عن المتابعة المعرفية، ولم تكل همته عن الاطلاع، وحين توفي في يوم الثامن من شهر ديسمبر لسنة ٢٠٠١م كان قد بلغ المائة سنة من عمره، ومع ذلك فقد كان ذا ذاكرة قوية، يسترجع أحداث التاريخ الإسلامي، ويتذكر تاريخ الكويت، ولا تفوته صغيرة ولا كبيرة من تاريخ وطنه، ولقد كان مرجعاً في التاريخ الكويتي، وفي ذكر الأماكن وما مر عليها من أحداث.

وعلى الرغم من أنه لم يتصدر للتدريس، فقد كان يستقبل من يأتيه سائلا، ويرد عليه بالرد الشافي، وكان عدد من الشعراء يأتون إليه عارضين عليه شعرهم ليطلع عليه، ويبدي لهم رأيه فيه، فكان يهتم بذلك، ويرد عليه دون تجريح، وكان شعره جميلاً معبراً قوي اللغة، وقد كانت القصيدة التي رثى بها شقيقه الشيخ محمد سليمان الجراح من أفضل قصائده، فهي قد صدرت عن قلب محب، وفيها أبدى إحساسه بدنو أجله، بعد وفاة شقيقه الذي عاش معه زمنا طويلاً، وتقاسم وإياه أفراح الحياة وأتراحها، ومما يدل على ذلك قوله فيها:

ما كنت أحسب أن تطول حياتي
حتى أراك سبقتني بممات
قد كنت أرجو أن أفوز بدعوة
مبرورة لي منك أو بصلاة
فسبقتني ضيفا لربك للذي
يُقري النزيل لديه بالجنات

وفي هذه القصيدة بيت يدل على ما ذكرناه من أنه أحس بدنو أجله عندما توفي أخوه محمد، حيث يقول:

شقّي لأنَت ومن تَساقط شقُّهُ
كان الرَّدى منه على خطوات

وبالفعل فإن حياة الشيخ إبراهيم لم تطل كثيراً بعد ذلك.

لقد انتقل الشيخ إبراهيم سليمان الجراح إلى رحمة الله في صباح يوم السبت الموافق للثامن من شهر ديسمبر سنة ٢٠٠١م.

وهو عالم من علماء الكويت في اللغة والأدب والفقه، وشاعر من شعرائها الذين عبروا بشعرهم عن أحاسيس الحب تجاهها، يحس من يجلس إليه بمقدار ما حصل عليه من علم، ويرى عنده الرغبة في إيصال ما عنده الى من يتطلع الى الاستفادة منه، وعلى الرغم من أنه محب للعزلة، راغب عن الاتصال بالناس بشكل عام إلا أنه كان يستقبل في مصلاه في أحد مساجد الكويت عدداً من طلاب العلم الذين يأتون إليه للسؤال عن أمر من الأمور التي أشكلت عليهم فيجدون عنده الجواب الشافي، فيعرفون بذلك

مقدار علمه، وتمكنه من الإحاطة بكثير من المسائل العلمية التي يسعى هؤلاء إلى معرفتها، وهذا هو ما أشرنا إليه قبل قليل.
درس الشيخ إبراهيم العلم مع أخويه داود ومحمد عند عدد من علماء عصرهم، واشتهر بالتواضع والزهد، وعدم الرغبة في الاختلاط بالناس، غير أن من يتصل به - كما أشرنا قبلا- يدرك غزارة علمه ليس في مجال اللغة العربية والفقه والتاريخ فحسب، بل وفي مجال المعرفة بالكويت وكل ما يتعلق بتاريخها وبأهلها ومواضعها المختلفة.
وإذا أردنا الحديث عن شعره، فإن له شعراً رقيقا، لم يكن - في حياته- قد جمع في ديوان، ولكنه كان متداولاً يحفظ عدد من ملازميه بعضا منه، ويستمتعون بما يتميز به من جمال وصفاء، ومن تنوع في الأغراض التي كان من أهمها

أحد أبرز علماء الكويت في اللغة والأدب والفقه .. وعرف بالعزلة والزهد

الإخوانيات ووصف الأشياء.

طلب العلم

اللغة العربية: درس اللغة العربية على الشيخ عبدالعزيز بن قاسم حمادة مع شقيقه داود حيث قرأ عليه الآجرومية، ثم متممة الآجرومية وذلك مدة سنتين، وكانت دروسهم في الصباح الباكر قبل الذهاب إلى الدكان في السوق.
ثم درس على الشيخ أحمد الحرمي وفي تلك الفترة تزوج شقيقه داود فلم يحضر معه الدرس وانقطع. ثم درس عند محمد الحرمي مع شقيقه محمد الجراح قطر الندى، وكتاب ابن هشام (لعله الشذرات أو شرح الألفية).
ثم بعد ذلك تدارس الشيخ إبراهيم العربية مع أخيه محمد.

دراسة الفقه

درس الفقه أولا عند الشيخ عبدالله الخلف وقرأ عليه دليل الطالب. قال الشيخ إبراهيم: وكان شقيقي داود قد قرأه، قال جراح ولما سألته عن النسخة التي قرأتها قال كانت أصلا لخلف المخزيم، وقد أعادها داود إليه، ثم درس الفقه على عبدالوهاب العبدالله الفارس وكان يحضر معنا القاضي عبدالمحسن البابطين ودرسنا الاقناع والمنتهى وذلك عقب صلاة العشاء، وكذلك كانت الدروس عند الشيخ عبدالله الخلف عقب العشاء.
قال الشيخ إبراهيم وبعد ذلك تدارست الفقه مع محمد شقيقي.
سئل عنه الشيخ محمد الجراح فقال: قرأ معي على المشايخ الذين قرأت عليهم وقرأ على أحمد الحرمي في النحو.

الشاعر الغزير

إن قريض هذا الشاعر موفور وغزير، وما جاءنا منه إنما هو أقل القليل، فهذا المتمكن من ناصية الشعر، الذي يطرق عدداً كبيراً من الأبواب، لا بد وأن يكون له اسهام في كثير من المجالات على اختلاف تطور الحياة من حوله، ولكن ما نستطيع أن نقوله هنا هو أن ما وصلنا من شعره معبر عن إمكاناته الشعرية، وقدرته على الإسهام في الحياة الأدبية لعصره، وقد تأتي لنا الأيام بقصائد أخرى له لم تصل إلى أيدينا الآن.
ومن الملاحظ أنه حرص على وضع تواريخ انجازه للاشعار الواردة في هذا الديوان، كما أن من الملاحظ أن بعضها قديم يدل على أنه قال الشعر مبكراً بدليل أننا نجد له قصيدة قالها في رثاء الشيخ عبدالله الخلف الدحيان سنة ١٩٣١م، وأنه استمر في قول الشعر في السنوات التي تلت هذه السنة، ولم يكف عن الشدو به خلال العقود التي لحقت إلى أن وصل إلى آخر قصيدة من القصائد التي قالها، وهي التي احتوت على رثائه لأخيه الشيخ محمد سليمان الجراح، وكانت قصيدة تدل على عظم الجرح الذي أحس به، بل لقد كانت تلك الفاجعة سبباً في تدهور حالة فظل مكتئباً إلى أن توفي في التاريخ الذي ذكرناه، ثم قصيدته الى الاستاذ عبدالحميد البسيوني، رداً على أبيات أرسل بها إليه، كما نجد ان شعره قد تنوع في مجالات عدة هي: المجال السياسي، والاخوانيات، والمداعبات، والوصف، والحنين إلى الماضي.
وقد بدت آثار دراسته هذه في شعره، ففي بعض قصائده إشارة إلى شيء من قواعد النحو، وفي أخرى إشارة إلى بعض فنون العروض، ومن هذا ما ورد في قصيدته المسماة «اعتذار عن عدم عيادة» حيث يقول:

فلذا نظمت عيادتي بقصيدة
سلمت قوافيها من الإقواء
ما عابها خرم ولا حذف ولا
شيء من الإيطاء والإكفاء

فالإقواء والخرم والحذف والإيطاء والاكفاء من الأمور التي ترد من فنون العرض على بعض قصائد الشعراء.

مصادر الترجمة :
د. يعقوب يوسف الغنيم وجراح داود الجراح

جوامع «تمبكتو» في مالي

د. معتز ياسين

لقد قامت مجموعة جوامع في مدينة تمبكتو أو (تنبكت) التاريخية بغرب إفريقيا، فيما يعرف حاليا بدولة مالي، وكانت هذه المساجد منارات تعليمية وجامعات عامة ازدهرت الحياة الثقافية فيها، وتبودلت المعارف والعلوم بينها وبين مراكز العلم في العالم العربي الإسلامي. وأشهر هذه الجوامع جامع تمبكتو الكبير الذي يعد من أقدم مساجد تمبكتو وأكبرها، ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ التشييد الأول له، ولكن المعروف أنه كان هناك مسجد أقيم على موقعه في القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي، والراجح أن بناءه قد تم أول مرة في مطلع القرن السادس الهجري- الثاني عشر الميلادي على وجه التقريب، أي في الفترة التي نشأت فيها مدينة تمبكتو، لأن المسلمين جروا على عادة بناء المساجد الجامعة متى استقر بهم المقام في مكان، ولو وسط المجتمعات الوثنية.

وكان بناؤه الأول على صورة متواضعة تتناسب مع حجم سكان المدينة في تلك الفترة، وفي القرن الثامن الهجري جدده السلطان المالي الحاج مَنْسا موسى(١) (٧٠٧- ٧٣٢هـ- ١٣٠٧- ١٣٣٢م)، وبنى صومعته بعد عودته من الحج عام ٧٢٤هـ- ١٣٢٤م، وهو الوقت الذي ضم فيه مدينة تمبكتو إلى مملكته، ومن المرجح أن الذي قام ببناء هذا الجامع هو المهندس الشاعر الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم الساحيلي المعروف بابن الطويجن، الذي قدم مع السلطان موسى من الشرق عند عودته من الحج.

وظل هذا المسجد موضع عناية كثير من السلاطين والحكام الذين تعاقبوا على حكم مدينة تمبكتو، فقد مر بإصلاحات وترميمات وتحسينات وتوسعات تقتضيها الظروف وزيادة السكان والثروات المتوافرة وتطور العمران، شأنه في ذلك شأن كل المساجد العريقة في العالم العربي الإسلامي، لما حرص المسلمون على جعل مساجدهم أجمل البقاع وعلى أحدث فنون المعمار.

ومن هذه الإصلاحات التي عرفها الجامع الكبير في تمبكتو، قيام الفقيه القاضي العاقب بن القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت (٩١٣- ٩٩١هـ- ١٥٠٧- ١٥٨٣م) بزيادة كبيرة فيه، بأن ضم إليه المساحة التي كانت تشغلها القبور المجاورة له، وكان ذلك عام (٩٧٦هـ- ١٥٧٠م)، في عصر السلطان آسكيا داود (٩٦٥- ٩٩٠هـ- ١٥٥٧- ١٥٨٢م)، عاهل دولة صنغي الإسلامية، ولم يكن الشيخ وحده الذي قام بالإنفاق على بناء المسجد، بل اشترك معه- بعد إلحاح- علماء آخرون، مثل الحاج أمين، ولكن لم يتعد إنفاقه ثلاثة أيام، وتعد مساهمته هذه رمزية مقارنة بما أنفقه الشيخ العاقب في البناء، الذي كان يكلف يومياً سبعة وستين مثقالاً (ستة غرامات إلا ثلثا) من الذهب، واستمر في ذلك قرابة ثلاثة أعوام.

وكذلك أدخلت عليه بعض الإصلاحات في الأعوام ١٠٨٩هـ- ١٦٧٨م و١١٢١هـ- ١٧٠٩م و١١٤٩هـ- ١٧٣٦م، وبناء على ذلك يمكن القول بأن المسجد القائم اليوم لا يشمل أي أجزاء يمكن نسبتها إلى ما قبل عام ١٥٧١م، وهو التاريخ الذي أعاد فيه القاضي العاقب بناء الجامع.

كانت معاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية مهمة لجمعها بين التخصص والثقافة التربوية

ويشتمل المسجد- من الداخل- على خمسة وعشرين صفاً من العُمُد، تمتد من شمال المسجد إلى جنوبه، وعلى ثمانية صفوف ممتدة من شرقه إلى غربه، وشيدت أهم أجزاء المسجد بالحجر، كالعقود، وشيد الجانب الغربي والمحراب وبعض أجزاء الكساء الخارجي والسُّقُف من الخشب المتين، وللمسجد صحنان أحدهما واسع والآخر صغير متصل بالمئذنة، ويعتبر هذا الجامع من المعالم الأثرية البارزة لمدينة تمبكتو الإسلامية التاريخية.

مسجد سنكري

لم يبين لنا عبد الرحمن السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان والقاضي محمود كعت صاحب كتاب الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس- وهما المصدران الرئيسيان لتاريخ الإسلام وحضارته في غرب إفريقيا قبل الاستعمار الغربي- تاريخاً محدداً لبناء المسجد، بل إن النصوص الواردة في هذا الخصوص مضطربة.

وبحسب قول صاحب الفتاش فإنه: «في عام تسع وثمانين وتسعمائة شرع في بناء مسجد سنكري»، ولعل المتأمل لهذا النص يفهم أن بناء هذا المسجد قد تم أيضا على يد القاضي العاقب.

ولكن هذا المفهوم لا يستقيم مع مفهوم بعض النصوص للسعدي، التي جاء في أولها: «وأما مسجد سنكري فقد بنته امرأة.. ذات مال كثير، ولكن لم نجد لبنائها تاريخاً»، وثانيها يلقي ضوءاً على نص الفتاش المذكور آنفاً، ويشير بصراحة إلى أن القاضي العاقب كان مجدداً لبناء مسجد سنكري، ولم يكن المشيد الأول له، وهو في قوله: «وفي يوم الخميس الثاني عشر من محرم عام ست وثمانين بعد تسعمائة، شرع القاضي العاقب في تجديد بناء مسجد سنكري»، ويزيد ثالثهما الأمر

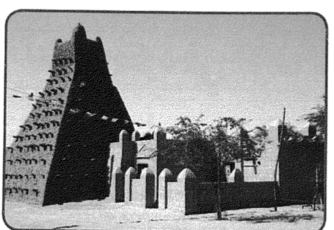
وضوحاً، ويفيد بقدم مسجد سنكري، وبأنه شيد بعد المسجد الجامع، وأن تكامل البناء عامة كان في أواسط القرن العاشر الهجري في عهد السلطان داود.

ونرى- في ضوء نصوص السعدي- أن بناء هذا المسجد أول مرة كان قبل عهد القاضي العاقب، على يد امرأة ثرية، ثم كان تجديده على يد القاضي العاقب في عهد السلطان آسكيا داود.

وأما فيما يتعلق بالاسم سنكري، فمن الملاحظ- على ضوء معلومات السعدي- أنه اسم حي من أحياء تمبكتو، كان به المسجد الذي عرف باسم هذا الحي.

مسجد سيدي يحيى التادليسي شيده محمد نقي، من قبيلة آجر الصنهاجية، وهو حاكم تمبكتو التابع للسلطان آكل، سلطان الطوارق (أو التوارق) حينذاك، ولا نعرف تاريخاً محدداً لإنشائه، ولكن المحتمل أن يكون قد شيد في حوالي منتصف القرن التاسع الهجري (منتصف القرن الخامس عشر الميلادي)، لأن حكم الطوارق لهذه المدينة كان في الفترة ما بين عامي ٨٣٧- ٨٧٦هـ- ١٤٣٣- ١٤٧١م، وظل حكام هذه المدينة بصفة خاصة والسلاطين الذين تعاقبوا على حكم مالي بصفة عامة يجددونه ويوسعونه بين فترة وأخرى، بما يتناسب وكثافة السكان وإمكانات البلاد، ولقد وصف الرحالة الفرنسي كابيه هذا المسجد، عندما مر بمدينة تمبكتو عام ١٢٤٤هـ- ١٨٢٨م.

ولم تكن تمبكتو تضم فقط هذه المساجد الثلاثة المشهورة، بل ضمت مساجد أخرى، ولكنها لم تصل إلى شهرة هذه الثلاثة ومكانتها في التاريخ الحضاري الإسلامي لغرب إفريقيا، وقد أوصل المؤرخون عددها إلى أكثر من تسعة مساجد.



التعليم والمعلمون

كانت هذه المساجد الثلاثة- بصفة خاصة- معاهد تعليمية كبرى، ومراكز ثقافية مهمة، مثل: الجامع الأزهر بالقاهرة، والجامع الأموي بدمشق، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع قرطبة بالأندلس، وجامع القرويين بفاس، وغيرها من المساجد الإسلامية الكبرى.

فكانت المرحلة العليا من التعليم- في هذه المساجد التمبكتوية- تشبه ما كان بالأزهر قديماً، وما هو كائن اليوم، إذ إن حلقات الدراسة مازالت تعقد في جامع تمبكتو، وينتظم فيها طلبة الدراسات الإسلامية، الذين يمنحون شهادة الإجازة (الليسانس)، تماماً كزملائهم الذين يتخرجون في الكليات المختلفة في جامع الأزهر.

ويسمي بعض المؤرخين هذا النوع من التعليم المسجدي بالجامعات العامة، لأنه يجمع بين فكرة التخصص الدقيق وفكرة الثقافة التربوية العامة، وهو تعليم إسلامي أصيل، وضعت بذرته الدعوة الإسلامية وما تحت ظلالها.

وكذلك من الملاحظ أن الكتب- التي كانت متداولة للدراسة في هذه المساجد- تكاد تكون بعينها الكتب المعروفة في البلاد الإسلامية الأخرى.

ومن تلك الكتب التي ورد ذكرها في برامج التدريس في تمبكتو: الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض السبتي.. وهي في السيرة النبوية والشمائل المحمدية، مدونة القاضي سحنون، مختصر ابن الحاجب الفرعي، الرسالة، مختصر الشيخ خليل، تهذيب البرادعي، جمع الجوامع، القرطبية، جامع المعيار، وكلها في الفقه المالكي، مختصر ابن الحاجب الأصلي في أصول الفقه، موطأ الإمام مالك في الحديث والفقه، ألفية ابن مالك في النحو، وتلخيصها للسيوطي، ألفية السيوطي، صحيح البخاري، صحيح مسلم، سيرة ابن إسحاق (أو سيرة ابن هشام)، تفسير الجلالين، مقامات الحريري في الأدب العربي، الخزرجية في العروض.

التبادل التعليمي

كان ثمة تبادل علمي بين معاهد تمبكتو ومعاهد البلدان الإسلامية الأخرى في المغرب والصحراء الكبرى والأندلس، وكانت معاهد المغرب التعليمية أعرق من معاهد غرب إفريقيا. ولذا، حرص طلبة العلم من غرب إفريقيا على النهل من علمها.

وأسهم السلاطين في إرسال البعوث العلمية إلى هذه المعاهد، فتشير الكتب إلى أن السلطان المالي منسا موسى أرسل العالم كاتب موسى- الإمام والمدرس بجامع تمبكتو- إلى فاس، ليتلقى مزيداً من العلوم الإسلامية، وعندما اشتهرت هذه المعاهد، وفد عليها كثير من الطلبة من بقاع شتى في غرب إفريقيا لتلقي العلم على مشايخها. ومنهم الفقيه مخلوف بن علي البلبالي، وكذلك عُرف العلماء الودانيون (من إقليم وَدان) في معاهد تمبكتو، منهم سيدي أحمد الغزالي بن محمد بن محمد بن يعقوب الحاجي اليعقوبي الوداني، الذي تتلمذ على والد أحمد بابا التمبكتوي.

وعندما زار ابن بطوطة دولة مالي- في حوالي منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)- التقى عددا من علماء شمال إفريقيا المقيمين بمدنها، مثل تمبكتو، ومنهم محمد بن الفقيه الجزولي، وصهره الفقيه المقرئ عبد الواحد.

وجذبت الحركة التعليمية في مساجد تمبكتو- في العهد المالي- بعض علماء الأندلس، أمثال: علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الوادي آشي (ت ٧٢٤هـ- ١٣٢٣م)، والد ابن الملقن التكروري (ت ٨٠٤هـ- ١٤٠١م) صاحب كتاب طبقات الأولياء، ومارس عليّ التدريس، لاسيما اللغة العربية، ثم ارتحل إلى القاهرة، وأنجب فيها ابنه المعروف باسم ابن الملقن.

وذكرت المصادر أن أهم بعثة تعليمية جاءت من تمبكتو المالية إلى بلاد الهوسا والبرنو، هي البعثة الونفارية، وكان أفرادها من ركائز معاهد تمبكتو، وأخذ العلماء التمبكتويون- منذ ذلك الحين- يتوافدون على بلاد الهوسا والبرنو، أمثال الفقيه مخلوف البلبالي والتاذخني، ومنهم من أسس معاهد تعليمية في هذه المنطقة، مثل معهد الحنبليين في كاتسينا.

أفضل فكرة في الألف سنة الماضية

سرعة القفزات العلمية وكثرة منتجات العلم والحضارة الغربية تنسينا أننا كنا يوما ما أساتذة للعلم وللحضارة، خاصة بعدما صرنا مستهلكين لهذه المنتجات، وليس لنا فيها إلا معرفة كيفية استخدامها، وكيفية الاستفادة منها، وقد كرس الغربيون الجهد والوقت للاستفادة من حضارتنا، وفي الآن نفسه أنفقوا الوقت لكي ننسى أننا كنا أصحاب جهد في هذا المجال، وأقنعنا الغربُ لنسير في دربه الجديد لدرجة أن الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- يذكر في كتابه «الطريق من هنا» أن أحد أساتذة الفيزياء في الجزائر كان يدِّرس لطلابه فكرة عظيمة لعالم غربي في العصور الوسطى هو «الهازن»، فلما نبهه الطلاب بأن الهازن هذا هو الحسن بن الهيثم العربي المسلم طمر الفكرة، وما عاد يشيد بها، وكل هذا ليطوي النسيان علماءنا، ولتخمد في نفوسنا القدرةُ على الإبداع والإنتاج، ولنظل مستهلكين، حيث يراد لنا أن نشعر أننا غير أكفاء لصنع العلم والحضارة.



د. محمود مسعود

أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة المنيا

لكن هناك من الغربيين اليوم من عاد ليعترف بأن للمسلمين مساهمات جليلة في العلم والحضارة، ولهذا نقدم هنا لمقال صدر بمناسبة نهاية الألفية الماضية في مجلة نيويورك تايمز، وعنوان المقال هو«Best Idea: Eyes Wide Open»

ففي هذا المقال الرائع يقدم كاتبهRichard Powers العالم المسلم الكبير الحسن بن الهيثم على أنه هو صاحب أفضل فكرة قام عليها صرح العلم الحديث في الغرب.

ذكر الكاتب في بداية مقاله أن الألف سنة تعد أطول وحدة زمنية للقياس، ففي بداية الألفية الماضية وفي فترات متعددة انتظر الغربيون عودة المسيح ليحكم سماء وأرضًا جديدة في مملكة ستستمر ألف سنة جديدة، لكن قرب نهاية الألفية قام النازيون بتحديد مفهوم آخر للألفية تنبأوا فيه أن يقيموا مملكة سوف تستمر ألف سنة قادمة، بيد أن تلك الفكرة ماتت عام ١٩٨٨ مع انهيار سور برلين، أما مع بداية الألفية الجديدة (أي الثالثة) فلم يعد هناك حدود جغرافية تفصل بين القارات، فأصبح العالم قرية صغيرة يمكن تحديد أي موقع وأي شخص على ظهرها بواسطة القمر الصناعي.

ونظرا للتطورات والطفرات الكبيرة التي شهدها العالم، خاصة في القرن الأخير من الألفية فإن محاولة تحديد أهم فكرة في الألف سنة الماضية أمر يبدو من الصعوبة بمكان، فقد يتبادر إلى الذهن كثير من هذه المفاهيم على أنه الأعظم مثل: الديمقراطية البرلمانية، الدولة القومية، الأسواق الحرة، التأمين، الجامعة، التعليم الإلزامي، الاشتراكية، تحرير المرأة، الانتخاب العام الحر، حقوق الإنسان...الخ، بيد أن التغير في المؤسسات الاجتماعية السابق ذكرها كان يتطلب ثورة فكرية وعلمية مماثلة، فعلى سبيل المثال فإن كثيرا من النظريات العلمية مثل نظرية التطور والنسبية، واللاوعي، ومثل القوانين العلمية وأدواتها، مثل الطفو والجاذبية والتليسكوب قد أحدثت وثبة في مفاهيم الإنسان، ففكرة التطور يمكن عدها أهم فكرة في العشرة القرون الماضية، لكن في الحقيقة ما هي إلا عَرَضٌ لفكرة مفاهيمية أوسع تكمن في نشأة المنهج التجريبي، ولما كان واضع هذا المنهج التجريبي هو أبوالعلي الحسن بن الهيثم، المولود بالبصرة سنة خمس وستين وتسعمائة ميلادية (٩٦٥م)، فإن هذا العالم المسلم يعد بحق صاحب أعظم فكرة (وتجدر الإشارة إلى أن الغربيين في تاريخهم الفكري لم ينسبوا هذا المنهج لعالمنا العربي المسلم قصدا وعمدا) ففكرة ابن الهيثم رسخت فينا- كما يقول الكاتب- مع الزمن حتى ظننا أنها ليست فكرة مبتكرة، فابن الهيثم نجح في أن يفتح جدلا علميا لمسألة ظلت مغلقة لمدة تزيد عن ثمانمائة سنة، فقبل ابن الهيثم تنافست نظريتان متناقضتان في تفسير كيفية الإبصار، إحداها تنسب لعلماء رياضيات معروفين مثل أوسلد Euclid وبتلومي Ptolemy وغيرهم، الذين قالوا إن الضوء ينتقل بالضرورة من العين إلى الشيء الملاحظ، أما النظرية الثانية فكانت لأرسطو والمذهب الذري وقد افترضوا العكس، فالنظريتان كلتاهما كانتا ذواتي حجج قوية ومتكافئة ولا يوجد ما يرجح إحداهما على الأخرى، لكن ابن الهيثم قام بإجراء بعض الملاحظات والتجارب المهمة مع بساطتها، منها أنه دعا ملاحظين أن يحدقوا في الشمس، فأثبت من خلال هذه الملاحظة أنه حين يتم النظر لشيء مضيء بشدة تحترق العين، ومن هنا هدم النظريات السابقة معتمدا على تجربته تلك، وأثبت من خلال هذه التجربة أن الضوء يبدأ خارج العين ثم ينعكس عليها، ولم يوجد تفسير متماسك يدعمه الدليل من التجربة كهذه الفرضية، فإذا كان بتولمي لجأ

للرياضيات والعقل وأرسطو اعتمد على الحدس، فإن ابن الهيثم قد احتكم إلى التجربة التي كانت بحق سببًا للثورة العلمية، والتي انتشر تأثيرها بلا حدود، فقد تبدو تلك الفكرة بسيطة لكنها غيرت كثيرا من المفاهيم.

ليس هذا كل ما عمله ابن الهيثم، فقد قدم ابن الهيثم عدة مساهمات في مجال البصريات والفيزياء أكدت دور العرب والمسلمين في التطور العلمي، فبينما كان العرب يوقدون جذوة العلم لم يكن لأوروبا منه إلا حظ ضئيل يمكن ذكره «part of a surge of Arab science at a time when Europe possessed little science to speak of»، فمعاصرو ابن الهيثم مثل البيروني وابن سينا وابن رشد قاموا بإحياء الفكر اليوناني وتوسيعه، فرغم أنه لم يعد أحد من هؤلاء العلماء العرب تجريبيًا بالمعنى الحديث فإن كل واحد من هؤلاء ساهم في فتح احتمالية إدراك العالم من خلال جزئياته ومن خلال الملاحظة المباشرة وهذا هو أصل المنهج التجريبي، ومن هنا يمكننا أن نقول: إنه في الوقت الذي تمتع العلماء العرب بحرية مطلقة في البحث العلمي كانت نظرية القديس أوغسطين تقف حائلا بين المسيحيين والبحث العلمي الحر، نظرية كانت ترى أن العالم لغز غامض أنشأه الله ليقودنا إلى عالم آخر بعيد وهو «عصر المسيح».

انتقال فكر ابن الهيثم إلى أوروبا

عندما سقطت المدن العربية بجنوب إسبانيا في أواخر القرن الحادي عشر غمرت الكتب العربية أوروبا المسيحية فترجمت أعمال ابن الهيثم في مجال البصريات إلى اللاتينية في أواخر القرن الثاني عشر فأضاءت الطريق أمام روجر بيكون أبو التجربة الغربية، فبيكون كان خليطا بين عقل قديم وجديد، فهو ابن الفلسفة الفرنسيسكانية وفي الوقت ذاته هو عالم تجريبي ضد المذهب الفلسفي النظري، حارب ليدخل العلمَ في المناهج الجامعية ثم أصبح أول أوروبي يكتب وصفة لصناعة البارود، وقدم أفكارا لصناعة الطائرات والسفن والسيارات، وعلى ذلك فكل تلك المخترعات العلمية هي ثمرة للفكرة التي أفادها من ابن الهيثم، فنظرية ابن الهيثم البصرية قد اشتملت على اختراع كاميرا بدائية

ريتشارد: أفضل فكرة قام عليها صرح العلم الحديث في الغرب كانت للعالم المسلم ابن الهيثم

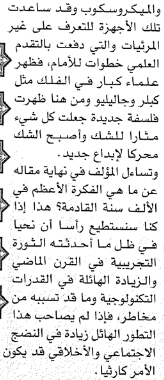
قادت بيكون إلى العديد من الأفكار في مجال البصر، لكن ما أخذه بيكون يفوق مجرد مجال البصريات، فكان يقول «إن الجدل لا يزيل الشك، فقد يؤمن العقل بحقيقة ما حتى تأتي التجربة فتغير إيمانه بها، فأي إنسان لم يرَ النار لن يقتنع بأن النار تحرق إلا بالتجربة» في حين كان أرسطو لا يرى قيمة للتجريب مؤمنا بأن الطبيعة يمكن أن تُفْهَمَ جملةً دون تجزيء، آمن بيكون بقيمة الاختبار أو التجريب من خلال الجزئيات للوصول إلى الحقيقة.

فقد مرت ثلاثة قرون أخرى قبل أن ينشأ العلم بجذور الفلسفة الطبيعية التجريبية، لأن فكرة الرؤية عند ابن الهيثم بدأت تهز أساسيات النظرية التي كان يقوم عليها الفكر الإنساني، سبفلم يعد العلماء



يعتقدون أن الضوء يأتي من العين بل ينعكس عليها، فكثير من العلماء الغربيين في العصور الوسطى اتخذوا من تلك الفكرة طريقا للتجريب الذي أثار عقل القرون الوسطى في الغرب ليعجل بدخوله العصر الحديث. فقد بدأ الأوروبيون من خلال فكر ابن الهيثم يرون العالم من حولهم، فقد اكتشفوا وضع خرائط جديدة للعالم وتلك الخرائط مكنت كولومبس من اكتشاف العالم الجديد، ومن ثم بدأت بيانات التجريب بلا انقطاع موقظة وموقدة لحركة الإصلاح البروتستانتي التي آمنت بقيمة الإنسان، ومن ثم ظهر مذهب الشك متحديا فكرة أن الحكمة- أي العلم- تأتي من السماء، وانتشرت في جميع البقاع. وكل ذلك من آثار علم البصريات لابن الهيثم، فمفهوم انحراف الضوء والعدسات أدى إلى تطوير التلسكوب والميكروسكوب وقد ساعدت تلك الأجهزة للتعرف على غير المرئيات والتي دفعت بالتقدم العلمي خطوات للأمام، فظهر علماء كبار في الفلك مثل كبلر وجاليليو ومن هنا ظهرت فلسفة جديدة جعلت كل شيء مثارا للشك وأصبح الشك محركا لإبداع جديد.

وتساءل المؤلف في نهاية مقاله عن ما هي الفكرة الأعظم في الألف سنة القادمة؟ هذا إذا كنا سنستطيع رأسا أن نحيا في ظل ما أحدثته الثورة التجريبية في القرن الماضي والزيادة الهائلة في القدرات التكنولوجية وما قد تسببه من مخاطر، فإذا لم يصاحب هذا التطور الهائل زيادة في النضج الاجتماعي والأخلاقي قد يكون الأمر كارثيا.



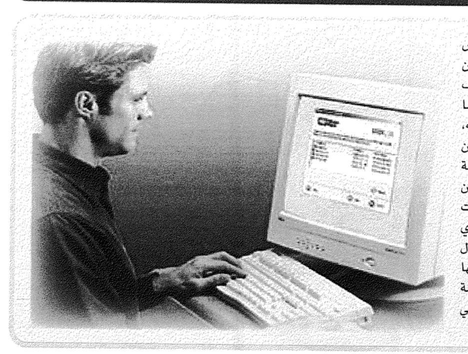
إعداد : علي الحربي

تحديث المتصفح يحمي من خطر قراصنة الإنترنت



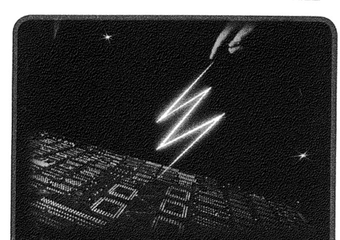
رغم أن برنامج متصفح الانترنت القديم يؤدي العمل المطلوب منه بكفاءة تامة فإن هناك أسبابا تدعو المستخدم إلى المداومة على تحديث نسخته من برنامج المتصفح باستمرار ومن أهم هذه الأسباب أن الإصدارات الحديثة من المتصفح تتضمن تطبيقات معينة تجعل تصفح الشبكة الدولية أكثر أمانا ومن بين هذه التطبيقات مرشحات خاصة لحماية المستخدم من التعرض لعمليات الاحتيال الإلكتروني حيث إن هذه المرشحات تمنع سرقة البيانات الشخصية من الكمبيوتر ومن مزايا النسخ الحديثة من برامج المتصفح كذلك أنها تحتوي على وظيفة لتحذير المستخدم في حالة دخوله عرضا موقعا يحتوي على برامج مؤذية ولا يحتاج المستخدم إلى تنزيل النسخ التجريبية من برامج المتصفح الجديدة التي تتوافر على الانترنت بل يمكنه الاكتفاء بتحميل أحدث إصدارات المتصفح الذي يستخدمه بالفعل.

موقع يقدم معلومات عن أمراض المعاقين



يعرض موقع سعودي شخصي لأمراض المعاقين عقلياً وجسدياً بقدر جيد من التوسع ويقدم معلومات غنية تعرف بالمرض وتبين أسبابه وأعراضه وكل ما يتعلق به من شؤون، وتعمل فيه مؤسسه، بتعاون ودعم كبيرين من مجموعة من المتخصصين قدموا الأفكار والمراجعة العلمية، ويعرّف الموقع بعدد من المجلات والكتب المتخصصة ذات الصلة وفيه قسم «ديوانية» الذي يمثل مكانا للتواصل والتحاور وتبادل الخبرات بين العائلات التي لديها أطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة ويمكن زيارة الموقع على العنوان التالي www.dr-soby.com

موقع للتعرف على أجزاء الحاسب الآلي



ظهر اخيراً على شبكة الانترنت موقع جديد يتيح للمتصفح التعرف على المكونات الرئيسية لجهاز الكمبيوتر، مثل اللوحة الأم والمعالج الرئيسي فضلا عن الذاكرة الاليكترونيةRAM ويمكن أيضاً أن تتعرف على الأنواع المختلفة من وحدات ادخال البيانات وكيفية عملها مع الحاسب. والشرح في هذا الموقع مدعم بالصور والرسوم التوضيحية عالية النقاء كما يحتوي الموقع على قاموس لمصطلحات الكمبيوتر الأساسية لمزيد من التفاصيل يمكن زيارة الموقع على العنوان التالى www. pctechguide.com.

موقع ترفيهي وتعليمي للأطفال عبر الإنترنت

يعد موقعgeocities من المواقع التعليمية المميزة للأطفال يهدف إلى المتعة مع التعلم حيث يقوم بعرض المواد التعليمية المختلفة بنسب متماثلة مع المواد الترفيهية كما أنه في بعض الأحيان يعرض المواد التعليمية في شكل ترفيهي حتى يتمكن الأطفال من التعلم بطريقة سهلة ولكي يحصل طفلك على هذه المتعة الحقيقية، ويمكن زيارة الموقع على العنوان التالي www.geocities.com



مواقع الشات تؤدي إلى الإصابة بالأمراض



كشف بحث علمي أن للاتصال المباشر بين الأفراد فوائد صحية كثيرة لا تتوافر في الاتصال من خلال مواقع المحادثة الالكترونية (الشات) والمواقع الاخرى المماثلة كما أشار البحث الى أن عدم الاتصال المباشر بين البشر يؤثر من الناحية البيولوجية على الانسان ويؤدي إلى تغير في مستوى الهرمونات ووظائف منظومة العلاقات الإنسانية الأمر الذي يؤدي الى الاصابة بأمراض السرطان وأمراض القلب وانخفاض في مستوى أداء العقل لوظائفه، أضاف البحث أن أهم المشاكل التي يواجهها مستخدمو هذه المواقع تتمثل في خلق أوهام اجتماعية يستحيل معها التكيف مع الواقع ومع البيئة المحيطة ما يؤدي الى حالة من عدم التوازن في السلوك مؤكدا أن المواقع الالكترونية تسبب العزلة للبشر أكثر من أي وقت مضى حيث أظهرت الاحصاءات تزايد أعداد الذين لا يتحدثون مع غيرهم في الامور الحياتية خلال السنوات الماضية بمعدل ثلاثة أضعاف.

إعداد : هالة محمد

تلسكوب يبحث عن الحياة في الفضاء



قال علماء في جامعة «جون هوبكنز» بمدينة «بالتيمور» الاميركية ان الكواكب الموجودة قرب نجوم اكثر برودة من الشمس القريبة من كوكب الأرض، قد تفتقر للمواد التي تساهم في نشوء الحياة.

وافادت صحيفة «لوس انجلوس تايمز» بان العلماء استخدموا تلسكوب «سبيتزر» الذي يستخدم الاشعة ما فوق الحمراء للبحث عن مادة سيانيد الهيدروجين في ٦١ نجمة صغيرة، ذاك ان هذه المادة تعتبر عنصراً من حمض نووي موجود في كل كائن حي على الأرض.

وبحسب المسؤول عن البحث إلاريا «باسكوتشي» فقد وجد الباحثون سيانيد الهيدروجين في ٣٠ في المائة من النجوم الصفراء التي تشبه الشمس، لكن أياً من الكواكب الموجودة قرب نجوم باردة وصغيرة لم تكن تحتوي على هذه المادة.

وقال «باسكوتشي»: لا يبدو آن سيانيد الهيدروجين موجود في محيط النجوم الاكثر برودة من أجل اطلاق التفاعلات الكيميائية الضرورية لنشوء الحياة.

وذكرت الصحيفة ان هذا البحث يدحض نظرية بعض العلماء الذين يركزون على النجوم الباردة والمعتمة للبحث عن حياة خارج الأرض.

كشف علمي لوقف

توصل علماء بريطانيون الى اكتشاف خلايا وراثية رجحوا إمكانية ان تساهم في وقف انتشار الأمراض الفتاكة مثل السرطان والتصلب العصبي المتعدد.

وهذا الاختراق الذي توصل اليه الباحثون في معهد روزلين التابع الجامعة ادنبره الاسكتلندية، يمكن أن يقود الى علاجات جديدة قادرة على شفاء الامراض الموثرة على نظام المناعة في جسم الانسان، بعد ان اكتشفوا وجود مئات الجينات تتفاعل مع بعضها بطريقة اكثر تعقيداً مما كان يعتقد من قبل، بأن هناك جينات مسيطرة مسؤولة تتحكم بنمو الخلايا المسببة للسرطان والأمراض العصبية.

ومن جهة أخرى فان مرض التصلب المتعدد الذي يمكن ان يقود الى الشلل والعمى يعاني منه واحد من بين كل ٥٠٠ شخص في اسكتلندا، وهي أكبر نسبة من نوعها في العالم ونحو ١٠٠ ألف شخص في المملكة المتحدة.

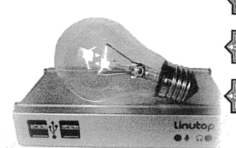
ويعتقد العلماء ان الاختلاف في عمل شبكة

نظرية جديدة لتوليد الكهرباء دون تكاليف

توصل المهندس السوري ابراهيم محمد جبر من مدينة داعل بدرعا بعد خمسة عشر عاما من البحوث الفيزيائية والدراسات المعمقة الى نظرية استرداد الطاقة «اكتشاف الكون النظير» وهو يستعد لطباعة كتابه حولها.

ونقل عن م. جبر قوله ان لكل نظرية فيزيائية زمان ومكان تصلح فيه وتكون كل نظرية صحيحة صحة تكفي لبقائها، حيث يثبت التاريخ والعلم أنه لا وجود لنظرية فيزيائية صحيحة صحة مطلقة وتكفي لتفسير جميع الظواهر الفيزيائية، مضيفا ان ذلك ليس عيبا في تلك النظريات لأنه من المستحيل ان تجيب نظرية واحدة او اكثر على تساؤلات الانسان مهما كانت تلك النظريات من الاتساع والشمول.

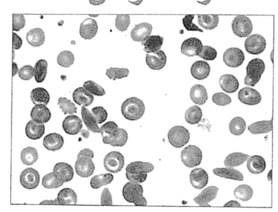
وأشار الى انه قام بالبحث ضمن مناقشات عميقة في الكون والطاقة، ليخلص الى نظرية ذات مبادئ وقوانين فيزيائية نستطيع ان نشتق منها قوانين المبادئ والنسبية ايضا فأي نظرية جديدة يجب أن تحوي ما قبلها ولا تكون معزولة عنها.



وأكد جبر ان نظرية الاسترداد تجيب عن الاسئلة التي عجزت عنها النظريات السابقة في مجال علم الفيزياء والميكانيك التقليدي، مؤكدا ان التطبيقات العملية والقوانين لهذه النظرية ستساهم في حل مشكلة الكهرباء بشكل كامل ويتم من خلالها توفير كميات كبيرة من الطاقة قابلة للتصدير وبالتالي توفير الكثير من الأموال على الدولة.

وقال جبر: إن اختراعاته في مجال طاقة الكهرباء ستسهم في حل مشكلة الطلب على الطاقة دون تكاليف تذكر وبكميات كبيرة قابلة للتصدير، وهو مستعد لتنفيذها في سورية. مشيرا الى انه حصل على موافقة حقوق المؤلف والحماية في دولة قطر الشقيقة بالتعاون مع المهندس هزاع الهاجري مدير ادارة الجودة بقطر الذي يسعى لترشيح هذا البحث الى جائزة نوبل للفيزياء.

ــف انتشار الأمراض الفتاكة



الجينات يفسر اسباب اصابة الناس بالأمراض الفتاكة بطرق مختلفة، ويأملون من خلال تحديد المواقع الضعيفة في بنية الجينات ان يتمكنوا من وقف نمو الاورام الخبيثة والمساعدة على نمو خلايا صحية وان يقود الاكتشاف الجديد الى تطوير علاجات لسرطان الدم والتهاب المفاصل.

ويرى العلماء البريطانيون ايضاً أن النتائج التي خلصوا إليها تسلط الاضواء على معلتومات كانت مخفية من قبل حول عمل نظام المناعة، يمكن ان تساهم في مساعدة الاطباء على فهم اسباب استجابة بعض المرضى الى علاج نظام المناعة، وفشل مرضى اخرين في الاستجابة لهذا العلاج.

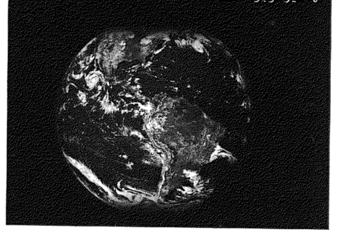
170 مليار نسمة عاشوا على الأرض

حوالي ١٧٠ مليار إنسان عاشوا على الكرة الأرضية منذ ١٦٢ ألف عام وهي المدة المقدرة لوجود الإنسان على الكوكب.

هذا الرقم توصل اليه خبير الاحصاء «بيتر غرونوالد» الباحث في المركز الهولندي للرياضيات.

وحسب الدراسات التي اجراها يعتقد «غرونوالد» ان عدد البشرية الآن وهو ٦،٧ مليارات نسمة يشكل ستة في المائة من مجموع اعداد البشر الذين تناوبوا على الأرض.

ويوضح ان الرقم ١٧٠ مليارا لا ينبغي ان يكون دقيقا كليا، لأن المعلومات عن سكان كوكب الأرض في التاريخ الغابر قليلة جدا او انها غير موجودة اطلاقا.



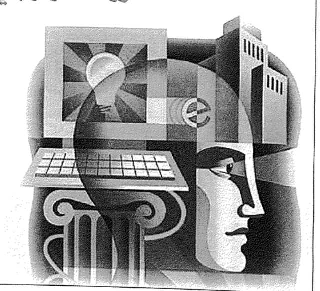
التطور التكنولوجي يزيد المخاوف الأمنية

بعد أن مكن التقدم السريع في مجال التكنولوجيا الحيوية من تسهيل تطوير وانتاج مواد عضوية قاتلة يطالب الخبراء برقابة افضل على الصناعة لمنع هذا التطور من افادة المجرمين والارهابيين.

وظهرت مئات من معامل البحوث في مختلف أرجاء العالم مع تراجع التكاليف وانخفاض الفترات الزمنية المطلوبة للبحث، ويتنافس العلماء على انتاج منتجات ذات قيمة تجارية في مجالات الدواء والمواد الغذائية.

ففي عام ٢٠٠٢م تطلب الأمر خمس سنوات لتطوير التسلسل الجيني لفيروس شلل الاطفال، ولكن بعد ثلاث سنوات احتاج فريق عمل الى اسبوع واحد للتوصل الى التسلسل الجيني لفيروس مماثل.

ومثل هذا التطور الكبير اثار تساؤلات صناع القرار بشأن كيفية ضمان تحقيق الامان في هذه الصناعة التي لا تحظى برقابة كافية.



إعداد : محمد شفيق

ألف شك

■ احتشد الناس لاستقبال فيلسوف، فمرت بهم امرأة فسألت أحدهم، بم استحق هذا الرجل تكريمكم له: فقيل لها: ويحك!! ألم تسمعي بالفيلسوف الذي أوجد ألف دليل على وجود الله؟! فقالت: ويلكم!! لو عقلتم لعاقبتموه فلو لم يقم في ضميره ألف شك في وجود الله لما اجتهد في تقديم ألف دليل على صحة وجوده سبحانه وتعالى! متى غاب حتى يحتاج الى دليل يدل عليه؟! سبحانه وتعالى هو الظاهر على كل شيء، هو الظاهر في كل شيء، هو الظاهر قبل كل شيء هو أظهر من كل شيء.

وقع عن الله خمسين سنة

■ لما أدركت الوفاة الإمام ابن عقيل واحتضر، بكت النساء: فقال: قد وقعت عن الله خمسين سنة (يعني أنه كان يوقع الفتاوى التي يبين فيها أحكام الله في الوقائع والحوادث التي تقع للناس، فكان يوقع فيها نيابة عن الله تعالى) فدعوني أهنأ بلقائه.

خفت أن أكون ابتدعت

■ خرج بهلول القيرداني (أحد العباد) يوما على أصحابه وقد غطى خنصره بيده وكان أهله قد سألوه حاجة فربط في خنصره خيطا ليذكرها، ثم قال: خفت أن أكون ابتدعت، فغطى إصبعه لكي لا يراه أحد فيقتدي به.. وقد سأل أحد أصحابه عن هذا الأمر فأخبره أن عبدالله بن عمر كان يفعل ذلك، فنحى بهلول كفه عن خنصره وقال: الحمد لله الذي لم يجعلني ممن ابتدع بدرعة في الإسلام.

من قاموس اللاءات

■ لاكنز أنفع من العلم، لامال أربح من الحلم، لا شرف أعز من التقوى، لاكرم أو فى من ترك الهوى، لا عمل أفضل من الفكر، لا سيئة أخزى من الكبر، لا دواء ألين من الرفق، لا عبادة أحسن من الخشوع، لا زهر خير من القنوع، لا خير في المال إلا مع الجود، لا خير في الفقه إلا مع الورع، لا خير في الصدق إلا مع الوفاء.

أردت أن أختبر حلمك!

■ بينما كان الإمام حسن بن علي جالسا عند باب داره في الكوفة، إذ جاءه أعرابي فسبّه وسب أبويه، فنهض الإمام الحسن قائلاً: أيها الأعرابي: أجوعان أنت حتى أطعمك؟ أم ظمآن حتى أرويك؟ أم ماذا بك؟ فلم يلتفت الأعرابي إليه بل استمر في سبابه. فأمر الحسن عبده أن يأتي بكيس من الفضة، ثم أعطاه للرجل قائلاً «عفوا أيها الاعرابي، فليس لدي غيره، ولو كان لدي المزيد لأعطيتك» عندما سمع منه الأعرابي هذا القول صاح «أشهد أنك ابن بنت النبي ﷺ، فقد جئت اختبر حلمك».

من الشقي؟

■ قيل لم أر أشقى من البخل بما له، لأنه في الدنيا يشقى بجمعه، وفي الآخرة يحاسب على منعه غير آمن في الدنيا من همه، ولا ناج في الآخرة من إثمه.

غاية الزهد التواضع

■ سئل يوسف بن أسباط: ما غاية الزهد؟ فأجاب قائلاً: لا تفرح بما أقبل، ولا تأسف على ما أدبر، فسئل: فما غاية التواضع؟ فقال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيت أنه خير منك.

مؤتمرات وندوات

سلوى محمد

مؤتمر فلسطين أوروبا السابع «العودة حق، لا تفريط ولا تنازل»

شهدت أوروبا حدثًا كبيرًا، حيث شارك آلاف الفلسطينيين من كافة أرجاء أوروبا في فعاليات مؤتمرهم السابع على التوالي، والذي ينظمه مركز العودة الفلسطيني في لندن والتجمع الفلسطيني في إيطاليا، وقد رفعوا شعار: «العودة حق، لا تفريط ولا تنازل»، وذلك يوم السبت الموافق ٢-٥-٢٠٠٩م، وقد زحفت هذه الجموع إلى مدينة ميلانو الواقعة شمال إيطاليا.

وكان مؤتمر فلسطين أوروبا قد عقد دورته الأولى في لندن عام ٢٠٠٣، وشهدت مدن برلين الألمانية وفيينا النمساوية ومالمو السويدية وروتردام الهولندية وكوبنهاجن الدانمركية الدورات الخمس التالية.

وقد شارك في المؤتمر نخبة من الشخصيات الفلسطينية والعربية والأوروبية الداعمة للحق الفلسطيني، وممن شارك فيه البارونة جيني تونغ عضو مجلس اللوردات البريطاني، والشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني، ود زينات أبو شاويش باحثة في شؤون اللاجئين، ود سلمان أبو ستة رئيس هيئة أرض فلسطين والأكاديمي الفلسطيني المختص في شؤون اللاجئين، ود أسامة الأشقر رئيس الحملة الأهلية للقدس عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، والسيد غسان بن جدو رئيس مكتب قناة الجزيرة بلبنان، والمخرج وليد سيف الذي اشتهر بإخراجه مسلسل «التغريبة الفلسطينية»، والسيدة لويزا مورغانتيني نائب رئيس البرلمان الأوروبي، ولكنها اعتذرت في اللحظات الأخيرة لسفر عارض إلى أميركا، والأب مانويل مسلم راعي كنيسة الروم الكاثوليك في غزة، والسيد محمد سالم رئيس تجمع الأطباء الفلسطينيين في أوروبا، ود.مصطفى البرغوثي رئيس المبادرة الوطنية الفلسطينية.

المؤتمر الدولي السادس للمخطوطات (النشر التراثي) بمكتبة الإسكندرية

على مدى خمس عشرة جلسة في ثلاثة أيام من الخامس إلى السابع من مايو الماضي جرت فعاليات المؤتمر الدولي السادس للمخطوطات (النشر التراثي) بمكتبة الإسكندرية، وقد شارك فيه أكثر من أربعين باحثًا من دول عربيّة وأجنبيّة، يمثلون مراكز علمية ومعاهد تقوم على خدمة المخطوطات حول العالم.

وإذا كانت المخطوطات العربية والإسلامية الموجودة في المكتبات الخاصة والعامة حول العالم تمثل التراث الثقافي للأمة الإسلامية على مدى قرون، وتكشف عن مدى تقدمه في شتى الفنون والعلوم، فقد نادى المشاركون في المؤتمر وأكدوا على أهمية تحقيق هذا التراث الضخم، وإخراجه بصورة علمية دقيقة، وفي ذلك إثراء للثقافة والآداب في العالم بمختلف لغاته ومعاهده.

وإن أشد ما يعاني منه التراث المخطوط هو دخول غير المختصين في هذا المجال، مما أدى لخروج بعض الأعمال في صورة لا تناسب القيمة العلمية لها، هذا إلى جانب وجود ظاهرة تكرار نشر النصوص المحققة لا من باب الإثراء العلمي، ولكن من باب التجارة البحتة، وهذا ما دفع المشاركين للمطالبة بوضع معايير ببلوغرافية لنشر المخطوط والكتاب العربي عمومًا تنص على ضرورة تحقيق وتكشيف النصوص على يد متخصصين، مع التحذير من انتشار ظاهرة تكرار نشر النصوص المحققة.

وقد تم خلال المؤتمر محاضرات لمتخصصين تناولت النشر التراثي في مجالات تاريخ العلوم ودراسات الأديان واللغات الشرقية.

المؤتمر الدولي الرابع عشر للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم

على مدى يومين حافلين بالنشاط الفكري أقام قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة مؤتمره الدولي الرابع عشر للفلسفة الإسلامية تحت عنوان: (الإنسان في الفلسفة الإسلامية)، وذلك في يومي الثلاثاء والأربعاء الموافق ١٤ و١٥ أبريل لعام ٢٠٠٩، وكانت البحوث المقدمة تدور حول ثلاثة محاور: الإنسان وقضايا الألوهية، الإنسان وقضايا المجتمع المعاصر، الإنسان وتحديات العلم الحديث.

وقد أكد المشاركون في المؤتمر على الأهمية العظمى التي أعطاها الإسلام للإنسان من خلال مصدريه الرئيسين: القرآن والسنة، وأنه هو محور هذا الكون الذي من أجله خُلق وسُخر له، وبأخلاقه يتحضر التاريخ وتتحضر الحياة.

وتكلم د. عبدالحميد مدكور أستاذ الفلسفة الإسلامية بدار العلوم عن «الفعل الإنساني في ضوء النصوص القرآنية»، وأكد على أن موضوع الفعل الإنساني نوقش على نطاق واسع منذ عهد الرسول ﷺ، وبرز في عهد الخلفاء في قضية طاعون عمواس، وكان الفصل فيه كلمة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه: «نفر من قدر الله إلى قدر الله»، وأن هذه المسألة يوجد فيها أربعة عشر رأيًا بينهم اختلافات دقيقة جدًا، ولكنه أشار إلى أن نقطة البداية في التحدث في موضوع القدر هو القرآن الكريم، وأنه يجب النظر إلى أسماء الله وصفاته جملة واحدة، فتنظر إلى العلم الإلهي والقدرة مع نظرنا إلى العدل والحكمة والرحمة الإلهية، ويجب أن نجمع الآيات القرآنية المتعلقة بالأمر كلها جملة واحدة لا مجزأة، وأنه يجب معرفة السياق الذي ذكرت فيه الآيات، وأن الإسلام ليس فيه جبرية مطلقة ولا حرية مطلقة.





همجية الأزواج

من المعلوم أن الأسرة نواة المجتمع وأصل الإستقرار الإنساني ، ولكن هناك منغصات وظواهر سلبية دخيلة على القواعد الحاكمة للحياة الأسرية ، ولعل ظاهرة ضرب الرجال لزوجاتهم الأبرز لما تدل على همجية الأزواج وضيق أفق تفكيرهم فلا يجدون تعبيرا لهم إلا الضرب، وهي ظاهرة بدأت تتفشى بشكل واضح من خلال الصحف اليومية ومنها ملحق الجريمة، وكذلك أروقة قصر العدل، والأسباب التي تقف وراء ذلك كثيرة منها:

١- عدم تنشئة الأبناء تنشئة إسلامية ليكونوا أزواجا صالحين، فقد لا تهتم الأسرة بتوفير الاحتياجات الاساسية للولد ويغيب عنها كيف تجعل منه رجلا محبا ومحترما ومقدرا لأهله ومن يعيش معه، وكذلك الحال للبنت التي أغفلنا دورها المهم في بيت المستقبل من إعداد وترتيب وحسن تبعل بما يمكنها من جعل البيت جنة لها ولزوجها ومن يعيش معهما من أبناء وأقارب.

٢- غياب الفهم الحقيقي للزواج ، إذ هو تكليف اجتماعي نحو علاقات كثيرة منها العشرة ورعاية وتربية الأبناء وغيرها، فقد قال المصطفى ﷺ «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم» (رواه البخاري) فكثير من الناس يعتقد أن الزواج متعة وما عداها ففضل ومنة على زوجته وهو الخطأ بعينه.

٣- الفهم الخاطئ للقوامة ، التي ميز بها الله تعالى الرجال على النساء ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ (النساء: ٣٤)، هي ميزة تكليف لا تسلط وتخويف، فيفهمها بعض الرجال أنها للصراخ والسب والشتم ومعاملة المرأة بأوحش الصور وأفظعها.

٤- الفهم الخاطئ للضرب الوارد في القرآن الكريم قال تعالى ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ (النساء: ٣٤) في حالة النشوز وهي عصيان المرأة لزوجها، يفهمه البعض ان الضرب هو أول المراحل للعلاج والعكس صحيح فهي آخر الوسائل فيسبقه النصح اللطيف والتعنيف بالتي هي أحسن ثم هجر المرأة بمضجعهما بإدارة الظهر والإعراض وعدم مغادرة الفراش، حتى لا ينتشر الخبر وتتسع دائرة الخلاف، ثم الضرب ولايكون الا كما وضحه الفقهاء بعود سواك بحجم وسمك القلم المعتاد، ليعلن الزوج لزوجته بأنه قد بلغ السيل عنده ذروته، ولنفهم جيدا قول النبي ﷺ حين سئل عن حق الزوجة: «تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» (صححه الألباني).

٥- وقد يتأثر الرجل بماضيه حين كان ابنا في أسرته حيث كان يرى فيها دائما والده يضرب أمه ويعنفها بالسب والشتم، فلا يرى غضاضة في ضرب زوجته، خاصة اذا كان يرى صمود حياتهم حينذاك وعدم مغادرة امه للبيت، أو اعجابه بشخص والده فيحب تقليده، ويطالب زوجته ان تكون كشخص امه التي يحبها، وكما نعرف ونرى أن المتأثر الأول بعد الزوجين هم الأبناء فهم النتاج الطبيعي لأي زواج فقد قال الله تعالى ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ (النحل: ٧٢)، فبدلا من ان يجد الأولاد السكن والأمن، في البيت مع الوالدين نجدهم يهربون منه خوفا من أبيهم المتهور والمتسلط على أمهم التي في الغالب هي الحضن الرحيم للأبناء في جميع مراحل العمر، وحينها سيبحثون عمن يفهم ويخفف عنهم مايشعرون به ويقلقهم، فيجدون محاضن كثيرة منها الصالحة ومنها السيئة، التي تجعل راحتهم بتدخين السيجارة أو بشم المواد الطيارة أو بأخذ المهدئ أو بتعلم الوسائل الهدامة والمضيعة للمستقبل والوقت، وهذه هي الطامة التي نخشاها.

فينبغي أن نذكر الآباء بالأثر «وما أكرمهن الا كريم وما أهانهن إلا لئيم» ونقول للأزواج «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم» (قال الترمذي حسن صحيح) وأما النساء فنقف لهن وقفة تقدير واحترام، ونقول لهن كن كأمهات المؤمنين ونساء الإسلام لتكن كقوله ﷺ «إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت» (حسنه الألباني)